كتاب الهلال

قصة الثورة كاملة

بقلم
أنور

قروش ١٠ سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد ٧٥

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٧٥ ـ ذو القعدة ١٣٧٦ ـ يونيه ١٩٥٧

No. 75 — June 1957

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ١٠٠ قرش صاغ ـ سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا ـ السعودية والعراق والاردن وليبيا ١٣٠ قرشا صـــاغا ـ الامريكتين ٥ر٥ دولارات ـ ســـائر أنحاء العـــالم ١٧٠ قرشـــا صـــاغا

كتاب الهلال

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

قصة الثورة كاملة

بقلم

أنور السادات

طبعة جديدة مزدانة بالصور

تحتوى على زيادة فى بعض الفصول

دار الهلال



الرئيس جمال عبد الناصر

مقدمة

بقلم القائمقام أنور السادات

كنت اكتب واروى للشعب قصة ثورتنا ، وفى كل مرة كنت اسرد للشعب ـ وليس لغيره ـ حقيقة واحدة ، وهى ان الثورة لم تقم الا من أجل شىء واحد .. من اجل ان يحكم الشعب نفسه بنفسه ..

ورويت للشعب كل الحقائق .. قلت ان الثورة ألغت الاحزاب ، وأسقطت الدستور ، لانها ثورة وليست انقلابا . ثورة تستهدف اقامة نظام ديمقراطى صحيح ، لانظام مزيف يقوم على الخديعة والتغرير بالشعب ، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته . نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه .. ومضيت فى حلقات عديدة أروى للناس فى مصر وفى خارج مصر حكايتنا

فرويت قصة العرض الذى تقدم به لنا عم ناريمان يوم ان قام الجيش ليضرب ضربته ، وكان العرض من فاروق الملك السابق .. يطلب منا فيه تأليف الوزارة .. فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة فى كوبرى القبة

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية تلك الفكرة التى كان السيدسليمان حافظ يدعونا الى تنفيذها فى كثير من الاحيان

كانت أهدافنا ـ اذن ـ واضحة .. ومحددة واصررنا عليها ولم نتراجع .. وتلك الاهداف كما تحدثت عنها تحت هذا العنوان ، هى اقامة نظام ديمقراطى سليم مستمد من حاجات الشعب ، ونابع من مصالحه .. لا من حاجات الاقطاع والمستغلين والارستقراطية المصرية التى تريد ان تعيش عالة على الناس وجهدهم

وتحدثت فى حلقات هذه القصة التى تراها فى الصفحات الآتية ، عن العقبات التى صادفناها ، وعن المؤامرات .. وعن الذين وقفوا فى الطريق ليعطلوا زحف الثورة المصرية ، وكيف اننا كنا قد قررنا ان يكون الزحف ابيض ، وان يكون بلا دم .. حتى اذا اعترض الزحف قاطع طريق ، كان حتما اذن ـ أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية . فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين المصريين الذين فى الاغلال

وفى الطريق مضينا .. والتقينا بكثيرين من الاعداء .. الرجعية المتربصة بالبلاد .. الاحزاب التى قامت فى كنف النظام الملكى الاقطاعى وفى حماية قوات الاحتلال ...

والتقينا بالخونة والعملاء .. وبالانتهازيين وفلول النظام الذى سقط .. كنا نريد أن ينتهى الزحف الابيض على الاعداء فى ساعة واحدة لا فى ثلاث سنوات

لكن المسألة لم تكن فى يدنا .. فقررنا ان يستمر الزحف

مهما كانت العقبات .. فنحن نعرف ما نريد ، لم نكن نريد الا اقامة النظام الديمقراطى .. لا العسكرى كما قال المزيفون

ولقد حددت الثورة موقفها ، ولم يعد أمام الشعب الا ان يستعد ليحكم نفسه بنفسه

ان التاريخ اليوم يسجل الانتصار الاكبر للثورة المصرية

لم يعد امام الشعب الا ان يستعد لمواجهة الانتصار الكبير الحاسم على اعدائه ، بكل رغبته فى العدل والحق والحرية

□

ان آلاف السنين التى مرت بأبناء البلاد ، وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون ، قد كتب عليها أن تصبح منذ الآن تاريخا ، يحفظه الشعب بعد انطلاقه . فلا جوع ولا عرى ولا ضياع فى كنف الحرية ، والشعب اليوم قد حصل عليها !

ان الحكم القومى الذى سيسود لن يجد المزيفون لهم مكانا فى ظله ، والمجتمع سوف يصبح اشتراكيا ، لا تفصل بين طبقاته اسوار عالية رهيبة ، ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه اله ينحنى أمامه العبيد

ان الحزبية كانت تصنع هذا كله ... ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة فى نوادى الاحزاب ، الا الوعود ثم الخديعة

أما اليوم .. فالبلاد بلادهم يملكون كل شىء فيها ، بعد ان مهدت امامهم الثورة الطريق ... وازالت منه الصخور والاشواك

كنا نقول دائما للمزيفين : نحن لسنا صناع استبداد ،

فعنـدما حددنا فترة الانتقال كنا نعني ما نقول ، وكنا قد حـددناها ليس من اجل البطش بالشـعب ، فتلك ليست صناعتنا ... بل أوجدناها للقضاء على الزيف ، على التركة العفنة التي خلفها لنا نظامهم الباطش ، القائم على اعمـدة الاستعمار والاقطاع والاستغلال والارستقراطية المتعالية

وكان حتما على الثورة ان تقوض اركان ذلك النظام ، قبل ان تفتح الابواب امام الشعب لينطلق نحو مستقبله . كان حتما على الثورة أن تحدد فترة للانتقال ... يتم خلالهـا تطهير الارض من الادران ، فيقف الشعب بعد ذلك فوقهـا آمنـا لا تحوطه مؤامرة ، او تتربص به الخديعة

□

ان التاريخ يطوى اليوم صـفحاته المليئة بالذل والارهاق والضياع ، يطويها ليفتح صفحات أخرى ، يسجل فيها بدء حيـاة جديدة لشعب منتصر ، متحرر كريم ، أراد اعداء الانسانية وقف زحفه فهزموا ... وتشتتوا ... واجتاحهم الطوفان الـكبير !

لاحزبية ..

فالشعب هو الحزب الـكبير ..

لا زعامات مصنوعة ..

لا زيف ولا باطل ..

بل مجتمع اشتراكي متحرر وحكم قومى لايشوبه طغيان . قلنا هذا الكلام مرات عديدة .. قلناه تحت هـذا العنوان الجليل ... لكن المزيفين كانوا دائما يجدون ما يشوهون به

الصيحة الطاهرة المخلصة النابعة من اعماق الشعب

واليوم .. ماذا سيقول المزيفون ، بعد أن اصبحت البلاد ملكا خالصا لابنائها .. لكل الابناء ! ؟

ماذا سيقول المزيفون والشعب قادم.. والشعب منطلق.. والشعب منتصر ! ؟

ان الرئيس جمال عبد الناصر قد أطلقها صيحة تنبض بالفرحة والانتصار .. صيحة تحمل الامل الكبير المضىء للشعب ، والنذير لاعدائه ..

فمن اراد أن يحيا فى كنف الحكم القومى وفى مجتمع اشتراكى لا تفصل بين طبقاته فوارق شاسعة ..

من اراد هذه الحياة التى تمجد الانسان وتخدم ارادته وعمله وكفاحه

من اراد الحرية والعدل والحق ..

من أراد الشرف والعمل الكريم والامن والرخاء ..

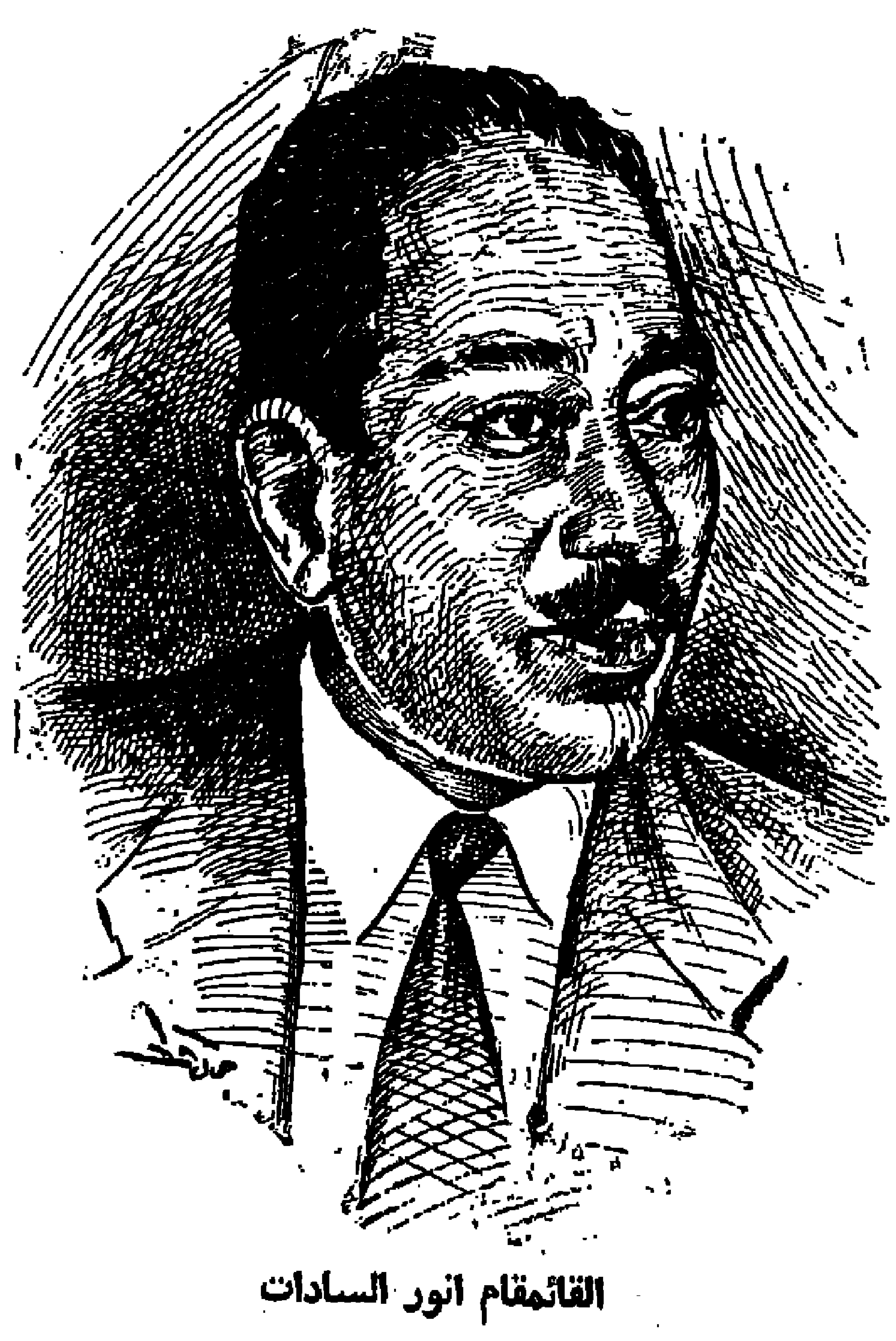
من أراد أن يمضى فى طريق لايعترضه فيه باطش او مستغل أو مستبد ..

من اراد أن يصنع مستقبله فى حمى الاشتراكية ..

من اراد أن يرفع رأسه بين العباد ..

كل هؤلاء عليهم اليوم أن يصلوا شاكرين للاله القادر العادل رعايته التى حمت الثورة المصرية حتى أتمت زحفها الكبير ..!

((أنور السادات))



القائمقام انور السادات

ماهي السياسة؟
وماهي الديمقراطية؟

ما هى السياسة ؟

ما هى السياسة ! ؟

هل هى علم يدرس ، مثل الميكانيكا ، او مثل الطب والكهرباء ، فينبغ فيها الاذكياء ويتبحر فيها ذوو المواهب ويمارسها اصحاب الكفاءات ويعرف اسرارها خريجو المعاهد التى تدرس فيها السياسة كما يدرس الطب والكهرباء ؟..

ولكى نناقش المسألة ببساطة اكثر أقول : هل السياسة مهنة او حرفة يمارسها المرء ، مثلما يمارس اى عمل آخر ، تخصص فيه وفهم قواعده ؟

اذا قال لك احدهم ان فلانا هذا سياسى داهية ، والمعنى لا يشق له غبار ، فلا تستمع على الاطلاق لهذا الكلام ، لان السياسة ليست حرفة يجيدها انسان ويفشل فيها آخر ، او يصبح عالما بخباياها ! ؟

وصحيح انه توجد فى كل بلاد الدنيا معاهد تدرس فيها السياسة وعلوم السياسة ، لكن تلك المعاهد لايتخرج منها ساسة على الاطلاق .. بل يتخرج منها موظفون يحدد لهم العمل الذى يقومون به ويظل عملهم ثابتا لايتغير ، بينما العالم من حولهم يدير شئونه ويغير من نظمه

الساسة الحقيقيون

فمن هم الساسة الحقيقيون هؤلاء ! ؟

انهم الشعب ..!

فالسياسة هى الحاجة .. والشعور بالحاجة هو الذى يدفع المرء الى الكفاح من اجل تحقيق حاجاته .. هنا تصبح المسألة سياسة !

فلا المعاهد ولا كل مدارس الدنيا يمكنها ان تحدد حاجات الناس .. الذى يحدد هذه الحاجات هم اصحاب الحق فيها !

وعندما يقود احد ابناء الشعب بلاده فى طريق الديمقراطية ــ مثلا ــ وينجح فى قيادته تلك ، ويحقق الانتصارات دواما ، فليس معنى هذا ان ذلك الزعيم سياسى لايشق له غبار ، وعالم متبحر ازرق الناب ، معنى هذا ان هذا القائد يعرف حاجات الشعب ، الذى يقوده ، ويعرف مصالحه ، ويعرف اعداء هذا الشعب الذين يقفون فى طريقه ..

ومعرفة الحاجات والمصالح والاعداء لا تحتاج الى دراسة فى معهد أو دبلوم من الجامعات .. بل تحتاج فقط الى العيش وسط المجموعة وهى تمارس كفاحها اليومى من اجل الرزق .. اى يجب ان يكون القائد من نفس الطبقة التى تمثل اغلبية هذا الشعب ، وتمثل حاجات ومصالح واهداف هذه الغالبية .. التى عاش بينها ومارس معها الكفاح اليومى ، فشعر بمشاعرهم ، وفهم اهدافهم ، وآمن بها لانها اهدافه هو ، وتجرع كل حقيقة سيطرت على حياة هذه المجموعة .. لانها هى نفسها حياته هو ..!

فاذا اراد تحقيق هذه الحاجات ، وسعى الى تلك الاهداف ومضى حتى النهاية فى هذه الطريق فهنا .. وهنا فقط يقال ان فلانا هذا .. سياسى ..!

اى انه يعمل من اجل الشعب ..

السياسة هى الشعور بالحاجة

السياسة ــ اذن ــ هى الشعور بالحاجة ، وممارستها ،

لاتكون بتلقى العلوم عنها فى المعاهـد والجـامعات ، بل تكون بالرغبة والاصرار والنضال من اجل تحقيق حاجات الناس.. اى الثورة ..!

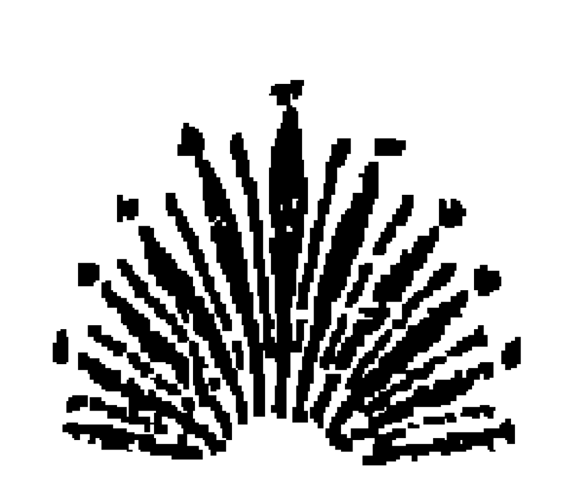
فقبل ٢٣ يوليو المشهور كان يوجد فى مصر رجال قالوا عنهم انهم زرق الانياب ، وساسة دهاة تلقوا علم السياسة فى جامعات اوربا ومعاهـد لندن .. وبالرغم من هـذا لم يستطع هؤلاء الا ان يصنعوا شيئا واحدا .. هو العمـل جنبا الى جنب مع اعداء البلاد ..!

فهم ــ اذن ــ كانوا خونة زرق الانياب وليسوا سياسيين، هم لم يشعروا بحاجات الشعب ، ولم يؤمنوا بالشعب ..!

هل عرفت ما هى السياسة ..! ؟

انها الحاجة ..

فاذا حاولت تحقيق حاجاتك ومضيت فى هذه الطريق حتى النهاية فانت سياسى .. ازرق الناب ، ولا يشق لك غبار !



ما هى الديمقراطية

ما هى الديمقراطية ! ؟

اغلق على نفسك الباب ، وانفرد بنفسك دقائق قليلة ، ثم وجه اليها هذا السؤال : ما هى الديمقراطية ! ؟

لكن قبل ان تفعل ذلك نود ان نعرف من انت ! ؟

فربما كنت من تلك الفئة التى لا تعنيها الديمقراطية على الاطلاق ، بل الذى يعنيها هو تغليب مصالحها على مصالح اغلبية الشعب ..

بصراحة يجب ان لاتكون اقطاعيا ، او من حملة الرتب.. باشا مثلا ..

ويجب ان لاتكون من حكام اسرة محمد على .. والانجليز

ويجب ان لاتكون من حاشية ذلك العهد وحوارييه ..

يجب ان لاتكون منتميا الى الفئة التي استفادت من وجود الاحتلال ، ومن وجود الباشوات ، ومن وجود الرجعية .. اعنى اعداء التطور !

واخيرا لكى تجيب على هذا السؤال اجابة صحيحة دون ان تخطىء او تتجنى ، عليك ان تكون احد افراد الشعب الذين قاسوا من العهد الماضى .. اى تمثل غالبية الشعب

بعد ذلك حاول ان تجيب على السؤال .. ما هى الديمقراطية ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لك ايها المواطن الذى لا تجد عملا

الديمقراطية بالنسبة لك ايها المواطن الذى لا تجد علاجا
الديمقراطية بالنسبة لك ايها الفلاح المريض الكادح المروق
الديمقراطية بالنسبة لك ايها العامل المتطلع الى الضمانات والمكافأة المجزية ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لك ايها الموظف صاحب الاسرة ، وصاحب الآمال العديدة فى التعليم والصحة والامن ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لكل الطبقات التى استغلت ، لمصلحة افراد قلائل ، عاشوا فوق ارضنا خونة ومترفين وخاملين ومخادعين ..!

اجل .. ما هى الديمقراطية بالنسبة لنا نحن الشعب..

هل اجيب انا على السؤال نيابة عنك يا صاحب الحاجة ايها العامل وانت يافلاح ، وياطالب الحق المسلوب ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لكم هى تحقيق مصالحكم ، لا مصالح الاقلية ..

الديمقراطية هىانتزاع الحقوقالمسلوبة ، واسترداد الارض من غاصبيها ..!

الديمقراطية هى التخلص من القيود ، تلك التى كانت فى رقابنا ، وحول اذرعنا ، وعقولنا ايضا ..!

الديمقراطية هىاستقلالالوطن ، وسيادة الامة ، والمساواة والعدل ، هى تقرير المصير ..!

وفى اللحظة التى قامت فيها ثورة ٢٣ يوليو ، كانت الديمقراطية هى الطريق ، طريق هذه الثورة الذى اتجهت اليه بكل ما تملك من رجال وسلاح وايمان ..

لانها لم تكن ثورة خاصة بفئة معينة ، بل هى نفس الثورة المصرية التى قامت من قديم ، وهدفها التخلص من اعداء الشعب ، واقرار الحق والعدل والمساواة ، وسيادة الامة

نحو الديمقراطية

من اجل هذا مضت الثورة المصرية بعد انتصارها فى ٢٣ يوليو بخروج الجيش الى المعركة .. جنبا الى جنب مع الشعب

اقول مضت نحو الديمقراطية دون تردد

وكان عليها لكى تحقق هذه الديمقراطية ، ولكى تعلن الدستور المتضمن نصوصها واسسها جميعا ، ان تتخلص اولا من اعداء الديمقراطية اى اعداء الدستور ، وهم اعداء الشعب ..

وكان العدو الاول هو الملك .. بل هى الاسرة التى كانت تحكم ..

وانتصرت الثورة على العدو الاول .. وبهذا ارست الثورة اولى قواعد الديمقراطية ..

ثم كان جلاء القوات المحتلة عن بلادنا هو الانتصار الثانى للثورة .. بل للديمقراطية ، اما الانتصار الثالث للديمقراطية فكان قانون الاصلاح الزراعى ..

وبعد ذلك مضت الثورة ترسى قواعد النظام الديمقراطى الذى سيسود البلاد ، بعد فترة الانتقال، وتعد له الضمانات التى تكفل قيامه وحمايته وازدهاره ..

ولم يكن رفض الثورة الارتباط بحلف عسكرى مع الدول الكبرى الا ايمانا بالديمقراطية ، والتصميم على قيامها فى جمهورية مصر ..

ذلك لان الحلف العسكرى كان سيجعل الشعب وارض الشعب وموارد الشعب فى خدمة مصالح تلك الدول الكبرى وتحقيق المنافع لها ..!

وفى ظل الحلف العسكرى المذكور كانت مصر ستصبح دولة تابعة ، والديمقراطية من المحال ارساء قواعدها وتحقيق

مضمونها ، الا فى الدولة التى لا تخضع لسيطرة اجنبية ، او لتوجيه من خارج حدودها ..!

اصرار الثورة اذن على موقفها من الحلف العسكرى ، كان الغرض منه حماية النظام الديمقراطى الذى ستحكم به مصر بعد فترة الانتقال ، وبالتالى حماية مصالح الشعب ..

ويوم ان اعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن صفقة الاسلحة المشهورة ، لم يكن ذلك يعنى ان جيش مصر قد زاد عتاده ، او ان جيش مصر قد اصبح اقوى الجيوش ، بل كان معنى ذلك ، ان جمال عبد الناصر يعد البلاد للحكم الديمقراطى ، على اسس متينة قوية ..

لقد واجهت الثورة مشكلة تسليح جيش الشعب بعزم مستمد من ارادة هذا الشعب ومن وحى اهدافه ..

طلبت الثورة السلاح لجيشها من امريكا ومن انجلترا ومن فرنسا ومن كل مكان ، ورفضت امريكا وساومت ، وترددت انجلترا ، ثم اعطت وعودا لا حصر لها ..

وفى نفس الوقت اعطوا اسرائيل ماتريده من سلاح ..!

كان السلاح هو « الكرت » الاخير فى يد الدول الكبرى ، للضغط على مصر ، ومحاولة السيطرة عليهـا ، والتمكين لنفوذهم فيها ..

ومعنى ذلك ان مصر كانت ستخضع للسيطرة الاجنبية ، ثم التدخل والتوجيه من الخارج .. وبهذا يصبح من المحال ان تحقق الثورة المصرية هدفها .. وهو الديمقراطية الصحيحة ..

ويوم قرر جمال عبد الناصر أن يحرق هذا « الكرت » الذى تدخره الدول الكبرى للضغط والسيطرة علينا .. ويوم ان قرر شراء السلاح بدون قيد ولا شرط ، من الدول التى قبلت بيع كل ما نحتاجه من سلاح بلا قيد ولا شرط .. بلا

بعثات عسكرية ووثيقة امن متبادل ، وخضـوع لمـا تمليه مصالح الاجانب ، فى هذا اليوم سجل التاريخ لجمال عبـد الناصر خطوة اخرى كبيرة فى الطريق الذى يسلكه لارسـاء قواعد الديمقراطية فى بلاده ..!

لقد كان معنى عدم تسليح الجيش ، والوقوف ازاء مناورات الدول الـكبرى موقفا سلبيا ، هو ان الثـورة المصرية لن تجد السلاح الذى تحمى به اهدافها .. ثم حدودها التى تتاخم حدود اعداء ، اعتدنا منهم الغدر والضعة والاطماع !

صفقة الاسلحة اذن ، التى عقدتها مصر بلا قيد ولا شرط مع دول اخرى لم تناور ولم تحاور ، حطمت بهـا الثـورة التدخل الاجنبى ، والسيطرة الاجنبية والمناورات كلها فى وقت واحد وبضربة واحدة .. ومعنى ذلك هو ان مصر تمضى فى طريق الديمقراطية .. والا فكيف كانت الديمقراطية ستجد ارضا تنبت فيها وتزدهر ، وهذه الارض لاتحميها قوة تفوق قوة الاعداء المتربصين بهذه الارض .. والطامعين فى السيطرة عليها ..!

وبعد هذا .. بعد القضاء على أسرة محمد على ، وبعـد جلاء القوات المحتلة ، وبعد القضاء على الاقطاع ، وبعد ابعاد السيطرة الاجنبية برفض الحلف العسـكرى ، وبعـد حـرق الكرت الاخير فى ايدى الدول الكبرى للضغط علينا ، بعـد صفقة الاسلحة ، وبعد أن اصبح لمصر جيشها الوطنى القوى الذى سيحمى الحدود والاهداف .. وثورة الشـعب ، اعلن جمال عبد الناصر الدستور الجديد للجمهورية المصرية ..

لاديكتاتورية

لا ديكتاتورية اذن ولا حكم فرد ، ولا سيطرة لطبقة على طبقات ، ولا مصلحة الا مصلحة الشعب ..!

ان الخطوات التى تمت خلال اعوام الانتقال ، لم تكن لتمهد على الاطلاق الا لشيء واحد .. هو الدستور الذى يجعل الديمقراطية السليمة مصونة من كل سوء ! والا فما معنى ان تتم كل هذه الخطوات الجبارة نحوالتقدم والتحرر! ؟

هل تمت لكى يتمكن الباشوات والاجانب والخونة وعملاء الاستعمار والانتهازيون من حكم الشعب ! ؟

أم هل تمت لكى يسود الظلم والاستغلال والبطش بالحقوق ! ؟

أم لكى تفسح الطريق للسيطرة الاجنبية والتدخل فى شئون الشعب ..

انها خطوات تمت للتخلص من كل هذا ، وللقضاء على كل هذا ..

لان الديمقراطية هى حماية مصالح الشعب ..

هل عرفت اذن ما هى الديمقراطية ! ؟

انت ايها العامل ويا فلاح ، ويا صاحب الحاجة ، وياطالب الرزق والعلم والصحة والامن ! ؟

افتح اذن الباب واخرج الى الطريق ، فلن يقطع عليك الطريق عدو من هؤلاء الذين بطشوا بك فى الماضى ..

لاسبيل امام الاعداء للبطش بك او بحقوقك فى كنف النظام الجمهورى .. الديمقراطى !

الثورة والديمقراطية

الديمقراطية المظلومة

عاصرت كما عاصر ابناء هذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى ، بل حتى اليوم ..

ففي الماضي كان فاروق يطلق على نفسه الحاكم الديمقراطي ..

ورأينا كيف كان تفسيره لهذه الكلمة حين اتضحت الحقائق المخزية فى محاكمات محكمة الثورة . وكيف ان الملايين من أبناء هذا الشعب كانوا لايجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى توافق فيه الحكومات المتتالية ـ من جميع الاحزاب والرجالات والزعماء ـ على انفاق مليون ونصف مليون من الجنيهات على اصلاح وتزويق مركب يسعد فيه فاروق بالسفر والرحلات .. لقد اعتمد هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الاغلبية حينا والاقلية حينا آخر ..

وبعد أيها القارىء .. أليست هذه البرلمانات وذلك اللون من الحكم هو الديمقراطية ؟..

□

وكان فاروق الحاكم الديمقراطى يحكم هذه البلاد من اقصاها الى اقصاها بوساطة خادمه الامين .. ولذلك رأينا حكامنا الافاضل يحنون الجباه لهذا الخادم ، بل ان واحدا من أولئك الرجال ـ وهو مصطفى النحاس ، الذى كانت

البلاد تأمل ان يكون على يديه الخلاص فى يوم من الايام ـ لم يتورع عن أن يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم الديمقراطى ـ فى نظره ـ بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب ان يقبل يده وهو زعيم الاغلبيـة فى ذلك الوقت ، والذى أسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزا ساحقا .. ثم اتبعها بما لايخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه فى رمضان الى كابرى ، حيث يلهو فاروق ، وطلب من المصريين أن يتوجهوا الى هـذه القبـلة الماجنة فى خشوع وولاء ..

اليست هـذه تفسيرات للديمقراطية .. عاصرناها جميعا وانتهت بهذه البلاد الى الدرك الذى كاد يودى بكل شىء فى هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة ..؟

وفى الماضى القريب ، بل القريب جدا ، سمعت وسمع معى الشعب بأكمله وسمعت شعوب كثيرة ، اقول سمعنا تفسيرا جديدا لهذه الكلمة المظلومة فى محاكمات محكمة الشعب على لسان اقطاب جماعة الاخوان المنحلة ..

□

فقد قاموا يدبرون انقلابا داميا مسلحا بالقتـل والنسف والخطف ، وحين اراد احدهم أن يبرر هذا العمل قال انه فى سـبيل اقامة الديمقراطية !.. ديمقراطيـة من نوع جديد يسيطر فيها جهاز سرى على رقاب العباد من ابناء البلاد ـ تماما كما يسيطر على افراد الحزب لصالح رجل واحد ـ هو المرشد العام المقدس ..

وكان ابرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ اليه محمد نجيب حين أراد أن يبرر سبب قبول مجلس الثورة لاستقالته فى فبراير ١٩٥٤ ، فراح يؤكد انه كان ينـادى بالديمقراطيـة ومجلس الثورة بأكمله لايريد الديمقراطية ! !

والعجيب ان هذا التفسير انطلى على كثيرين واصبح نجيب فى نظرهم بطل الديمقراطية العظيم ..

وانى لاذكر جيدا كيف انه بعد أن عاد نجيب فى فبراير ١٩٥٤ ، وكنا قد بلونا طريقته فى ان يجلس بيننا فى مجلس الثورة فيقر ما نقر ثم يخرج فيشيع فى كل مكان انه لم يوافق على كذا وعارض فى كيت ، بحيث اخرج الاخوان وقتها اسطورة الاب الشفوق الرحيم . واظن قرائى يذكرون مقالتى التى نشرتها فى حينها وتحدثت فيها عن نجيب يوم ان صدر قرار محكمة الثورة بسجن فؤاد سراج الدين ، فذهب اليه اخوته قبل التصديق على هذا الحكم بوساطة مجلس الثورة فما كان منه الا ان بكى معهم وقال : « ان قرار المحكمة ظالم وان سراج الدين بطل من ابطال الوطنية » . ثم جاء الى مجلس الثورة وكانت امضاؤه على التصديق اول امضاء تجدونه محفوظا لدى المحكمة الى يومنا هذا ..

□

اقول كنا قد بلونا طريقة نجيب هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته ، كما كنا نعقدها فى الماضى وحدنا ، وانما جعلناها اجتماعات للمؤتمر المشترك لكى يجلس معنا الوزراء جميعا . فقد كانت الاحداث فى ذلك الوقت تمس السياسة العامة التى هى من اختصاص المؤتمر المشترك

واذكر جيدا تلك الجلسات المتتابعة التى عقدناها فى دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت أولاها يوم ان جاء سليمان حافظ الى جمال عبد الناصر بما سماه طلبات محمد نجيب . وقد كانت تتلخص فيما يأتى :

١ ــ حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٢ ـ حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٣ ـ حق تعيين قواد الوحدات فى الجيش ابتداء من قائد كتيبة وما يماثلها من باقى الوحدات

٤ ـ جميع تنقلات الضباط وانتداباتهم تكون بواسطته

٥ ـ على الجيش أن يحلف يمين الولاء لشخصه وان يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم

٦ ـ ان لايرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحدا لرئاسة الجمهورية غيره ، وأن يضمن له كرسى رئيس الجمهورية

وجلسنا فى دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر محمد نجيب وعرض سليمان حافظ هذه الطلبات على المجتمعين ، وتكلمنا أمام الوزراء فى ان هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون أمامها ديكتاتورية فاروق الحاكم الديمقراطى ، واننا لم نقم بهذه الثورة لكى ينتهى الامر بالبلاد الى دكتاتورية محمد نجيب أو أى شخص خلاف محمد نجيب

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا أن يحضر محمد نجيب لكى تناقش هذه الامور معه . فقام سليمان حافظ الى التليفون واتصل بمحمد نجيب وأبلغه رغبة المجلس فى ان يحضر وفعلا حضر

وبدأت المناقشة من جديد بحضور محمد نجيب

وتكلم جمال عبد الناصر وأبدى وجهة النظر هذه فيما يختص بالديكتاتورية التى يريد نجيب فرضها واستحالة الموافقة عليها . وانهى كلامه بأن هناك احد حلين لاثالث لهما :

الاول : ان يعود محمد نجيب الى رئاسة مجلس الثورة وتسير الامور كما كانت على شرط أن تنتفى الاسباب التى

من اجلها قبل المجلس استقالة محمد نجيب فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حملها لسليمان حافظ

الثانى : اذا لم يقبل ذلك محمد نجيب فالمجلس لا يقبل بتاتا هذه الديكتاتورية ويكون الاصوب بدلا من أن نختلف ان تجرى انتخابات فورا وان تسلم البلاد الى الحزب الذى يفوز فى الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب . ولكننا لن نقيم بأيدينا ديكتاتورية بعد أن حطمناها

وهنا يجب ان اقف قليلا ..

فقد رفض محمد نجيب ان يعود اول الامر الى رئاسة مجلس قيادة الثورة بحجة ان هذا المجلس مكروه . ورفض ايضا ان يتنازل عن طلباته التى أرسلها مع رسوله سليمان حافظ ..

□

اما فيما يختص بالحل الثانى ، فقد طلب ان يناقشه قبل ان يبدى رايه فيه

ولما طلب تفصيلات عن هذا الحل قال جمال عبد الناصر : ان هذا الحل يعنى اننا يجب ان نعلن اليوم انهاء الاحكام العرفية واباحة تشكيل الاحزاب وترك كل شىء كما كان قبل الثورة لكى تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم

وهنا استفسر نجيب عن وضعه فى هذا الحل فقال له جمال : سيكون كوضعنا تماما ، فسوف نعتزل الحكم ، ومن يريد ان يدخل الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحد حر ..

وهنا ظهرت براعة نجيب كبطل من إبطال الديمقراطية

فقد رفض أن يوافق على هذا الحل . وطلب مناقشة حل

فرعى آخر هو ان يحتفظ برئاسة الجمهورية وان يشكل وزارة مدنية برئاسته ايضا الى جانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس الثورة ولكن بشروطه التى طلبها وهو أن يكون له حق الفيتو على قراراته

كان نجيب يطلب هذا فى نفس الوقت الذى كان يشيع فى كل مكان داخل القطر وخارجه ان موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية .. وملأت تصريحاته فى هذا الشأن الصحافة فى كل مكان

وهذا تفسير جديد للديمقراطية ..

فكل ماكان يعنى نجيب هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة معا الى يوم القيامة حتى ولو كلفه هذا ان ينادى أمام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكى يصبح فى نظرهم بطلا من أبطال الديمقراطية فى سبيل الوصول الى أغراضه ..

هذه الوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة فى بلدنا الطيب ..

ترى ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة ؟ ..

وهل هذه الثورة تريد الديمقراطية أم تريد الديكتاتورية ؟

وهل حكومة الثورة فى يومنا هذا حكومة ديمقراطية أم هى حكومة ديكتاتورية ام هى نوع من الحكم خلاف كل هذا ؟..

الثورة ديمقراطية أم ديكتاتورية

حديث الديموقراطية طويل ، وهو حديث الناس جميعا اليوم بلا جدال . ولكن كانت هناك اشاعات تستهدف أثبات أمر معين ، وهو ان الديموقراطية لها أعداء فى مصر ، وان مجلس قيادة الثورة هو عدوها الاوحد ..!

الناس جميعا يطلبون الحرية ، ونحن فقط الذين ننفر منها ونبغضها ولا نؤمن بها !

جمال عبد الناصر وكل واحد من اعضاء المجلس ليس الا ديكتاتورا تتلمذ على الفاشيين ويريد أن يحكم بالكلمة المجردة !

أليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات ؟

وياله من موقف تاريخى عجيب !

ان الحريات وكل مقومات الديموقراطية قد ضاعت من شعب مصر .. اغتصبها منه جمال عبد الناصر ورفاق جمال عبد الناصر !

كان الشعب حرا فاستعبد ..

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذ آلاف السنين وجاء جمال عبد الناصر ورفاقه يوم ٢٣ يوليو المشهود من عام ١٩٥٢ ، وفى ذلك اليوم من العام المذكور تم تجريد الشعب المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها فسلب منه رغد العيش واستقرار الحال !

كانت فى مصر قبل ٢٣ يوليو ديموقراطية يعيش الشعب فى كنفها سعيدا حرا ، ويباشر فى ظلها سلطاتها المقدسة ، ويجد الملايين من ابنائه فرصا متساوية ، وكانوا جميعا

ينعمون فى ديارهم بتلك الديموقراطية ثم جاء ٢٣ يوليو فكان مشئوما ، فقد فيه الشعب كل شيء !

جاع وتعرى واضطهد وعذب ولم تعد له حقـوق .. لان الديموقراطية ذهبت ، وجاءت الديكتاتورية .. جاء الطغيان والاستبداد .. والحكم المطلق !

أليس هذا هو مايريده تجار الاشاعات من تصوير للموقف؟ وهو موقف تاريخي عجيب كما قلت ..

لـكن لماذا نظلم التاريخ ، والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون أكثر منه طالما ان الذين يحكمون البلاد الآن لايبيحون لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط

نحن اذن أعداء للديموقراطية ، كما هو واضـح من كلام هؤلاء ، ومعنى هـذا ان الشعب فى مصر لن يحكم حكمـا ديموقراطيا فاذا رفض فهو يناصب الديموقراطيـة العداء ، ويريد أن يبطش بالشعب

وجميل جدا ان يطالب اناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديموقراطيـة ، فهى حقوق مشروعة ، يكافح الانسان من أجلها ، ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها

لكن ما رأيكم يا طلاب الديموقراطية فى مصر .. ويا ابطال الكفاح الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب المصرى الذى جرده جمال عبد الناصر ورفاقه من كل الحقوق يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، أقول ما رايكم دام فضلكم فى ان الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست حكومة بالمعنى المتعـارف عليه .. بل هى ثورة !

ومطالبة هذه الحـكومة بالحريات والانتخابات والدسـتور وكل الحقوق معناه ان قيادة الثورة ليس لها وجود لانها ـ أى القيادة ـ من المحتم عليها ان تحقق ـ هى ـ للشعب ما يطلبه بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى .. لانها ثورة كما قلت وليست حكومة !

ثورة لانها لم تستدع ليتولى قادتها الحكم بناء على امر من « ولى الامر » كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائما !

بل تولت — هى — الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره ... وقد فعلت !

ليس جمال عبد الناصر ورفاقه اعضاء حزب من الاحزاب يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا ... لا

ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حكاما ... بل قادة لثورة ... والفرق كبير بين الثوار والحكام !

والثورة لها اهداف حققت بعضها ... وباقى الاهداف سيتحقق قطعا على مر الايام ... طالما ان الثوار يتولون زمام الامور ، ولا اقول الحكم .. بل انى اعلنها أكثر صراحة ان جمال عبد الناصر ورفاقه يمكن أن يقبلوا اى شىء ماعدا شيئا واحدا .. وذلك الشىء هو انهاء الثورة .. قبل ان تتحقق كل اهدافها !

ولا اريد ان اكرر واعيد فأتحدث عن اهداف الثورة ... فقد تحدثنا عنها كثيرا جدا ... فلم تعد خافية على احد !

ومن بين تلك الاهداف .. بل هدف الثورة الاخير واملها الضخم هو ارساء اسس النظام الديموقراطى الذى يجعل الشعب يحكم نفسه بنفسه

واذن ما هو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديموقراطية ؟

واقول : ان الثورة تفسر الديموقراطية بأعمالها وبخطواتها التى تتم فى العلن

الثورة تفسر الديموقراطية بالكفاح العملى من اجلها

فهى عندما تقضى على النظام الملكى العفن ، وترسى قواعد النظام الجمهورى فتلك خطوة نحو الديموقراطية كان الشعب حتما سيخطوها لو لم تقم الثورة فى ٢٣ يوليو ... وكان سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن ؛ ولكن جمال عبد الناصر ورفاقه حقنوا تلك الدماء ...

باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام ... سلميا ... أو بالقوة ان كان الامر استدعى قوة !

والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على الاستعمار ... ففى تحطيمه خطوة كبرى نحو الديموقراطية يخطوها الشعب وقد كان الشعب سيخطوها حتما ذات يوم ... وكان سيضحى بالآلاف من ابنائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت .. لكن جمال عبد الناصر ورفاقه وفروا على الشعب ارواح شبابه واطفاله ونسائه وشيوخه ... وتم جلاء القوات المحتلة ـ سلميا ـ تماما مثلما تم جلاء فاروق بنفس الطريقة .

بنفس الاسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى اى مكان من العالم ان اتبعته فى نضالها ... اذ ان ثورة مصر ظهرت قيادتها بين صفوف القوات المسلحة ... وضمنت وقوف تلك القوات وراءها .. والشعب ايضا وقف معها !

والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى

والاقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاستغلال والظلم ... وقضت عليه ـ سلميا ـ بلا دم ، كان سيسيل فى القرى اذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الاقطاع فى عقر داره !

والثورة تفسر الديموقراطية بالوقوف فى وجه الارستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة .. وحالت الثورة ـ نهائيا ـ بين هؤلاء وبين الشعب ! والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على التعصب وحكم السمع والطاعة .. أى على الجماعات التى تريد أن تحكم باسم الدين .. لا باسم اى شىء آخر وقد حدث .. وتمت الخطوة الكبرى فى سبيل الديموقراطية

تلك خطوات الثورة التى فسرت بها الديموقراطية

فما هو تفسير خصوم هذا النظام للديموقراطية ؟ !

لسنا شيوعيين

تحدثت عن تفسير « الثورة » للديموقراطية ، واوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب

وقلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حزبا من الاحزاب التى تولت ـ أخيرا ـ الحكم ، ثم أصبح لزاما عليهم ان يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التى كانت تسيطر على حكومات ما قبل ٢٣ يوليو

قلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ثوار وليسوا حكاما

اى ان جمال عبد الناصر ورفاقه ـ ما دام هذا وضعهم ـ يصبح من المحال مطالبتهم بشىء معين له علاقة بالاوضاع التى يجب ان تسود البلاد

ولا أعنى انه ليس من حق احد ان يطالبهم بشىء معين ـ لا ـ بل اعنى ان مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد ان قام بقلب نظام الحكم يجد نفسه أمام أمر واقع لا مفر منه ، وهو الاستمرار فى قيادة « الثورة » التى قامت فى هذه البقعة من العالم يوم ان سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية « قلب نظام الحكم القديم » واقتلاع جذوره من ارض البلاد ، مسألة اصبحت ضرورة تاريخية لايمكن الخلاص منها .. لابمنشور يحوى سبابا فى الثورة ، ولا بجهاز سرى يضم مجموعة من المشعوذين

وسأناقش هنا بهدوء تام ، وبصراحة تامة ايضا مسألة عودة الحياة النيابية والدستور والحريات .. الخ

سأناقش موضوع الديموقراطية التى يزعم ابناء العهد

الماضى وخدامه ان جمال عبد الناصر ورفاقه اغتصبوها من الشعب المصرى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

ولعل هـذا التعريف يعجب بعض النـاس الذين يتهموننا بالفاشية ..

واعود من حيث بدأت ، فاقول اننا لسنا شيوعيين ، بل لم نعرف ما هى معتقدات اتباع ماركس ولينين وستالين بالتحديد .. وبالرغم من هذا فانى انقل هنا كلاما قاله احد القادة الشيوعيين ، وذلك القائد يتزعم بلادا تزيد مساحتها على مساحة اوربا مجتمعة .. اعنى الصين عملاق آسيا الجبار ..

وفى الصين قامت ثورة .. فكيف نجحت ؟ !

هل لان الذين قادوها من اتباع ماركس ولينين وستالين ، ام لانهم كانوا صينيين أولا وآخرا ؟

الرأى الاخير هو الصحيح .. بدليـل أن ماوتسى تونج نفسه عندما أراد أن ينادى بمبادىء معينة لم يجد سـوى مبادىء الزعيم الوطنى الصينى الـكبير صن يات صن ... ولم يحدث أبدا فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف فرد أو جماعة فى وجه قادة الثورة هناك ، وطالبوهم ببرلمـان أو بدستور أو بحريات

كانت كل الجماهير تتجه أولا وآخرا الى اقتـلاع جذور النظام القديم الذى حكمت به الصين آلاف السنين ، ثم بعد ذلك يمكن أن يقام النظـام الذى يتفق ومصالح الجمـاهير الشعبية

قال ماوتسى تونج ، وهو يوضـح موقفه امام الشـعب الصينى :

« ان المجتمع الصينى الحالى ما زال مستعمرا وشـبه مستعمر وشـبه اقطاعى ، وان الاعداء الاساسـيين للثورة

الصينية هم القوى الاستعمارية وشبه الاقطاعية .. وبما ان واجبات الثورة الصينية هى ان تحقق الثورة الوطنية والثورة الديموقراطية للقضاء على هذين العدوين ، وبما ان القوى اللازمة لهذا العمل تلقى احيانا مساعدة البورجوازية الوطنية وجزء من البورجوازية الكبيرة ... ومع أن البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة واصبحت عدوتها ، الا ان الثورة يجب الا توجه ضد الرأسمالية على العموم أو ضد الملكية الرأسمالية ، وانما ضد الاستعمار والاحتكار الاقطاعى ، ونتيجة لهذا نجد ان طبيعة الثورة الصينية فى الوقت الحالى ليست الاشتراكية البروليتارية ، وانما الديموقراطية البورجوازية ... وهذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين ، وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة ، ويجب على الصين أولا ان تحقق هذه الثورة وليس غيرها ، واذا لم نصل الى تحطيم الافكار الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار ... واذا وضعنا فى اعتبارنا الموقف الوطنى والدولى ، ومهما كانت الصعوبات التى نقابلها فى طريق المقاومة ، فان الشعب الصينى سيصل نهائيا الى النصر ..

ان وحشية القوى المظلمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى لكن ذلك البؤس اذا كان يمثل القوة الباقية للظالمين فهو يمثل ايضا اجرامهم الاخير ، ففى نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئا ، تلك هى الحالة فى الشرق ... تلك هى الحالة فى العالم »

انتهى كلام ماوتسى تونج ..

وأود ان يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام ، فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية ...

وثورة الصين قامت بالدم ... خاض الشعب الصينى معارك هائلة طاحنة رهيبة ومات مئات الالوف من شبابه وشيوخه ونسائه واطفاله

كانت الدماء فى الصين تجرى كالانهار فى السهول وفى القرى وحول المدن ..

وكان لابد ان يحدث هذا لكي تمضى الثورة الصينية فى طريقها المعلوم ... لان القوات المسلحة فى الصين لم تقم بالثورة ... فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد .. وتولت قيادتها مجموعة من ضباط الجيش .. فحقنت الدماء .. ولم تتعرض مصر للخراب والنسف والموت

□

ومضت الثورة فى طريقها المعلوم بلا دم ... وتولى جمال عبد الناصر رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيسا لحزب مصرى معين او باعتباره رجلا من رجالات السياسة ... بل باعتباره قائدا للثورة المصرية التى قامت فعلا فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا فى السر كما حدث فى الصين ... ومن اجل هذا يخطىء الذين يطالبون جمال عبد الناصر ورفاقه بانتخابات أو بأى شيء ... فجمال ورفاقه يمثلون الثورة المصرية وليس الحكومة المصرية ... والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية ..

ولكن الخلاف هنا فى اسلوب الثورة .. وفى قيادتها .. ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى الاستعمارية والاقطاعية والرجعية ، وفى مصر كانت الثورة « سلمية » بيضاء .. لانها كانت مؤيدة بوقوف القوات المصرية المسلحة معها .. فاذا قررت الثورة المصرية تحقيق هدف من اهدافها حددته فى الحال ، وعملت من اجله .. فاذا لم يتحقق الهدف سلميا ، كانت القوات المسلحة فى حل من استعمال القوة بتأييد من الشعب !

وهكذا مضت الثورة المصرية فى طريقها المحتوم .. فاذا وقف فى طريقها فرد أوجماعة وطالبوها ـ باعتبارها حكومة ـ

بشيء ما ... كان الوضع غريبا وشاذا ويستحيل قبوله أو التسليم به ... لان قيادة الثورة هي التي تحدد ماتراه متفقا مع مصالح الشعب لا مصالح اعدائه !

ولنتصور ـ مثلا ـ تشانج كاى شيك يقف اثناء قيام الثورة الصينية ويطالب ماوتسى تونج بانتخابات وببرلمان وبحريات الخ ..

فبماذا كان سيفسر طلبه ؟ !

هل يفسر بأنه موقف وطنى من تشانج كان شيك ضد قوى الفاشية والديكتاتورية .. ام يفسر بأنه محاولة من تشانج كاى شيك لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟ !

وبالرغم من اننا لسنا شيوعيين ، فالموقف واحد فى الحالتين ، موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسية والسماسرة والرجعيين فى البلاد ، الذين يريدون تصفية الثورة المصرية باجراء انتخابات فى الحال ، وبدستور فى الحال ، وبحريات فى الحال .. لكى يعودوا الى اماكنهم

وتلك الاماكن ابعدتهم « الثورة » عنها .. فكيف اذن تعيدهم مرة ثانية ! ؟

كيف تعيد الثورة الاوضاع القديمة ، والثورة لم تقم ولم يتعرض رجالها للموت الا من اجل القضاء على تلك الاوضاع !؟

وقد اوضحت فى الفصل السابق موقف الثورة من الديموقراطية ، فقلت ان الثورة تفسر الديموقراطية بأعمالها .. تفسرها بالقضاء على الحكام الاغراب عن هذا الشعب والارستقراطية المصرية الممثلة فى الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة وتفسرها باقامة أسس صحيحة لنظام جمهورى سليم ، وتفسرها بالقضاء على العصابات الفاشية مثل جماعة الاخوان المسلمين ، وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الذين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد .. لانهم اغلبية الشعب !

ثم اخيرا تفسرها باعداد العدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية ..

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتها «العملية» للديموقراطية ستقرر فى الحال ان يحكم الشعب نفسه بنفسه.. لابالهضيبى ولا بالبدراوى ولا بالنحاس ولا بسراج الدين .. ولا بأى فرد او جماعة من تراث الماضى .. تراث ما قبل ٢٣ يوليو !

هذا هو تفسير الثورة للديموقراطية ..

اما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديموقراطية فهو فى جملة واحدة : العودة الى الحكم !

تلك هى الديموقراطية فى رايهم .. العودة الى الحكم او يظل جمال عبد الناصر ورفاقه تلامذة للفاشيين !

فكيف اذن يظهر جمال عبد الناصر ورفاقه امام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين ، وفى نفس الوقت يعمل جمال ورفاقه على تحطيم اسس الحكم المطلق ! ؟

حكم القصر والبدراوى وسراج الدين والمشعوذين حفظة سورة آل عمران ! ؟

كيف اصبح الثوار طغاة .. والطغاة ابطالا للحرية والديموقراطية ! ؟

كيف اصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشيا يستمد افكاره من هتلر وموسولينى وكل الطغاة واصبح محمود ابو الفتح تاجر الراى والسيارات بطلا شعبيا تماما مثلما اصبح حسن الهضيبى ! ؟

هذا هو موضوع الفصل التالى

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغاة وأصبح تجار الرأى والدين والوطنية أبطالا للديمقراطية ؟!

كيف حدث هذا ؟

كيف تقلب الاوضاع هكذا ؟!

وأين كان هؤلاء الابطال قبل ٢٣ يوليو ؟!

لماذا لم يقودوا الجماهير فى ثورة تهدم صرح الظلم والطغيان ؟!

أين كان محمود أبو الفتح وحسن الهضيبى وسراج الدين والنحاس وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد ٢٣ يوليو رمزا للديمقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية ؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديمقراطية والحرية يوم كان يحكم البلاد ديكتاتور اسمه فاروق ؟!

لماذا لم يفعل محمود أبو الفتح مثلما يفعل الآن فى ربوع أوربا .. لماذا لم يقم الدنيا ويقعدها وينادى بتخليص البلاد من قبضة الحكام الطغاة والاقطاع والباشوات والسماسرة ؟!

ولماذا لم يعد حسن الهضيبى جهازا سريا مسلحا ينسف به قصر عابدين ورياسة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه ؟!

لماذا لم يترك سراج الدين سيجاره الضخم لحظة ، ليصرخ

فى الناس ان قوموا لتحرروا مصر من هذا الاخطبوط الرهيب الذى يبطش بمصائركم ؟!

ولماذا .. ولماذا ؟!

لا توجد الا اجابة واحدة على كل هذه الاسئلة .. وهى ان حكم اسرة محمد على والباشوات والسماسرة كان هو الحكم الديمقراطى الدستورى المجيد الذى يرضى عنه كل هـؤلاء الساسة وأذنابهم واعوانهم وخدامهم ..

أما اليوم فهم فى محنة .. ويريدون ان يشترك الشعب معهم فى تقويض صرح الثورة التى قلبت نظام حكمهم ، وبطشت بمستقبلهم ، وابعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب !

واليوم هم أبطال الديمقراطية ، ونحن اعداء لها !

فكيف حدث هذا ؟!

مرة أخرى اقول انى سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة ، وسأحاول ضبط أعصابى وانا أسجل الحقائق .. وهى حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون فى حاجة الى من يذكره بها .. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسى بلا مقدمات ، اقول حتمت علينا الظروف أن نسكت ونترك أبناء العهد الماضى يسموننا حكومة العسكريين ، لا حكومة الثورة ، ونترك اذناب العهد الماضى يصفوننا بأننا حكام جدد .. ونحن أبعد ما نكون عن هذه الصفة ، فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام .. بل هو الشعب ، ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى ٢٣ يوليو ، وعزلت ملك البلاد ، سيد كل أبطال الديمقراطية وولى نعمتهم ، وصانع مجدهم !

سيد حسن الهضيبى الديمقراطى الحر ، وسراج الدين الدستورى العريق ، ومحمود أبو الفتح البطل الشعبى الباسل

وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد للحرية وللديمقراطية وللدستور .!!

اى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة .. واى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد اذا ماسلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسى الديمقراطى واصغينا الى هذيان أفراده.!!

اقول : كيف حدث هذا ؟ .. كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق .!!

اذن اسمعوا ...

مرة أخرى أعود الى الصين ...

الى حيث قامت ثورة وتغير نظام .. وأقيم حكم جديد

واحب أن أقول اننى اخترت الصين بالذات ، لأن تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا .. مستعمرة فيها حكام خونة واقطاع واحتكار .. وذل وحفاة وعراة وجياع ..

وعلى الرغم من أن الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا ، الا أنهم — اى ثوار الصين — لم يصنعوا أكثر مما صنعنا .. حتى الآن .. فزعيمهم يقول :

« ان الاصلاح الزراعى هو المحور الرئيسى للثورة الديمقراطية الجديدة للصين »

والاصلاح الزراعى فى الصين قضى على الاقطاع ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر ..

وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم انتم طغاة .. انتم تريدون ديكتاتورية !

كانت ثورة الصين تبطش بأعدائها دواما .. وكانت تمضى فى طريقها الملىء بالدم والبارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها .. فالشعب معها ، والشعب شعر انها قامت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة !

ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة

ضد القصر والاقطاع وكل أعداء الشعب لعرف أهداف الثورة فى الحال ولما وجد من يضلله أو يخدعه ... لكن الوضع فى مصر بالنسبة لقيادة الثورة كان مخالفا لوضع قيادة الثورة فى الصين فكان علينا نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة ان نتجاهل ما يقال عنا ، وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا .. كنا نعتمد على الوقت .. فالايام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقة ثورتنا .. لا المعارك

□

واعود الى الصين فأقول انه بالرغم من المعارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين الا أن قادتها وجدوا من يقول عنهم انهم طغاة ويريدون ديكتاتورية .. وقال ماوتسى تونج بالحرف الواحد لاعداء الثورة :

« يقال لنا : تقيمون ديكتاتورية .. نعم يا حضرات السادة، انتم على حق فنحن بالفعل نقيم ديكتاتورية ، ان الخبرة التى تكونت للشعب الصينى خلال عشرات السنين ، تبين لنا ضرورة اقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير ، عن آرائهم ، فللشعب وحده حق التعبير ، وحق التصويت ، فمن هو هذا الشعب ؟!

فى المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، والبرجوازية الصغيرة ، والبورجوازية الوطنية ، وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من أجل اقامة ديكتاتورية على خدام الاستعمار ، ومن أجل سحق الاستعمار وأعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه ، فلا يسمح لهم بالتصرف الا فى داخل حدود معينة ، فاذا تجاوزوا تلك الحدود بالقول أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال، فلابد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب ، فيمنح حرية الكلام والاجتماع والتنظيم ، ولا يعطى حق التصويت الا للشعب دون الرجعيين ... فالديمقراطية للشعب . والديكتاتورية على الرجعيين .

واذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب ، وتفنى الدولة »

هذا ما حدث فى الصين ...

والذى حدث فى مصر بعد ٢٣ يوليو هو أن مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحا يحمي الشعب من الرجعيين .. وكان أول اجراء قام به مجلس قيادة الثورة بعد ٢٣ يوليو هو عزل الحاكم فاروق .. فاذا كان طرد فاروق ديكتاتورية فليكن .. ونحن نفخر بها

ثم كان أن قرر مجلس الثورة اسقاط النظام الملكى واقامة النظام الجمهورى ، فاذا كان ذلك ديكتاتورية فما أروع ذلك وما اعظمه وما أتعس الديمقراطية اذا لم تقف الى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام

واذا كان القضاءعلى الاقطاع ديكتاتورية فماهى الديمقراطية اذن ؟ قولوا لنا يا فلاسفة هذا العصر وياحكماء الزمان !

ان الثورة كان لابد أن تمضى فى طريقها .. كان لابد أن تحقق للشعب حاجاته ، لابد أن تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية ، ويستحيل أن تحقق الثورة أهدافها ــ وهى بيضاء وليست دموية ــ الا اذا اخلى الطريق أمامها من كل الاعداء ..

فكيف يمكن ابعاد هؤلاء الاعداء من طريق الثورة ؟!

هل ببرلمان سراج الدين أو بدستور أحزاب الاقطاع امبحرية الصحافة ... صحافة « أبو الفتح » والاحرار الدستوريين وبقية الاذناب ؟!

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الاعداء ... كما حدث فى الصين ؟!

أعداء الثورة

تساءلت فى الفصل السـابق عن الطريقة التى كان يمكن بها ابعاد الاعداء عن طريق الثورة !؟

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضع البدراوى بالنسبة للشعب ، وكيف كان يمكنها أن تجنب البلاد خطر السادة الذين امتصوا دماء الملايين من المصريين ؟!

فاذا وقفنا لحظة عند كل هذه الاسئلة عرفنا أن جمـال عبد الناصر ورفاقه كان عليهم بعد طرد فاروق أن يبقوا على دستور عام ١٩٢٣ ، وهو دستور وضع على أساس النظام الملكى الاقطاعى

ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنوابه الذين يمثلون الارستقراطية المصرية ويعملون لحماية مصالحها .. وكان علينا أن نترك الاحزاب كلها بما فيها حزب عبد الهادى وحسن الهضيبى ، وحزب البيوتات الذى يضم ذوى الاصل العريق جدا .. الاحرار الدستوريين ..

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ماتشاء وتدعو الى ما تشاء .. ثم ماذا بقى بعد ذلك ؟!

بقى أن نعود الى وحداتنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس الاشخاص الذين حكموها قبل ٢٣ يوليو

أى أن ثورة الشعب المصرى تسلم قيـادتها هكذا ببساطة الى النحاس وسراج الدين والهضيبى وابراهيم عبد الهادى وكل أفاق دعى يريد ان يصبح زعيما بخطبة أو بوعد معسول !

اى أن جمال عبدالناصر ورفاقه ، وكل ضابط وكل جندى من الاحرار هؤلاء جميعـــا ماقاموا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الا من أجل النحاس والهضيبى وعبد الهادى وهيكل وباقى الساسة الذين حكموا البلاد فعلا من قبل ولم يصنعوا ثورة ، ولم يرفعوا عن الشعب ظلما اجتماعيا ولم يملاوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضا من الشفاء !؟

اى منطق هذا ؟

وفيم اذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها جمال عبد الناصر ورفاقه ومئات من الاحرار فى الجيش طوال أعوام قاسية مليئة بالاحداث والمفاجآت ؟.. هل كانوا يعدون كل هذه الاعمال التاريخية الثورية لكى يحكم النحاس وسراج الدين وهيكل وعبد الهادى ... وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد الحكم ؟!

هذا .. اذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شىء كما هو بعد طرد فاروق

يبقى البدراوى فى درين يشرب دم الالوف من المواطنين .. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب

ويبقى سراج الدين يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنابه .. ويبقى الامراء والاميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون أكل لحم البشر ، ويبقى ويبقى ..

يبقى كل شىء ماعدا فاروق .. فهل هذه هى الديمقراطية ؟ وهل هذا ما كان يريده الشعب ؟

هل هذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الطبقات ، ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود ؟!

هل هذا ما كان يعجل بتصنيع البلاد ، وانفاق نقود الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات الى أوربا ، وفى اصلاح اليخوت والقصور واعداد صنوف المتعة والرفاهية لعصابة من الافاقين العاطلين ؟!

ثم .. هل كان النحاس وسراج الدين وعبد الهادى وهيكل وباقى القطيع السياسي بدستوره وببرلمانه ، والذى كناسنتركه يحكم بعد طرد فاروق .. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديدالملكية ، واعلان الجمهورية والغاء الالقاب ، ورفع مستوى الفلاح والعامل ، واعداد العدة لكفاح الاستعمار ، ثم عدم الدخول فى أحلاف عسكرية ؟

وهل كان ذلك القطيع يقبل أن يخاطب أفراده بلقب «سيد» لا « باشا » أو « بك » أو صاحب رفعة ودولة ؟!

وهل كان محمد نجيب اذا فرضنا انه سيكون معهم باعتباره ديمقراطيا .. أقول هل كان محمد نجيب قادرا على توجيه ذلك القطيع والسير معه فى ركب التقدم والمدنية ؟

وماذا أيضا ؟!

هل كان يمكن - لو فرضنا أننا استسلمنا لهذا القطيع ولآرائه وتوجيهاته بعد ٢٣ يوليو - أن تتم الانتخابات فى البلاد وليس هناك سوى نفس النواب بدوائرهم التى تكاد تكون ملكا لهم بأرضها ، وبالناس الذين يعيشون فوق أرضها ؟!

وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا اسطر هذا الكلام، ومطلوب من أدعياء الديمقراطية ولصوص الحريات أن يجيبوا عليها ..

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رايهم ، اذا لم تكن دوائر انتخابية مسجلة بأسمائهم ؟ !

ما هى الديمقراطية فى رايهم اذا لم تكن عيشا رغدا وأشهرا ناعمة فى أوربا وثيابا من باريس وقصرا فى الخلاء .. وكلابا تأكل أطيب أرزاق البشر ؟!

ما هى الديمقراطية فى رايهم اذا لم تكن حق عضو البرلمان فى أخذ رشوة علنية من كل طالب وظيفة ، ومن كل تاجر يريد الخروج على القانون ، ومن كل أرملة تريد عملا لوحيدها ، ومن العامل والفلاح .. وحتى من أبناء السبيل ؟!

وما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن تحكم العاطلين فى العاملين ، وسيطرة الافاقين والمرتشين والخونة واللصوص والتجار والسماسرة على مصائر الملايين ؟!

ثم ماهى حرية الصحافة فى رأيهم اذا لم تكن التجارة فى الورق والسيارات والتآمر مع المستعمر .. والتحدث باسم الاقطاع والمشعوذين ؟!

أليست تلك هى ديمقراطيتهم التى يلطمون الخدود ويشقون الجيوب كمدا عليها ؟!

وأعود الى السؤال السابق ، فأقول انه كان لا يمكن للثورة المصرية أن تمضى فى طريقها اذا اكتفت بخلع فاروق .. ثم تركت الامور كما هى بعد ذلك

لو كان قد حدث هذا ، وترك جمال عبد الناصر ورفاقه الامور بعد طرد فاروق كان حتما أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية .. الا اذا كان أدعياء الديمقراطية يرون أن العدالة الاجتماعية يمكن ان تتحقق على أيدى الباشوات والهضيبى وعبد العزيز البدراوى ؟!

وفى هذه الحالة .. أكان من مصلحة الشعب أن يبقى جمال عبد الناصر ورفاقه فى أماكنهم كمسئولين عن الثورة ، ليحققوا أهداف الشعب فى فترة انتقال حدودها من تلقاء أنفسهم .. أم كان من أصول الديمقراطية التخلى عن تلك الاهداف الشعبية لتتحقق أهداف سراج الدين والهضيبى وعبد الهادى وباقى القطيع ؟!

وقد بقى جمال ورفاقه فى أماكنهم .. واستمروا فى عملية قلب نظام الحكم القديم شيئا فشيئا .. ومضوا يعملون أناء الليل وأطراف النهار .. فى الصيف وفى الشتاء .. فى البرد وفى القيظ .. ويواجهون الاحداث ويعدون المستقبل للشعب ولكى لا يعطلهم الاعداء وقطيع عهد أسرة محمد على ، اتخذوا موقفا حازما حيال كل نشاط يقوم به هؤلاء الساسة واذنابهم

.. وكان لابد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصارم حتى لا تزحف الافاعى مرة ثانية لتهدد حياة الشعب .. فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر ، وعندهم حق، فنحن ضباط وعساكر فعلا ، لكن لسنا ساسة من نوعهم ، ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب ، ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه !

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم، وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك ، وبلا بارود ينسف المدن والقرى، وبلا مجازر فى الشوارع والميادين !

وقد مضينا فى الطريق ، وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالاعداء .. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة ، يريد وقف تطور الشعب ، يريد أن يبقى كعدو الى الابد .. يعيش هو ولتمت الالوف تحت أقدامه !

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا ؟!

هل اذا وقف أبو الفتح ، ومصالحه مرتبطة بمصالح سراج الدين وباقى القطيع ، واتهمنا بأننا كذا وكذا .. هل نتركه يواصل نشاطه الاجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية؟

وهل اذا حوكم جواسيس الانجليز أمام محكمة الثورة ، وصدر الحكم باعدام شيخهم « كنج صبرى » .. واذا القينا بالمدعو « كريم ثابت » فى الليمان .. نصبح ضد الديمقراطية؟

وهل اذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع فؤاد سراج الدين من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيدا عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية !؟

وهل اذا تركنا تجار الدين يقتلون جمال عبد الناصر ، ومئات غيره ، وتركنا الهضيبى ينسف دور الحكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر فى الدين .. هل اذا كنا سمحنا بهذا ، نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور ؟!

ان طريق الثورة كان مليئا بالاعداء .. وكان لابد من ابعادهم عنه ، ولا سبيل الى ذلك الا بمعركة مسلحة يلقى فيها كل عدو للشعب مصرعه .. ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الاعداء عن الطريق بقانون الثورة . بالحزم والصمود وبالاصرار عـــلى أهدافنا ..

فضلنا هذا على المذابح والمجازر ، فهل لاننا نريد حقن الدماء .. نعمل ضد الديمقراطية ؟!

وماذا لو كنا اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتـك بفاروق وباسرته ، بدلا من اسقاطه بانذار وطرده بكلمة ... وتركنا الشعب يهاجم الاقطاعيين فى قراهم وفى قصـــورهم فيهدمها فوق رءوسهم ويأخذ الارض التى هى من حقه .. لو كنا تركنا الشعب يحطم رءوس الباشوات والبكوات وابناء الارستقراطية المصرية العفنة ، بدلا من الغاء القابهم ووقف نشاطهم ..

هل لو كنا فعلنا كل هذا ، نصبح ديمقراطيين ومن احباب الدستور ؟!



الثورة وطريق الدم

انتهي حديثى فى الفصل الماضى عند نقطة هامة للغـاية ، بالنسبة لتاريخ هذه الثورة ..

ماذا كان علينا أن نصنع منذ قمنا بتلك الثورة حتى نصبح ديمقراطيين ، ونصبح أيضا مع الدستور !؟

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم ٢٣ يوليو ضد كل الذين أراد الشعب الخلاص منهم ، الملك والاستعمار والباشوات والبكوات وملاك أرض الشعب !؟

وهل كنا حقا قادرين على ابادة كل هؤلاء الاعداء فى معركة واحدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القوات المسلحة معنا والشعب ؟

لقد كان أمرا واقعيا فعلا ان تبيد الثورة كل أعداء الشعب والا كانت مهزلة لا ثورة

ان التاريخ يقول لنا ان كل ثورة فى أى بلد من بلاد هذا العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان ــ الشعب وأعداء الشعب ــ مئات والوفا بل وملايين من الضحايا

ولكن ــ كما سبق أن قلت فى مقالاتى السابقة ــ الفـرق بين الثورة التى قامت فى مصر وبين كل الثورات الاخرى هو ان قيادتها ظهرت بين صفوف القوات المسلحة .. اى ظهرت بين نفس الصفوف التى كانت تحمى أعداء الشعب

فالجيش كانت قيادته خاضعة للقصر والاقطاع والاستعمار .. لم تكن قيادة الجيش خاضعة للشعب على الاطلاق ، لكنها

اصبحت فعلا خاضعة للشعب فى صباح ٢٣ يوليو ، ووجد أعداء الشعب أن القوة التى كانت تمكنهم من السيطرة على البلاد قد ضاعت منهم ، بل واتجهت الى ابعادهم عن طريق الشعب !..

وفوجىء العالم بثورة مصر تتبع أسلوبا جديدا فى القضاء على أعدائها لم تسبقها اليه ثورة أخرى فى أى بلد من بلاد العالم .. فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن امكانياته

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة المصرية ، وأعداء تلك الثورة لا يمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة .. فالنتيجة معروفة ! وكان عليهم أن يستسلموا .. كان عليهم — جميعا — أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا للامر الواقع ، لارادة الثورة .. وقد كان ! لكن لانهم لم يبادوا ويفنوا فى مجزرة ، ولانهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون ويعيشون بين الناس ، خيل اليهم أن من الممكن وقف الثورة بالمؤامرات ، مادامت تنقصهم القوة التى يمكنها أن تصمد أمام القوات المسلحة !

وعندما تفشل تلك المؤامرات ، وعندما تدفن الثورة كل مؤامرة فى مهدها ، عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة ، يقال عن قادتها انهم يريدون ديكتاتورية !

كأن الديمقراطية هى وقف ظهور الشعب ، وكأن الديمقراطية هى ترك الباشوات وترك الهضيبى يلقن السذج سورة آل عمران وأحدث وسائل النسف والذبح

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس محمود ابو الفتح فى مكتبه فى احدى عواصم اوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه .. وهو حليف الاقطاع والزعامات التى تعفنت !

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف جمال عبد الناصر عجلة التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات

مصر وبكواتها : تفضلوا واحكموا من جديد !

وعندما تضرب الثورة على أيدى الشيوعيين لانهم تآمروا أيضا على الثورة مع الاقطاع وتجار الدين والمستعمرين وكل الاعداء يقال عن الثورة انها لا تؤمن بالديمقراطية ، ويقول عنها الشيوعيون انها حكومة الفاشست والسفاحين !

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية ؟!

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة ؟!

هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا ؟

ان البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية

فهل الهضيبى هو الشعب ، وهل سراج الدين هو الشعب؟

وهل الجاسوس كنج صبرى هو الشعب ، وهل كريم ثابت هو الشعب ، ومحمود أبو الفتح وعدلى للوم وحافظ عفيفى وعبد الهادى وعملاء اسرائيل وعملاء كل الجهات الاجنبية .. هل كان هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى طريقها هم الشعب ؟!

وهل من أجل موقف الثورة هذا الذى تحمى به نفسها ــ وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم ــ يصبح قادتها من الذين لا يؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة ؟

□

وأعود الى موضوع الدم من جديد ، فأقول ان الثورة لو كانت بدأت فى فجر ٢٣ يوليو بمذبحة ضد القصر والاقطاع والاستعمار وعملاء الدول الاجنبية والباشوات والسماسرة ثم انتهت بانتصار شامل عليهم ، ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه أن يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره أقول لو كانت قيادة الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية الصحافة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات ، لو حدث هذا لاصبحت فى هذه الحالة فقط ..

وفى هذه الحالة فقط ، قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب !

ولكن للاسف الشديد ـ واقولها بمرارة ـ لم يحدث ان قامت تلك المجازر بعد ٢٣ يوليو

لم تفرش دماء أعـــداء الثورة الشوارع وكل شــبر فى البلاد حتى كان يمكن بعد ابادتهم بالسلاح أن يطمئن قـادة الثورة على مصير أهدافهم الشعبية ، فيقام الحكم الديمقراطى فى الحال ، وتعاد كل الحريات فى الحال ، بعد أن خلت مصر من الاعداء !

لكن .. ليس معنى أن قيادة الثورة قد اتجهت فى طـريق آخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مستعد للاتجــاه فى هذا الطريق منـــذ أول دقيقة قامت فيها الثورة

لا ـــ واقولها بملء فمي ـ فنحن كنا على استعداد لـــكل احتمال ، كنا على استعداد لخوض معركة فى ميادين القصور الملكية وفى قصور الباشوات والساسة الخونة والرجعيين ، وفى قرى الاقطاع وفى القنال

كنا سنفعل ذلك سواء من تلقاء انفسنا أو بحكم الامـــر الواقع ، وكان النصر سيحالفنا ، فالشعب وراء الجيش منذ انطلق ذلك الصوت من محطة الاذاعة اللاسلكية فى صباح ٢٣ يوليو

لكن بالرغم من ايماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة مسلحة ضد جميع الاعداء ، الا أننا كنا نضع فى حسابنا دائما مسألة الخسائر !

فماذا كان الشعب سيخسره لو خاض هو والجيش معركة كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والاقطاع وباقى الاعداء؟

الم يكن محتملا ان تدمر قرى بأكملها ومدن أيضا ؟

الم يكن محتملا أن يموت الالوف بل ربما الملايين من أبناء الشعب ؟

ألم يكن محتملا ان تتحول أرضنا الخضراء الهادئة الى ساحة

حرب يحترق فيها الاخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصاد بل والحياة نفسها ؟

وكما قلت ، كنا سننتصر حتما فى تلك المجزرة طال الزمن أو قصر .. لكن بعد النصر هل كان من الممكن اعادة بناء هذه البلاد بعد أن دمرتها الحرب ؟

واذا كانت هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشعب فى ثورته غير الدمار والموت والفناء .. واذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه الطريقة وحقن دماء الشعب وحمى اقتصاد الشعب ومدن الشعب وقرى الشعب ...

اذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هذه المعجزة ونجح فى اسقاط النظام الملكى بلا دم واعلن الجمهورية بلا دم ، وقضى على الباشوات وحكمهم بلا دم

وقاد معركة الثورة فانتصر الشعب فيها دون أن تختفى من على ظهر الارض مدينة مصرية واحدة بما فيها من ناس ومال وحياة ..

أقول اذا كان مجلس الثورة قد حقق وسيحقق الانتصارات فى ثورة الشعب ، أيعد هذا العمل التاريخى المجيد ضد الديمقراطية .. واية ديمقراطية ؟!

ان الشعب لم يصب بسوء حتى يمكن ان يجد الذين يتهموننا بالفاشية دليلا واحدا على اتهامهم لنا ، وعلى تجنيهم علينا .. بل الذين أصيبوا بالسوء هم أعداء الشعب .. هم كنج صبرى وكريم ثابت والبدراوى وسراج الدين وابراهيم عبد الهادى والهضيبى وعصابته الناسفة ، وعملاء اسرائيل وعملاء الدول الاجنبية على اختلافها

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس الثورة بالديكتاتورية

وانى أقول لهم مثلما قال ماوتسى تونج لاعداء ثورة الصين :

« نعم ياحضرات السادة ، اننا نقيم ديكتاتورية .. لكن على أعوان الاستعمار والاقطاع »

الضباط الأحرار

بعد المحنة

عام ١٩٤٩ ، بعد المحنـــة الــكبرى ، بعد أن عاد جيش البلاد من فلسطين ومعه المأساة الكبرى .. المأساة التى صنعها الخونة والسماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته .. فى ذلك العام بدأت مرحلة جديدة فى الموقف السياسى فى البلاد .. فبعد انتهاء معركة فلسطين بعـد تلك المأسـاة التاريخيـة كان على أعداء الشعب أن يبحثوا من مخرج لهم فسخط الشعب قد بلغ حدا يهدد بالانفجار وغضب الجيش بعد أن طعن من الخلف يجب أن يزول ..

وكان تنظيم الضباط الاحرار فى ذلك الوقت قد لحقته خسائر شديدة أثناء المعركة فى فلسطين . .

وكان حتما بعد المحنة ان يعوض التنظيم تلك الخسائر ، خاصة وانها ـ أى الخسائر ـ كانت قـــد بلغت الى حد ان الضباط الاحرار قد فقدوا الاتصال بعضهم ببعض ..

وقد بدأ الضباط الاحرار يعملون على الفور لاعادة الاتصال من جديد ، وكان هدفهم فى هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الاحرار ثم الســيطرة على الجيش تماما بتنظيم ضخم متماسك يمكن ان يبعد شبح المــآسى عن الجيش وعن الشعب

وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا وكانت تضم فى البــداية جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد

محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف ..

ثم تضاعف نشاط الضباط الاحرار بعد تلك الخطوة مما حتم زيادة اعضاء الهيئة التأسيسية ، فانضم اليها عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم وعبداللطيف البغدادى وكاتب هذه السطور

وفى يناير عام ١٩٥٠ اجريت انتخابات رئاسة الهيئة التأسيسية ، وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا لها بالاجماع

وعلى أثر هذا مضينا نستعد لخوض اضخم معركة فى تاريخ الشعب . بدأنا نعد أنفسنا للاشتباك مع الأعداء جميعا تحت سماء هذه البلاد ..

وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت أشبه بمسرح كبير يشهد العالم فوق خشبته أعنف مأساة انسانية تعرض لها شعب من شعوب الارض

لا عدالة ولا حرية ولا حق فى أرضنا ، بل فساد واستبداد وحكم مطلق وسماسرة يتاجرون بكل شىء ، بالسياسة وبالارزاق وبالمستقبل نفسه .. مستقبل الملايين ، أما مستقبلهم هم فقد كانوا على ثقة من أنه لا توجد قوة فى الوجود يمكنها زحزحتهم عن أماكنهم ..

فالاستعمار حليفهم والرجعية والاقطاع والبرلمان نفسه الذى يسير الامور ، كل هذا رهن مشيئتهم

لا يوجد غير الشعب

لم يكن فى مصر ابطال على الاطلاق يمكنهم خوض المعركة ضد هؤلاء الاعداء الطغاة سوى الشعب نفسه ، فكيف كان يمكن للشعب أن يخوض المعركة حتى يمكنه التخلص من قيوده كلها ..

لم تكن هناك قيادة شعبية يمكنها ان تعد الملايين لهذه

المعركة .. فحزب الاغلبية الذى يضع الشعب فيه كل آماله قد جاء الى الحكم فى ذلك الوقت وخاض المعركة ـ فعلا ـ لكن ضد الشعب ..

فزعيمه ينحنى حتى يكاد يقول للحاكم بأمره فاروق تفضل أركب على ظهرى .. وأعوان الزعيم يعملون من أجل شىء واحد فقط ولا شىء غيره .. من أجل أن يبقوا كما هم باشوات وأصحاب ضياع وعقار وجاه وسلطان .. فمن اذن يمكنه ان يقود الشعب ويكتله ضد جلاديه ؟! .. الاخوان .. ان مرشدهم يدخل القصر ويخرج منه ليسبح بحمد الحاكم .. ويعلن على الملأ أنه ملك كريم

السعديون .. انهم لا يمثلون سوى أنفسهم .. ومصالحهم مرتبطة ببقاء النظام كما هو .. بقاء الاقطاع والاستعمار والفساد والخيانة .. ببقاء الشعب فى القمقم حبيسا لايجد مخرجا ..

ماذا بقى من قيادات سياسية ؟ ..

بقى الاحرار الدستوريون ، وهم توائم للسعديين ..

من يتولى المعركة ؟ ..

كان لابد من معركة مهما كانت الظروف فمن المحال أن تبقى البلاد فريسة للحاكم واعوانه وبرلمانه ودستوره ..

من المحال ان يبقى الجياع والعراة والمستعبدون الى الابد تدوسهم اقدام العصابات الحاكمة ، ويفترسهم المستعمرون فكيف يمكن للمعركة ان تبدأ ؟ ..

كما قلت كان لابد من قيادة يتولاها وكما قلت كان لابد أن تكون قيادة من خارج صفوف حزب الوفد الذى انسلخ عن الشعب يوم أن ضمت قيادته الاقطاع

ومن خارج صفوف الاخوان الذين لا يؤمنون سوى

بالهضيبى وبالسمع وبالطاعة ·· وبولى الامر الملك الكريم ··
كان لابد أن تكون القيادة التى ستخوض بالشعب معركةالحياة والحرية غير مرتبطة بقصر او بحزب من الاحزاب المذكورة ، أو بهيئة تتاجر فى الوطنية ، وفى كل شىء .. كان لابد أن تكون قيادة تربط مصالحها بمصالح الشعب حتى يمكن أن تصمد حتى النهاية لأن فى عدم صمودها الفناء لها ·· وللشعب أيضا ..

فأين يمكن أن توجد تلك القيادة··وكيف يمكنها لو وجدت أن تبدأ فى تكتيل الشعب وخوض المعركة بعد ذلك ؟

لقد سبق أن أكدت فى مقالاتى السابقة عن الثورة والديمقراطية ، ان ظهور قيادة للثورة المصرية بين صفوف القوات المسلحة هو أمر محتوم مستمد من واقع مصر ومن ظروفها المختلفة ..

وكان لا يمكن ان تظهر تلك القيادة خارج تلك القوات والا كانت مذبحة يفنى فيها الجيش والشعب قبل أن يفنى الاعداء فمن غير القوات المسلحة كان لا يمكن للشعب خوض معركته ضد اعدائه ، لان القوات المسلحة كانت ـ فى هذه الحالة ـ ستنضم الى الجانب الآخر ، الى جانب القصر والاقطاع والاستعمار والرجعية ، ليس لان وحداتها خارجةعلىالشعب، بل لان قيادتها كانت خاضعة لاعداء الشعب وكانت تعمل على حماية هؤلاء الاعداء ، فالطريق اذن هو تخليص الجيش من قيادته الخائنة الخاضعة للحاكم والتى تحمى النظام فى البلاد، وبعد ذلك يمكن ان تبدأ المعركة على الفور .. يمكن أن تبدأ الثورة المصرية التى يؤيدها وتحميها القوات المسلحة ..

الثورة فى عام ١٩٥٠

وقد تكونت فعلا قيادة للثورة المصرية داخل الجيش .. وكان تنظيم الضباط الاحرار كما قلت قد كبر واصبح نشاطه مضاعفا فى عام ١٩٥٠

وبدات الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الاحرار تعد العدة للضربة الكبرى

كان كل فرد فى تنظيم الضباط الاحرار يؤمن بأنه اما النصر او الموت ..

وكان كل فرد فيهم يستمد القوة والعزم بل والشجاعة من الشعب نفسه ، من مشاعر الجماهير وآمالها ورغباتها وسخطها العارم على الحكام ، ورغبتها الصادقة فى التحرر

وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر والحكام ، وكانت المنشورات ثورية حددنا فيها أهداف الشعب بصراحة ..

لم نحدد فيها مطلبا للجيش أو لضباطه وجنوده ..

كل كلمة فى تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد .. فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن ننادى بها ، والشعب يريد القضاء على المستعمر وأذنابه ونحن نسجل ارادته ، والشعب يلعن الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك ونحن نطبع مئات المنشورات لنؤيد وجهة نظر الشعب . ومضى كل منا يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لبدء المعركة الشعبية ..

اما متى تبدأ المعركة فهذا ما يحدده تقديرنا للموقف بلغة العسكريين

وقدر الموقف فعلا على اساس قلب نظام الحكم القـائم واحلال نظام جديد مكانه ، وحددت المـدة لتنفيذ الخطة كاملة فى عام ١٩٥٠ بخمس سنوات .. أى ان الثورة كانت ستبدأ عام ١٩٥٥ ... وليس فى يوليو عام ١٩٥٢ ..!!

وفى يناير عام ١٩٥١ أجريت انتخابات جديدة للهيئـة التأسيسية للضباط الاحرار واعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لها للمرة الثانية ..

الشعب لا أولادنا ..

وبعد ذلك وبينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على اساس تقديرنا للموقف فى البلاد فى ذلك الوقت ، فوجئنـا بالبكباشى عبد المنعم عبد الرءوف وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الاحرار كله الى احدى الهيئات ..

ولم يجد عبد المنعم عبد الرءوف من يستمع اليه. كنا جميعا نؤمن بالشعب كوحدة .. وارتباطنا به وبأهدافه ككل ، لا بهيئة ما مهما كانت أهدافها

وأصر عبد المنعم عبد الرءوف على اخضاع الضباط الاحرار لجماعة الاخوان المسلمين ، وقال وهو يحاول اقناعنا بوجهة نظره أن جميع اعضاء تنظيم الضباط الاحرار يمكن أن يقبض عليهم قبل أن يتمكنوا من عمـل شيء .. من يرعى اطفالهم وزوجاتهم وأهلهم ؟

وقال ان انضمامنا لهيئة ما فيه ضمان لعائلاتنا فى حالة ما اذا أصابنا مكروه فالهيئة المذكورة تتولى رعاية عائلاتنا واولادنا

وقلنا له جميعا أننا مثله لنا زوجات وأولاد ، ويهمنا أن نطمئن على مصيرهم ، لكن المسألة ليست مسألة شخصية

فنحن نعد ثورة لا مؤامرة !!
ومصير أولادنا وزوجاتنا لا يعنينا لان الذى نعمل من أجله هو مصير الشعب لا أطفال الضباط الاحرار ..
وقلنا له أن ارتباط الجيش بهيئة ما يعرض البلاد للفوضى ، فالجيش يجب أن يكون خاضعا للشعب ككل .. والا جعلت منه الهيئة المذكورة اداة لتنفيذ اغراضها هى واهدافها هى .. وخططها هى !!
وقلنا له نحن لا نستطيع أن نبيع أفكارنا ومبادئنا من أجل اطفالنا ..
وأصر الضباط جميعا على رأيهم ، فالجيش يجب ان يصان من نفوذ الهيئات والاحزاب ، الجيش هو جيش الشعب وليس جيش الهضيبى أو الوفد او جماعة معينة

تنفيذ الخطة قبل موعدها ..

وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات داخل الجيش اكثر مما قدرنا ، ففى كل وحدة من وحدات الجيش اصبح لتنظيم الضباط الاحرار أفراد فيها ..
لم نكن نتوقع عندما قررنا تكوين تشكيلات بين صفوف القوات المسلحة أن تنجح الفكرة الى هذا الحد ، وكانت الامور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير ..
فقد ظهر مدى ايمان قيادة الوفد بالكفاح المسلح فكانت مهزلة القنال التى كان فؤاد سراج الدين يتولاها من مكتبه بالداخلية
ثم بدأ القصر يتآمر ، وبدأ الوفد يتراجع ، لكن الرأى العام كان فى حالة من اليقظة يصعب معها خداعه
وكان لابد من ضربة قاصمة تنهى المسألة قبل استفحالها فالضباط الاحرار كانوا قد بدأوا يساهمون فى معركة القنال رغم ارادة القصر وحكومة الوفد ..

واجتمعنا وتبين لنا أننا قد نضطر الى تنفيذ خطتنا قبل موعدها .. أى قبل عام ١٩٥٥

لمن يخضع الجيش !؟

كان نجاح تكوين تشكيلات للضباط الاحرار فى جميع وحدات الجيش هو أحد عاملين عجلا بتقديم موعد تنفيذ الخطة .. أما العامل الثانى فهو الاحداث السياسية التى طرات على الموقف فى البلاد بعد حريق القاهرة

وكان لابد من اختيار قائد للثورة .. لكى تبدأ الثورة معاركها مع اعداء الشعب فى العلن وعلى مشهد من العالم كله ..

هنا اود أن اقف قليلا ، فهنا تلعب الظروف دورها .. هنا تتحكم الصدفة ولا شيء غيرها فى الموقف

لقد كان من رأى جمال عبد الناصر وهو رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار والذى انتخب فى كل مرة رئيسا، والذى كان عليه ان يقود الثورة فى العلن مثلما قادها فى السر قبل ٢٣ يوليو .. أقول كان من رأى جمال أن يكون قائد الثورة حاملا لرتبة كبيرة من رتب الجيش ، وكان هناك رأى واحد فقط فى الهيئة يعارض ان يقود الثورة واحد من خارج الهيئة التأسيسية .. لكننا اتفقنا ـ جميعا ـ فى النهاية على أن يتولى احد الضباط الكبار قيادة الثورة ، واقترح جمال ثلاثة أسماء : عزيز المصرى وفؤاد صادق ومحمد نجيب

حقيقة فؤاد صادق

وبدات الاتصالات بعزيز المصرى ، ولكن الرجل أصر على ان يظل ابا روحيا للثورة واقنعنا برأيه

وبقى اثنان .. اللواء فؤاد صادق واللواء محمد نجيب ..

وذهب صلاح سالم لمقابلة اللواء فؤاد صادق ، ليعرف نواياه ..

وكان عثمان المهدى ـ رئيس هيئة اركان حرب الجيش قد استقال من منصبه فى ذلك الوقت ولم يكن معقولا ان يفاتح صلاح فؤاد صادق فى أمر قيادته للثورة .. فهو كان مثل محمد نجيب لا يدرى أن هناك تنظيما للضباط الاحرار

وأيضا لايدرى ان هؤلاء الضباط الاحرار قد أعدوا انفسهم للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ، كل ما كان يعرفه فؤاد صادق هو أن بعض ضباط الجيش الصغار لهم رأى معين فى الحالة وان هؤلاء الضباط الصغار لا يتعدى نشاطهم اعلان السخط والغضب والاسى ..

وأعود الى مقابلة صلاح سالم بفؤاد صادق ..

ذهب صلاح اليه فى بيته ، وقال له ان الرأى العام بين الضباط فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وقال له صلاح ان هؤلاء الضباط يمكنهم مساعدته لكى يتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير ، وظل صلاح يحدثه عن هذا الرأى العام لهؤلاء الضباط فى الجيش حتى اقتنع فؤاد صادق وآمن بأنه سيعين رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش ..

وأثناء الحديث دق جرس التليفون ، ورفع فؤاد صادق السماعة ، وكان المتكلم هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وكان مصطفى على صلة ما بالقصر فى ذلك الوقت ، وقال مصطفى كمال لفؤاد صادق ان مرسوم تعيينه رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش سيوقعه مولانا فى الصباح

وظهرت على فم اللواء فؤاد صادق ابتسامة غريبة ونظر الى صلاح نظرة ذات مغزى . ثم قال وهو لا يزال يمسك بسماعة التليفون : بتقول ايه يا مصطفى ؟ . زعق شوية

واشار فؤاد صادق لصلاح سالم أن يقترب منه ، واقترب صلاح وقرب اذنه من التليفون كما طلب منه اللواء صادق وسمع صلاح مصطفى صدقى يتحدث عن مرسوم تعيين فؤاد صادق الذى سيصدر فى اليوم التالى .. ثم وضع فؤاد صادق سماعة التليفون

عرف شخصيته

.. فى تلك اللحظة عرف صلاح شخصية فؤاد صادق

فالرجل شعر بعد أن أبلغه مصطفى صدقى بأمر تعيينه ان ـ الرأى العام ـ للضباط فى الجيش والذى حدثه عنه صلاح سالم لم يعد يعنيه ..

وقد كشف فؤاد صادق عن شخصيته امام صلاح فجأة، فبعد ان كان قد ابدى استعداده لتحقيق كل رغبات الضباط وحماية مصالحهم والوقوف الى جانبهم ، انقلب فجأة وبلا مقدمات وبعد أن عرف أن هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل فى تعيينه فقد عين والحمد لله ..

ان اللواء فؤاد صادق كشف عن حقيقة معدنه عندما قال لصلاح بعد مكالمة مصطفى صدقى بالحرف الواحد :

ـ اذا كنت بقيت رئيس اركان حرب الجيش فده بمجهودى انا .. وبدراعى انا!

ثم قال لصلاح انه سيعمل على اقامة النظام الكامل فى الجيش وانه لن يسمح بأى نشاط ضد نظم الجيش

وصمت لحظة ثم عاد يقول لصلاح المذهول :

ـ لازم تفهم انت والضباط اللى معاك الكلام اللى بقوله ده .. لانى سأنفذ القانون .. وانصحك انك واللى معاك تدوروا على مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل أولادكم احسن ! !

ولم يتمالك صلاح نفسه فقال له وهو حزين آسف :
ـ دى آخر مرة اخش فيها بيتك ... السلام عليكم !!
وهم صلاح بالانصراف وسمع فؤاد صادق يقول له وهو فى طريقه الى خارج البيت :
ـ بيتى مفتوح .. اللى يحب ييجى ييجى.. واللى مايجيش هوه حر ..
وعاد صلاح الى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين فؤاد صادق ، المرشح الثانى لقيادة الثورة ، وكانت مفاجأة للجميع !!
أما لماذا لم يعين فؤاد صادق فى اليوم التالى رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش وعين بدلا منه فى اللحظة الاخيرة حسين فريد فلذلك قصة ثانية ، لعب فيها تشكيل الضباط الاحرار دورا حاسما ..

اين كان محمد نجيب !؟

كيف تم الاتصال بنجيب !؟
كيف ظهر على المسرح .. وهو الذى لم يكن يعد ثورة أو اى شيء !!
لقد كان نجيب فى ذلك الوقت قائدا لسلاح الحدود .. ولم تكن له صلة ما بالحركة . ولم يكن يدرى مثل فؤادصادق ان هناك فى الجيش تنظيما ضخما يعمل تحت الارض ويعد العدة للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ..
لم يكن يعلم شيئا بالمرة ، وكنا فى أواخر عام ١٩٥١ ..
واعود مرة إخرى الى الصدفة العابرة ، الصدفة التى جعلت اسم نجيب .. يتردد على السنتنا وجعلت جمال يرشحه مع عزيز المصرى وفؤاد صادق لقيادة الثورة

فقد صدر الامر بنقل نجيب من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ..

وعين حسين سرى عامر ذنب السراى مكانه .. ولم يكن لهذا النقل من مبرر

وتردد فى صفوف الجيش ان محمد نجيب قد يستقيل بعد اللطمة التى وجهت اليه ، وكان الشعور العام فى الجيش ضد حسين سرى عامر .. لا لشىء الا لانه ذنب للسراى !!

ومن هنا كان العطف على نجيب

شعر الجميع انه ضحية لحسين سرى عامر ، ولو كان نجيب نقل او احيل الى المعاش وعين بدلا منه اى مدير آخر لسلاح الحدود لما حظى بتأييد الرأى العام فى الجيش على الاطلاق ، لكن لان الذى عين مكانه هو ذنب للسراى فنجيب اذن يستحق العطف ، ويجب ان يقف الضباط الاحرار الى جواره . وفعلا حدث عقب ان سرى نبأ اعتزام نجيب تقديم استقالته ان اتصل به جمال عبد الناصر وقال له :

ـ ان الضباط يطلبون منك أن تبقى كما أنت فى سلاح المشاة ولا داعى لتقديم استقالتك

وقال له جمال ايضا ان اللطمة التى وجهت اليه انما هى موجهة للجيش ، ولهذا فالجيش يعتزم رد اللطمة باشد منها ! !

هكذا بدأ اتصال الضباط الاحرار باللواء نجيب ، فهو فى محنة وهم يقفون الى جواره باعتباره ضحية لذنب السراى ..

ومن هنا جاء ترشيحه لتولى قيادة الثورة ، ومن هنا بدأ القدر يفتح امامه ابواب التاريخ !

خطة الثورة

بعد البداية

وقفت فى الفصل السابق عند البــداية .. بداية اتصال تشكيل الضباط الاحرار باللواء محمد نجيب ، وكان ذلك فى عام ١٩٥١ ، وذلك الاتصال تم لا على أساس مفاتحته فى موضوع قيادة الثورة ، بل لاقناعه بعدم تقديم استقالته بعد أن نقل من منصبه فى سلاح الحدود الى المشاة ، ليحل حسين سرى عامر عميل القصر مكانه بناء على رغبة القصر

وشرحت فى المقال السابق كيف حظى اللواء نجيب بتأييد الرأى العام فى الجيش أو بعبارة أخرى بتأييد تنظيم الضباط الاحرار ، وهم كانوا على استعداد لتأييد اى ضابط كبير آخر أصابه سوء على يدى عميل السراى حسين سرى عامر !

وفى ذلك الوقت لم يكن محمد نجيب يعلم ماذا يجرى فى الجيش ! ؟

لم يكن يعلم أن فى الجيش تنظيما سريا ضخما يباشر نشاطه تحت الارض استعدادا لقلب نظام الحكم . !

ولم يكن يعرف أنه كان ـ فى ذلك الوقت ـ المرشح الثالث لقيادة الثورة فى حالة ما اذا لم يتول قيادتها عزيز المصرى أو فؤاد صادق . !

وفى المقال السابق عرف القارىء كيف صمم عزيز المصرى على أن يبقى أبا روحيا لنا . وبذلك كان علينا الاتصال بالمرشح الثانى اللواء فؤاد صادق ، ثم اكتشف صلاح سالم حقيقته أثناء وجوده فى بيته ، وعرف مدى غروره وصلفه وأنانيته ، عرف من أى طينة عجن ذلك الرجل !

وبعد ان ظهرت لنا حقيقة فؤاد صادق أسقطناه من حسابنا ثم جاء دور المرشح الثالث محمد نجيب ، وحدث ما رويته من نقله الى سلاح الحدود ، ثم اتصال جمال عبد الناصر به وتأكيده له ان الجيش يعتبر اللطمة التى اصابته موجهة للجيش نفسه ، وسيرد الجيش اللطمة بأشد منها ... للقصر !!

وبعد اتصال جمال باللواء محمد نجيب استعد تنظيم الضباط الاحرار لرد اللطمة فعلا . واجتمعنا وقررنا انتكون اللطمة عن طريق نادى الضباط !

اختبار قوة الاحرار

قررنا ان نخوض معركة انتخابات النادى لانتخاب محمد نجيب رئيسا لمجلس الادارة مع حرمان سلاح الحدود من تمثيله فى المجلس ، لأن مديره حسين سرى عامر خصم لنا .. ولانه عين القصر المفتوحة فى الجيش . !!

ولم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط الانتقام من حسين سرى عامر ورد اللطمة للقصر فقط ، بل رأينا ان هذه المعركة اذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى القادمة معركة قلب نظام الحكم ، فمعركة الانتخابات اذا خضناها تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الاحرار ضد القصر ، وانتصارنا فيها يشعرنا بالثقة، ويبعث فى نفوس جميع الرفاق فى التنظيم الاحساس بالقوة ، وليس هذا فقط فان الجيش بعد انتصارنا فى معركة النادى سوف تسرى فيه روح جديدة ويكون الانتصار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الاحرار

وقدرنا ايضا نتائج كثيرة أخرى لمعركة انتخابات النادى لو انتصرنا فيها فالملك سوف يشعر بهزيمة عملائه فى تلك

الانتخابات بأن الجيش غير راض عن تصرفاته ، ويمكن أثناء هذه المعركة كشف الخونة وجميع عملاء القصر وهم الذين سيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم للفوز فى معركة النادى ...

ومضينا نستعد للمعركة الاولى بيننا وبين القصر ، وشعر القصر بأن فى الجيش نشاطا مريبا ، وان فى الافق سحبا تنذر بالشر ، فأصدر أمرا بتأجيل انتخابات نادى الضباط . !

التنظيم يتحدى أمر التاجيل !

وقد كان علينا أن نمضى حتى النهاية لتنفيذ خطتنا كاملة ، ولم نبال بقرار التأجيل . فصدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بأن يتوجه أكبر عدد منهم الى النادى فى نفس التاريخ المحدد للانتخابات وكان محددا لها ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١

وفى الموعد المحدد كان فى نادى الضباط عدد كبير من الضباط الاحرار . واعلنوا على الفور احتجاجهم على أمر تأجيل الانتخابات ، ثم طلبوا دعوة الجمعية العمومية للاجتماع بعد ثلاثة أيام بوساطة رياسة الجيش لتقرر ما تشاء !!

ولم نكن نتوقع أن تستجيب رياسة الجيش لهذا التحدى ، لكن يبدو انها — أى الرئاسة — خشيت توتر الموقف فاستجابت للمطلب وتمت عملية الانتخاب !

وهنا وزع الضباط الاحرار كشفا بمن يرشحونهم للانتخاب . ومن ضمن هؤلاء الذين حددنا اسماءهم اللواء محمد نجيب .. وهو الذى لم يكن يعرف ماذا يجرى وراء الستار . وماذا نعده له نحن أفراد التنظيم من مفاجآت كبرى ستغير مجرى حياته . !

ونجحت خطة التنظيم .. فكل الذين سجلنا اسماءهم فى

قائمة الانتخابات نجحوا وبأغلبية ساحقة . !

وليس هذا فقط ، بل لقد مضينا فى تحدى القصر الى أبعد مدى ، فرفض تعيين مندوب من سلاح الحدود فى مجلس ادارة النادى . !

وكذلك كسبنا المعركة حسب الخطة الموضوعة ! وقد حدث ما توقعناه ، ارتفعت الروح المعنوية بين جميع أفراد القوات المسلحة ، وازددنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا . . !

وجاءت الاحداث .. !

واقبلت الاحداث لتدفع عجلة التاريخ بسرعة لم نكن نتوقعها ، فقد وقع حريق القاهرة ـ يناير سنة ١٩٥٢ ـ واجتمعنا على الفور لنغير خطتنا كلها . وكان الاجتماع فى منزل حسن ابراهيم ، وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى ، عملية قلب نظام الحكم ، لكن ذلك الحدث الضخم كان أشبه بالنذير لنا .. وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية ، ثم قررنا أن نكون على استعداد خلال شهر واحد ... وبذلك تغيرت الخطة . !

وأثناء حريق القاهرة صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار الذين فى القاهرة بمقاومة أعمال التخريب ، كنا نعرف النتيجة ، فالقصر والاستعمار واعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة . ولا سبيل الى مقاومة هؤلاء الاعداء الا بثورة ، لا بالتخريب والخطب الرنانة ، وقد وضح الموقف السياسى فى البلاد وضوحا تاما بعد حريق القاهرة ، وعرف من لم يكن يعرف انه لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار ..

فقيادة الوفد انتهازية وتمسك الحبل من الوسط ، فهى مع الشعب حينا وضد الشعب فى أغلب الاحيان . !

وكانت وزارة على ماهر التى تكونت عقب حريق القاهرة عبارة عن خدعة أراد القصر والاستعمار بها التمهيد لحكم البلاد بالحديد والنار ثم تصفيـــة الحركة الوطنية نهائيا على ايدى الخونة والاذناب وأصحاب المصالح المتناقضـــة مع مصالح الشعب !!

وفعلا لم تلبث وزارة على ماهر أن طارت فى فبراير .. اى بعد أيام من تأليفها !

حقيقة رشاد مهنا ..

وقبل ان أمضى فى سرد احداث ما بعد حريق القاهرة ، أود أن أقف قليلا لاتحدث عن رشاد مهنا .. لازيح الستار عن سر آخر غير سر محمد نجيب !!

ان رشاد مهنا لم يكن فى تنظيم الضباط الاحرار ، لم يكن واحدا منا .. وعلاقته بنا سأتناولها بالشرح التام .. فقد حدث بعد انسحاب عبد المنعم عبد الرءوف من الجمعيـــة التأسيسية للضباط الاحرار أن اقترح جمال عبد الناصر ضم رشاد مهنا بدلا منه ، وعارضت راى جمال لانى كنت اعرف شخصية ذلك الرجل .. من تاريخه ومن واقع تصرفاته !!

لكن جمال ذهب فعلا الى رشاد مهنا وعاد ليقول لنا ان رشاد لم يصدق أن فى الجيش تنظيما سريا يعد العدة للقيام بثورة فى البلاد . كل ما كان يعرفه رشاد مهنا هو أن فى الجيش رأيا عاما ضد القصر فقط ، وقال لنا جمال أيضا ان رشاد مهنا رفض ان ينضم الى التنظيم وقال انه يفضل التعاون من بعيد لبعيد !!

وهكذا تراجع رشاد مهنا فى عام ١٩٥٠ ، مثلما تراجع من قبل عام ١٩٤٢ .. ولذلك قصة سأرويها فيما بعد ! !

وأعود الى قصتنا فأقول انه بعـد أن طارت وزارة على ماهر فى فبراير عام ١٩٥٢ ، ذهب جمال عبـــد الناصر مرة

ثانية الى رشاد مهنا ، وفاتحه فى موضوع تنفيذ الخطة . .
اى قلب نظام الحكم ! !

وهنا شعر رشاد مهنا أن المسألة جد ، وان الجيش فعلا يمكن أن يفعلها ـ اليوم ـ ويقلب النظام ، وقد وافق رشاد مهنا فى هذه المرة على الاشتراك فى تنفيذ الخطة ، وقال لجمال عبد الناصر ان معه ناسا ، أى وراءه رأى عام فى الجيش . . !
وقد وضع جمال خطة قلب نظام الحكم على أساس ان رشاد مهنا سيشترك فيها وان معه ناسا وصدرت الاوامر للضباط الاحرار بالاستعداد . . وكان ذلك فى مارس عام ١٩٥٢

رشــاد مهنا يتراجع . .

وفجأة بعد أن اعددنا كل شيء للتنفيذ ، على أساس اشتراك رشــاد مهنا معنا جاء ذلك الرجل الى جمال ليقول له انه نقل الى العريش . .

وعرفنا بعد ذلك ان رشاد مهنا قدم طلبا كتابيا الى رئاســة الجيش للخدمة خارج القاهرة . . ويبدو أنه شعر بعد أن اتفق مع جمال على الاشتراك فى قلب نظام الحكم . . أقول انه شعر بالخوف فقدم ذلك الطلب ليبتعد عن هؤلاء الذين يريدون توريطه فى عملية قد تطير فيها رقبته !

وقد عدلت الخطة بعد تراجع رشاد مهنا وسفره الى العريش وكان لابد من تعديلها بحيث لا تعتمد على رشاد مهنا ، والغيت الاوامر واجلت العملية الى أجل غير مسمى

كان موقف رشاد مهنا صدمة لكل الضباط الاحرار وأخرجنا رشاد مهنا من حسابنا نهائيا ، مثلما أخرجنا عبــد المنعم عبد الرءوف ، وكان ذلك باعثا على ارتياحى أنا شخصيا لأنى كنت أعرف حقيقة رشاد مهنا أكثر من جميع الزملاء . . وكان رأيى دائما هو عدم الاتصال به أو الثقة فيه

محمد نجيب والرغبة السامية

مايو ١٩٥٢ ، وكنا فى رمضان ، طلب محمد نجيب عقد الجمعية العمومية لنادى الضباط بناء على رغبة سامية !

وعرض نجيب على الجمعية موضوع قبول عضو من سلاح الحدود ورفض الطلب بالاجماع ..

كان نجيب حتى ذلك التاريخ لا يدرى ما يدور حوله .. لا يعرف شيئا ولا يرى شيئا ..

ان آخر شيء كان يتوقعه محمد نجيب هو ان يقلب الجيش نظام الحكم ؟

أقول كان لا يعلم حتى ذلك الحين ـ مايو عام ١٩٥٢ ـ ان فى الجيش تنظيما سريا ولم يعرف اى شيء عن الضباط الاحرار ، وانما كان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم

ولم يكن يعرفهم على أساس انهم يعملون داخل تنظيم سرى يعد العدة للقيام بثورة ، بل كان يعرفهم على اساس ان لهم رأيا عاما فى الجيش فقط !

هكذا كان وضع قائد الثورة الذى حرر البلاد ، وطرد الملك واعلن الجمهورية وحطم الاقطاع وقضى على تجار السياسة والفساد

هكذا كان حال اللواء محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ أى فى عام الثورة ، رجلا مسالما يرى ان الرغبة السامية لها احترامها ويرى ان المسألة فى الجيش ليست ثورة بل رأيا عاما لجمال وصلاح وعبد الحكيم !

هكذا كان حال الرجل الذى تحدث عنه العالم كله وأشاد بثورته المجيدة وببطولته الفذة ، وقيادته للشعب المصرى فى معاركه ضد الاستعمار والاقطاع .. ضد جلاديه

كان مثل أى رجل فى مصر وفى مثل سنه ، مثل أبى وأبيك ..

كان موظفا يجلس الى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه أى شىء عن العدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار ، كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة .. عام ١٩٥٢ هو نفس الشىء الذى كان يشغل بال اى موظف كبير فى مثل سنه .. ربما علاوة او ترقية أو منصبا آخر غير منصبه فى سلاح المشاة !

لم يكن يخطر على باله أن التاريخ يعده ليكون أكثر من هذا .. ليكون على راس ثورة .. ثم ليكون رئيسا لجمهورية البلاد .. لا رئيسا لسلاح الحدود !!

ولم يكن يخطر على باله ان جمال وعبد الحكيم وصلاح الذين يراهم احيانا كما يرى عشرات غيرهم من الضباط فى كل يوم يعدون العدة لكى يفتحوا أمامه أبواب التاريخ ثم ليقولوا له .. تفضل .. أنت زعيم !!

هذا هو وضع محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ ... فى عام الثورة !! ..

موظف كبير من موظفى الدولة .. اساءت اليه السراى عندما نقلته من وظيفته ، فقرر القدر ان يعوضه عن هذه الاساءة الهينة بوضعه على راس الدولة !!

جمال وعبد الحكيم فى القاهرة

وأعود الى القصة فأقول انه فى صيف ذلك العام بحث التنظيم أمر تنفيذ الخطة من جديد .. وتقرر تأجيل التنفيذ الى نوفمبر من نفس السنة .. سنة ١٩٥٢

وكان هناك أربعة من الهيئة التأسيسية للتنظيم خارج القاهرة وهم جمال وعبد الحكيم وصلاح وكاتب هذه السطور .. كنا فى العريش ورفح

وفى شهر يوليو سافر عبد الحكيم عامر الى القاهرة فى أجازة مرضية ، وسافر جمال الى الاسكندرية فى اجازة أيضا ، ثم

قطع جمال اجازته وعاد الى القاهرة بعد أن سمع اشاعات عديدة عن الاجراءات التي سيتخذها الملك ضدالضباط الاحرار .. وبعد ان سمع ان هناك أوامر من الملك بسرعة البحث عن هؤلاء الضباط بين افراد القوات المسلحة للبطش بهم ! .

١٥ يوليو .. ونجيب لا يعرف !

وفى ذلك الوقت اى فى يوليو .. اى فى شهر الثورة ، كان محمد نجيب مريضا فى منزله ، وأيضا ليس فى ذهنه شيء عن أية ثورة . !

ربما كان أمله الوحيد فى شهر يوليو ان يغادر فراشه الى عمله فى سلاح المشاة ، وكان أملنا نحن هو أن يغادر ذلك الرجل فراشه ليذهب الى قصر عابدين رئيسا للجمهورية !

أى موقف ذلك الذى مرت به الثورة المصرية فى ذلك الشهر من عام ١٩٥٢ . ؟ !

خطة الثورة توضع وقائد الثورة فى منزله لا يعلم !؟ قائد الثورة فى فراشه والثورة نفسها تجهله .. قائد الثورة فى فراشه ، والثورة نفسها لا تدرى هل هو الذى سيوضع على رأسها ، أم سيكشف احد حقيقته فى اللحظة الاخيرة ، مثلما اكتشف صلاح حقيقة فؤاد صادق . !؟

لم يكن هناك وقت على الاطلاق امام جمال ورفاق جمال لاكتشاف حقيقة محمد نجيب .. فنحن فى ١٥ يوليو .. ونجيب لا يعلم شيئا بالمرة .. ثم يصدر الامر بحل مجلس ادارة نادي ضباط الجيش

نجيب فى بيته لا يعلم

صدرت الاوامر بحل مجلس ادارة نادى الضباط فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ .. كانت مفاجأة للجميع ، وان كنا نعرف ان القصر كان يتربص بمجلس الادارة المذكور بعد ان لمس مدى سيطرة ذلك المجلس على الموقف وتحديه للرغبات السامية ، ورفضه قبول عضو يمثل سلاح الحدود

ولم تصـــدر الاوامر فقط بحل المجلس ، بل وبتعيين مجلس ادارة مؤقت ، ليس للضبــاط الاحرار عليـــه سلطان او نفوذ !

وشعرنا جميعا بأن الضربة الثانية ستوجه للضباط الاحرار، وكان علينا أن نبـــدأ فى العمل فورا لنضيع على القصر فرصة البطش بنا

وفى ١٦ يوليو عقد اجتماع سريع حضره جمـــال وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وبغدادى وكان ذلك الاجتماع هو اخطر اجتماعات الهيئة التأسيسية التى كان بعض افرادها فى فلسطين ورفح فى ذلك الوقت ، وفى ذلك الاجتماع تقرر بدء المعركة الكبرى النهائية ، وكان يجب علينا ان نأخذ بمبدأ المبادأة حتى لانؤخذ على غرة ، ويتوصل جواسيس القصر الى معرفة اشـــخاص الضباط الاحرار وتشكيلاتهم فى أسلحة الجيش المختلفة

الوقت سيد الموقف ..

وكانت هناك حركة تنقلات ضخمة فى الجيش ، وشـــعر

التنظيم أن هذه الحركة انما الغرض منها هو تشتيت شمل الضباط الاحرار واحداث ارتباك بين صفوفهم .. وفعلا حدث ما كانت تهدف اليه رئاسة الجيش .. فقد بدات التحركات بين وحدات الجيش على اثر صدور حركة التنقلات السريعة وشعر التنظيم بالخلل فى جهازه نتيجة تلك التحركات .. فهناك ضباط احرار كان عليهم أن يتركوا أماكنهم الى غيرها نتيجة لتلك التحركات الجديدة

كانت فترة حاسمة فى تاريخ الضباط الاحرار ، وكان الوقت هو سيد الموقف .. ولابد من التماسك والتكتل ثم الوثوب على الاعداء قبل أن تحدث كارثة

كانت هناك خطتان .. نواجه بهما الموقف :

الاولى هي البدء فى تنفيذ الخطة الاساسية ، أى القيام بقلب نظام الحكم ، واقامة نظام جديد ، فاذا لم يكن هذا ممكنا . اى اذا ما جاءتنا احداث جديدة ، أو ظروف طارئة تؤجل الخطة الاولى وتنفذ الخطة الثانية وهى كانت تقضى بالقيام بحركة اغتيالات على نطاق واسع

كنا فى ١٨ يوليو ، شهر الثورة .. وعندما استعرضت الخطة الثانية اعترض عليها جمال عبد الناصر

قال أن الاغتيالات لن تحقق اهدافنا ، لان النظام سيبقى كما هو حتى لو نجحت خطة الاغتيالات

وقال جمال ايضا ان هذه الخطة سوف تعطى فرصة لقوى الرجعية مجتمعة تقضى فيها على جميع الضباط الاحرار . وبهذا نكون قد ضيعنا الفرصة الكبرى على الشعب ، فرصة قيام القوات المسلحة وهى أمل البلاد الوحيد بقلب نظام الحكم

١٩ يوليو ونجيب لا يعلم .!

كانت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار توالى اجتماعاتها

فى تلك الايام التاريخية الرهيبة المليئة بالاحداث

وأبلغ جمال الهيئة انه يمكن تنفيذ الخطة الاساسية بالقوات الموجودة ، وقال ان ذلك يمكن ان يتم ليلة ٢١ و ٢٢ يوليو

كل هذا كان يحدث وكل تلك الاحداث التاريخية الكبرى كانت تقع واللواء نجيب فى بيته لا يعلم شيئا ولا يرى شيئا .. بل لم يكن قد عرف ان فى الجيش تنظيما سريا سوف يقلب نظام الحكم .. وكنا فى ١٩ يوليو

وقد صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بالانتظار يوميا فى « مراكز تجمع » من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف الليل .. وابلغوا بموعد التنفيذ ، وكل هذا واللواء نجيب فى بيته لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا ، بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقت بمسألة قيادته للثورة .. على أى حال لقد كان كل شىء يعد له لكى يدخل من ابواب التاريخ، لكى يحرر الشعب ، ويطرد الملك ويقضى على الفساد ويعلن الجمهورية ..

كنا جميعا نمهد له الطريق فى تلك الايام نحو الخلود . . كنا نواصل ليلنا بنهارنا لكى يخرج من بيته ـ وهو لا يعلم ـ ويقال له .. أنت زعيم

رقابنا .. ومصائر أطفالنا وزوجاتنا .. كل هذا لكى يصبح اللواء الذى فى بيته على راس الدولة وهو لا يعلم

وكما قلت كنا فى ١٩ يوليو ، أى قبل الثورة بأربعة أيام

لنتأمل ـ اذن ـ فى هذا الوضع التاريخى العجيب ،وليتأمل معنا العالم كله فى كيف يصبح الرجل ـ اى رجل ـ زعيما وقائدا لثورة شعبية فى أربعة أيام .. فى غمضة عين

أليس هذا شيئا أشبه بالسحر ؟ الا يذكرنا هذا بمصباح علاء الدين وخاتم سليمان ، والعملاق الذى يخرج من القمقم

ليقول : شبيك لبيك عبدك وملك يديك !

لقد قلنا للواء نجيب هذا .. قلنا له شبيك ولبيك وكل ما تطلبه بين يديك .. وطلب أن يكون فكان

العمالقة على باب نجيب ..

قلت اننا كنا فى ١٩ يوليو ، وكانت الاوامر قد صدرت الى مجموعات الضباط الاحرار ، وكان على كل مجموعة أن تنفذ دورا معينا فى الخطة

وكان جمال عبد الناصر هو الذى وضع الخطة العامةوعاونه عبد الحكيم عامر وكمال حسين ، وكان عبد الحكيم فى تلك الايام كما قلت ــ فى الفصل السابق ــ فى أجازة مرضية

وتم وضع الخطة العامة ثم كلف عبد الحكيم بوضع الخطة التفصيلية واستعان عبد الحكيم بزكريا محيى الدين

وفى ٢٠ يوليو أى قبل الثورة بثلاثة أيام توجه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى بيت محمد نجيب لابلاغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقلب نظام الحكم

وطرق العملاق باب البيت وكان عند نجيب البكباشى جلال ندا والصحفى محمد حسنين هيكل .. وكانت الانظار قد اتجهت الى نجيب فى ذلك الوقت بعد أزمة مجلس ادارة نادى الضباط

واقول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى الالف أن نجيب لم يكن يعلم لماذا جاء جمال وعبد الحكيم .. وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل مجلس ادارة النادى ولتشجيعه كالعادة .. وتظاهر جمال وعبد الحكيم انهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء .. وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع الثورة .. فلا أحد فى الحجرة كان يعلم ماذا فى رأس جمال وعبد الحكيم ، ولا أحد فى الحجرة ــ حتى نجيب ــ كان يتخيل

انهما جاءا ليقولا لنجيب : أيها القائد .. انت زعيم الشعب
والحديث الذى دار كان حول موضوع نادى الضباط فقد كان ذلك الموضوع هو حديث الناس فى ذلك الحين ، ودار الحديث ــ كما قلت ــ حول التصرف الذى يمكن أن يحدث بعد حل مجلس ادارة النادى .. وقال جمال عبد الناصر :
ــ احنـــا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة ... ومحتارين مين اللى يرفعها
وقال جلال انه مستعد أن يرفع القضية باعتباره ضابطــا على المعاش وعضوا فى النادى
ومضى جمال حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهـــات وأعطاها لجلال ندا كمصاريف للقضية .. ولم يتمكن جمال وعبد الحكيم من الانفراد بنجيب ، وكان عليهما أن يتظاهــرا أمام ندا وهيكل بأنهما ما جاءا الا للاستفسار عن صـــــحة نجيب
وظلا جالسين فترة طويلة ، والحديث يدور حول نفس الموضوع .. وحول القضية التى سيرفعها جلال ندا امامجلس الدولة .. وأخيرا لم يجد جمال وعبد الحكيم بدا من الانصراف .. دون أن يفاتحا « نجيب » فى مسألة الثورة .. وهو كان لا يدرى ماذا فى رأسيهما
وبعد تلك الزيارة ــ فى ٢٠ يوليو ــ لمس جمال انه ربمــا يكون من الخطر على الثورة الاتصال بنجيب مرة ثانية . اذ ربما انه كان فى ذلك الوقت موضوعا تحت المراقبة
وامام هذا الخاطر قرر جمال الاتصال بنجيب بعد نجاح الخطة .. أى بعد القيام بالثورة

ازمة النادى وازمة الحكم

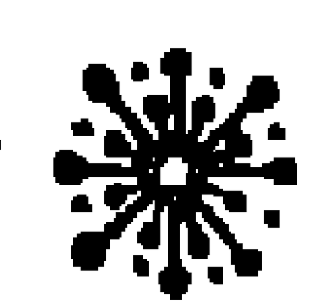
وجاء يوم ٢١ يوليو .. ولم تكن الخطة التفصيلية قد فرغ منها بعد

وأجلت العملية من ليلة ٢١ ـ ٢٢ الى ٢٢ ـ ٢٣ حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين لازالوا فى الاجازة ، وكان كمال الدين حسين هو حلقة الاتصال معهم .. يبلغهم تطورات الموقف أولا بأول

فماذا حدث بعد ٢١ يوليو ؟!

اى قبل الثورة بيومين اثنين ؟!

ان نجيب لم يعرف . كان لا يزال ينتظر فى منزله حل أزمة نادى الضباط ، أما نحن فكنا ننتظر حل أزمة نظام الحكم



أحداث الليلة الأولى

احداث الليلة الاولى

تأجلت عمليــة قلب نظام الحكم من ليلة ٢١ ــ ٢٢ الى ٢٢ ــ ٢٣ يوليو ، حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين كانوا فى الاجازة

وكمال الدين حسين كان حلقة الاتصال بين التنظيم وبينهم، ليبلغهم تطورات الموقف اولا بأول ، بعد أن اتخذت الجمعية التأسيسية للضباط الاحرار قرارا ببدء الثورة

وكنت قد قلت فى مقال سابق أن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ذهبا الى بيت اللواء نجيب يوم ٢٠ يوليو ، ليبلغاه ــ ولاول مرة ــ أن فى الجيش تنظيما سريا له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة

ثم ليبلغاه أيضا أن هذا التنظيم السرى الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم وانه ــ اى التنظيم ــ قد اختاره ليكون قائدا للثورة وان العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى !

وفى بيت نجيب وجد الرفيقان زوارا عنده ، فلم يتمكنا من ابلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط ، وكان نجيب يجهل تماما الغرض الذى جاء من اجله جمال وعبد الحكيم ، كان يعتقد انهما ما جاءا الا لزيارته ، ولتشجيعه ــ كالعادة ــ بعد أن حل مجلس ادارة نادى الضباط

ومر الوقت والزوار مع نجيب ، والرفيقــان يتحدثان عن كل شىء ما عدا ــ الثورة ــ وقلب نظام الحكم

ثم خرجا بعد أن أوهما الزوار ومحمد نجيب أيضا ان كل

ما يشغل بالهما هو رفع قضية فى مجلس الدولة ، لعدم شرعية حل مجلس نادى الضباط وتعيين مجلس جديد له

وفى ذلك اليوم ـ ٢٠ يوليو ـ قرر جمال عدم الاتصال باللواء نجيب ، لابلاغه بأن الثورة ستقوم وانه قائدها الا بعد انتهاء العملية ونجاحها

لقد قال جمال أن بيت نجيب ربما كان موضوعا تحت المراقبة: بعد ان ظهر أمام السراى كخصم لحسين سرى عامر ، وفى هذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطرا على الثورة

الوزارة الخامسة والاخيرة !..

وبعد هذا اى فى ٢٠ يوليو ، تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليلة ٢٢ ـ ٢٣ يوليو ، وصدر ذلك القرار بالموعد النهائى من اعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة ، ولم أكن موجودا يومها فى القاهرة وايضا صلاح سالم وجمال سالم فقد كنا فى العريش ورفح

وفى ذلك الوقت ، عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان حسين سرى قد استقال مع وزارته ، وهى الوزارة المشهورة التى كان كريم ثابت ـ باشا ـ وزيرا فيها

ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة

وكانت حكومة حسين سرى فى قبضة السماسرة والخدم، وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة ، لا يكاد افرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى تتحرك اصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمى ...

كيف يحكم الشعب ؟

ان نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه والبلاد معه ..

والمسألة كانت : هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال كريم ثابت ؟!

ان الشعب كان لا يحكم على الاطلاق فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد اخرى غير مصر

فكيف ـ اذن ـ كان يمكن أن يحكم الشعب والقـــوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه ؟!

كان حتما ـ اذن ـ كما قلت فى مقالاتى كلها أن يتخلى الجيش عن قيادته الخائنة المتآمرة مع القصر والاقطاع والاستعمار على الشعب ..

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال ، فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا الى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم

كيف ظهرت القيادة الجديدة ؟

وكما قلت وسأقول دائما أن الثورة المصرية كان عليها فى عام ١٩٥٢ ، أن تجد قيادة جديدة لها ..

قيادة غير وفدية ، لان الوفد انسلخ من الشـــعب عندما ضمت قيادته الاقطاعيين

وغير قيادة السعديين والاحرار الدستوريين الذين يمثلون مصالح الساسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعيـة المصرية ..

وغير قيادة الاخوان ، لان الاخوان أهدافهم هى استغلال الدين لمصالح الرجعيين ..

هو الدين الذى تقف آياته فى صف الشعوب لاحكامها ..

أين ـ اذن ـ كان يمكن أن تظهر قيادة شعبية للثورة المصرية ؟...

وفي أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن ان يخرج زعماء يولون وجوههم شطر الشعب ويعطون ظهورهم للاستعمار والقصر !

ليس هناك سوى القوات المسلحة كما قلت ، فهى الصفوف التى تضم الوف المصريين المسلحين ..

والضباط والجنود الذين تضعهم تلك القوات ليسوا مرتبطين ـ بأية مصالح ـ مع القصر والاقطاع وحاميهما الاستعمار !..

فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحالة خاضعة لمصالح الشعب ، ويمكن ان تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح

وكانت منشورات الضباط الاحرار تعلن اهداف تنظيمهم الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد ، وهى ـ أى المنشورات ـ كانت تحدد اتجاهات الشعب تماما، فى السياسة وفى الاجتماع ، كانت المنشورات صدى لما يعتمل فى صدور الملايين المصرية !..

وفى كل صباح كانت تلك المنشورات تحمل أهداف القيادة الجديدة .. الى الشعب والجنود والضباط

والضباط الاحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش ، حتى أن ادارة المخابرات وهى من اخطر اجهزة الجيش وامنعها كان للضباط الاحرار افراد فيها !

وأمام هذه الحقائق كلها تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة .. وتحددت ـ كما قلت ـ ليلة ٢٢ ـ ٢٣ ، للبدء فى العملية .. لقد ظهرت القيادة الجديدة !

فى مطار العريش

وفى يوم ٢١ يوليو .. فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة الى العريش .. وهى نفسها

الطائرة التي تسافر الى العريش عادة كل يوم ــ اثنين ــ لكن فى هذه المرة كان حسن ابراهيم فيها ، ارسله جمال عبد الناصر الينا .. صلاح سالم وجمال سالم وأنا

وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بنا تليفونيا واخطرنا بأن « حسن » فى طريقه الينا .. وفى مطار العريش كنت مع جمال سالم فى انتظار الطائرة

جاء حسن ابراهيم ليبلغنا أن الخطة الاساسية ستنفذ مابين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس !

وطلب حسن منى أن أسافر على الفور الى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر

وقال جمال سالم انه مادامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة ، فانه سيبقى فى العريش لينهى بعض الاعمال العاجلة ، ثم يطير الى القاهرة يوم الخميس

وتركت حسن ابراهيم لاعود الى رفح سريعا ، واعددت حقائبى على الفور ، ثم استأذنت من قائدى فى السفر، بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جدا .. وكان القطار الذى يسافر الى القاهرة يقوم فى الصباح !

وفى صباح ٢٢ يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة

من السينما الى المعركة

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، رأيت أن اقضى السهرة مع أولادى فى احدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا .. اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى لاقابل جمال عبدالناصر واتلقى منه ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة

وكانت دار السينما تعرض ــ كالعادة ــ ثلاثة افلام مرة واحدة ... وجلست مع الاولاد فى السينما نتابع الروايات الثلاث

وفى خلال تلك المدة كان جمال قد ذهب الى منزلى بسيارته

الاوستن المشهورةولم يجدني، ولم يعرف البواب دارالسينما التي ذهبنا اليها وعاد جمال يسأل مرة اخرى بعد ساعة فلما لم يجدني ، ترك لي بطاقة مع البواب كتب عليها :

« المشروع ينفذ الليلة ، المقابلة في بيت عبد الحكيم الساعة ١١ ... »

وجمال في تلك الليلة كان يلف بسيارته في جميع انحاء القاهرة كالنحلة تماما .. ليوزع الاوامر على الزملاء ..

وما كاد البواب يناولني البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسي أقفز فوق درجات السلم الى شقتي ، تاركا اولادي مذهولين مع البواب !..

وخلعت القميص والبنطلون ، وارتديت ثيابي العسكرية ، ثم ركبت سيارتي الخاصة الصغيرة وانطلقت بها

انني لم أجد أحدا في بيت عبد الحكيم عامر ، فأين اذهب؟ كنت حائرا ..!

الملازم الذي قبض علي !

لم أر بدا من التوجه الى مبنى رياسة الجيش ، لابد أن قواتنا قد اتجهت اليها مادامت العملية قد بدأت ، وكنت منطلقا في شوارع القاهرة بأقصي سرعة تحتملها السيارة الصغيرة ، وعندقشلاق العباسيةأوقف أحد الضباط سيارتي ولما رأى رتبتي خاطبني بلهجة حاسمة مليئة بالحزم ، بالرغم من انه كان يوزباشيا لكنه كان من الضباط الاحرار ..

قال لي ان لا أذهب الى وحدتي في الصباح وأن اكون في انتظار أوامر جديدة !

وعلمت ان تلك كانت صيغة الامر الذي يبلغه الضباط الاحرار الى جميع الضباط من رتبة بكباشي فما فوق !

وتابعت مسيري فوصلت الى قشلاق السواري ، وكان الطريق هناك مقفلا ، وتأكدت ان العملية بدأت فعلا وخاصة بعد أن

سمعت أصوات مئات الطلقات وهى صادرة من ناحية مبنى القيادة ..

وأردت أن أمر من «الكردون» الذى صنعته قواتنا ، ولكن الضابط منعنى ، وكان صارما جدا معى .. لانى لا اعرف كلمة السر

كان موقفي رهيبا .. فبلا كلمة السر لن يسمح لى الضابط الصغير ان أمر من « الكردون » الا على جثته ! فكيف أتصرف معه ؟!

كيف أقنعه انى من الاحرار .. كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا ..

لقد كنت أرى أشباحا عديدة من بعيد .. انها قواتنا تقلب نظام الحكم ، وأنا واقف خلف « الكردون » والضابط الصغير يمنعنى بل وبدأ يتحرش بى ..

وامتلأت رأسى بمئات الخواطر .. ترى هل أصيب احد من الزملاء .. ترى ماذا يصنع جمال الآن .. وأين عبد الحكيم .. أين الجميع وماذا صنعوا ؟!

وعدت بسيارتى ثم اضطررت الى اللف من فوق كوبرى القبة ، لامر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش

وهناك وجدت الطريق مغلقا أيضا ، ولكن ضابط «الكردون» كان يعرفنى .. لمحت وجهه من بعيد فعرفته ، انه ملازم أول كان يعمل معى فى رفح ، وهو يعرفنى شخصيا قضينا معا وقتا طويلا فى مكان واحد

واقتربت من « الكردون » وقد استراحت أعصابى قليلا .. أضاء الامل فى صدرى .. سوف أمر اذن واشترك فى العملية !

وما كدت أقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعنى من الاقتراب .. ثم وهو يقترب منى ويرى وجهى .. لكن لا تظهر على وجهه علامات تبشر بالخير ، فبالرغم من انه

عرفنى الا انه كان لا يعلم انى من الضباط الاحـــرار فالقى القبض على فى الحال ..

وهنا شعرت بصدرى يمتلىء بالضيق وبراسى تكاد تنفجر، حاولت افهامه دون جدوى ، ان الصداقة التى تربط بيننـا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة او الموت .. فلم يصدقنى لانى لا اعرف كلمة السر ولم أعرف ماذا يمكننى ان افعـل وزاد من هلعى أن أصوات الطلقـــات النـــارية من قريب ازدادت حدتها .!

يا عبد الحكيم .. أنا أنور .!!

وفجأة اضاء الامل مرة ثانية صدرى . وكنت مع الملازم صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى ، فسمعت صوتا من بعيد يشبه صوت عبد الحكيم عامر .. واجتاحنى شـعور بالخلاص ، كان الصوت القريب الى نفسى يصدر تعليمات الى قوات كثيرة ، ويحدد لها أماكنها .. وفى هذه اللحظة كانت العربات المحملة بالجنود والضباط تمر من امامى ، انها قواتنا بدأت تقلب نظام الحـكم !

وجدت نفسى أنادى بملء صوتى :

يا عبد الحـكيم .. يا عبد الحـكيم .. انا أنور .!

ورأيت شبح عبدالحكيم يقترب منا .. وهنا فقط افرج عنى صديقى الضابط !

البطل الصـامت .!!

ومضيت مع عبد الحكيم .. لم يكن معى سلاح ، وناولنى عبد الحكيم طبنجة .. وهو فى تلك الليلة كان يحمل كل انواع الاسلحة الصغيرة ..

وبدأت اســـأل عبد الحـكيم فى لهفـــة عن الموقف .. وكان صوت الطلقات لا يزال يدوى كالرعد من حولنا ، وقال عبد الحـكيم :

ـ رئاسة الجيش سقطت ..
وصمت ثم عاد يرد على اسئلتى فى هدوء عجيب ..
قال لى :
ـ الطلقـات اللى انت سامعها دى عمليـة تطهير لمبنى الرئاسـه !
ولم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة انه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش ، وانه هو الذى احتلها بجنوده !
هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته .. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين .. عندما تقدم وفى يده مسدس ومن خلفه عسـاكره واقتحم مستعمرة نيتساليم ... وكان تصرفه ذلك أشبه بالاساطير التى ترويها لنا جداتنا ...
ولولا انه رقى الى رتبة صاغ استثنائيا لما عرف أحد ماذا صنعه يوم نيتساليم .. انه صامت على الدوام ، لا يتكلم ابدا عن نفسه ، وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد !!
لقد كان عبد الحكيم عامر دائما باسلا حاسـما يخوض معاركه بايمان راسخ متين وأعصاب تبـدو سـاعة المعارك كأنها الفولاذ !
انه فى يوم نيتساليم بمسدسه وعساكره من خلفه .. وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه ..
وفى يوم ٢٧ فبراير فيما بعد .. فى عام١٩٥٤ حين تدخل ببسالته وحسم الموقف ، فمنع بجرأته قيـام حرب أهلية كانت على وشك ان تقع بعد دقائق ..
أقول فى كل هذه المواقف كان عبد الحكيم بطلا اسطوريا يحمل رأسه على كفيه وبايمان لايزعزعه رصاص أو ديناميت!

المخابرات تعرف الخطة

وأعود الى قصتنا .. الى قصة سقوط رئاسة الجيش .. بمن فيها من قواد !!

في الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو ، توجه أحد ضباط المخابرات ، اليوزباشي سعد توفيق وهو كان من الضباط الاحرار وابلغ جمال عبد الناصر أن الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش ، وأن حسين فريد رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، قد دعا قواد الوحدات الى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة ..

جمال كقائد ..

وكان معنى ذلك أن الثورة لن تقوم .. بعد أن عرفت قيادة الجيش خطة الضباط الاحرار ..

ولكن جمال عبد الناصر لم يتراجع .. ان العملية قد بدات ولا سبيل الى التقهقر ، فلم يبق غير ساعة واحدة وتصل جميع قواتنا الى مراكز تجمعها .. وتبدأ المعركة !!

أقول لم يتراجع جمال ، بل قرر القبض على هؤلاء القواد الذين دعاهم حسين فريد للاجتماع فى مبنى الرئاسة !!

وفى ذلك الوقت ، وبعد كل التطورات كان اللواء محمد نجيب لا يزال فى منزله .. لايرى شيئا ولا يسمع شيئا !

كيف نجحت الثورة ؟

شخصية جمال

بدأت الثورة اذن ــ واللواء نجيب لايعلم ..

وانطلقت رصاصات جنود عبد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوان .. وبقوادها

لقد كان بين الذين وقعوا فى قبضة الثورة فى لحظاتها الاولى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بلحمه ودمه .!

لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتا طيبا ، كما وفر علينا جهودا ضخمة فى نفس الوقت فبعد أن علم جمال عبد الناصر بأن المخابرات كشفت الخطة كان مفروضا ان تقف جميع العمليات التى سيقوم بها الضباط الاحرار يوم ٢٢ يوليو .. اى تقف الثورة ويبقى النظام ..!

وهنا تتضح شخصية جمال كقائد .. انه لا يتراجع .. انه يصمد .. يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة واخمادها .. وبعد ان عرف هذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم ، وبهذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة فى الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم .. كل على حدة !

لقد اصطاد جمال عصافير عديدة بحجر واحد .. اما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجىء جمال بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم ــ اليوزباشى محمد شديد ــ نحو مراكز تجمع قوات الضباط الاحرار .. وظن جمال ان تلك القوة أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمة

للقوات التى ستحشدها لاخماد الثورة .!!

وتتضح الحقيقة .. ويعرف جمال ان اليوزباشي « شديد » جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه ، وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة ، فقرر ان يشترك بجنوده فى المعركة قبل موعد بدئها بساعة .!!

وكانت تلك المفاجاة مكملة لمفاجاة كشف المخابرات للخطة ، واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من حسين فريد فى مبنى الرئاسة .!

واتخذ قرار فى الحال بعد وصول قوة الضابط شديد بأن تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاسة الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل .!

وفعلا قام عبد الحكيم وهو يشهر مسدسه ، وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة وانتصر التنظيم فى المعركة الاولى ، وهى كانت أول معركة حاسمة ، تكسبها الثورة .!

وقد قتل فى تلك المعركة اثنان وجرح اربعة من الفريقين .!

مفيش حاجة

كان كل واحد من الضباط الاحرار يحتل مكانا معينا فى أرض العملية ، وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة .. ولعل جمال عبد الناصر كان الوحيد الذى ليس له مكان يستقر فيه .. كان يطوف بأرض العملية كلها .!

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة اركان الحرب وقواده كان جمال قد انتهى من طوافه ، واطمأن على نتائج الضربة الاولى فتوجه الى مبنى رئاسة الجيش وجلس فى المكتب .. ثم دق جرس التليفون بعد وصول جمال بقليل ، وكان المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى ..

وسمع جمال النجومى يسأل عن حسين فريد رئيس هيئة اركان الحرب .. ورد عليه جمال بأن الباشـــا يقوم بجولة تفتيشية !

وسأل النجومى عن اسم من يتحدث اليه فقال له جمال انه الضابط النوبتجى !

والنجومى كان يتحـــدث من الاسكندرية ليطمئن على الموقف .. وسمع جمال النجومى يقول له :

ـ حسين فريد وهوه بيكلمنى من شـوية سمعت ضرب نار والسكة انقطعت

ورد عليه جمال فى هدوء :

ـ لا .. مفيش حاجة ابدا !

رشاد مهنا مرة اخرى

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليو بلغت من القاهرة اشارة ـ النجاح ـ المتفق عليها الى جميع وحـدات الجيش خارج القاهرة .. فلم تمض ساعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الاحرار ..

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ اشـــارة النجاح يسيطر الضباط الاحرار على القوات فى الحال

وفى العريش ورفح كان صلاح سالم وجمـــال سالم قد سيطرا على جميع القوات هناك سيطرة كاملة .. بمن معهما من ضباط احرار

وفى تلك اللحظة وبعد أن سيطر جمال سالم وصلاح سالم على قوات العريش ورفح توجه جمال سالم الى رشاد مهنا .. وكان وقتذاك فى العريش كما سبق ان قلت ، وطلب جمـال سالم من رشاد مهنا أن يتولى قيادة لواء العريش وبالرغم من أن رشادا كان قد عرف أنباء نجاح التنظيم فى السيطرة على

الجيش ، الا انه تردد أيضا فى هذه المرة مثلما كان دائما يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات !

وبعد أن رفض رشاد مهنا ان يتولى القيادة فى العريش ، طلب جمال سالم من صلاح حتاته ـ رئيس الدائرة الاولى لمحكمة لشعب فيما بعد ـ أن يتولاها وفعلا تولى صلاح قيادة لواء العريش بدلا من رشاد مهنا !

حقيقة تعلن لاول مرة .!

اين كان نجيب أثناء هذا كله .. وماذا كان يفعل .. والساعة كانت الثالثة من صباح ٢٣ يوليو .. وكل شيء كان قد تم بنجاح مذهل ، وأقول كل شيء لان قيادة الضباط الاحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات المسلحة بعد ابعاد قيادتها الخاضعة للملك هو الاساس فى عملية قلب نظام الحكم !

وقد تم هذا فعلا فى الساعة الثالثة من صباح ٢٣ يوليو .. وسيطر الضباط الاحرار على جميع قوات مصر المسلحة فى القاهرة وخارج القاهرة فى تلك الساعة !

فأين كان اللواء محمد نجيب ... قائد الثورة ؟!

أين كان فى تلك الساعة ..بعد نجاح العملية الكبرى وبعد أن أصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه .. ويذود عنه !

فى الساعة الثالثة صباحا من ٢٣ يوليو بدأ أول اتصال بين قيادة الجيش الجديد أعنى الضباط الاحرار وبين محمد نجيب .. وهذه حقيقة تعلن على العالم لاوة مرة !

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون !

لقد دق جرس التليفون فى رئاسة الجيش للمرة الثانية ، ورفع جمال عبد الناصر السماعة . وظن أن المتحدث هو

اللواء عبد الله النجومى أيضا .. يريد أن يطمئنه حسين فريد على الحالة !

ولكن المتحدث فى هذه المرة كان اللواء محمدنجيب ..وكان يتكلم من منزله .. وقال محمد نجيب بالحرف الواحد :

ــ المراغى اتصل بى من اسكندرية .. وقال لى روح‌هدى الحالة فى رئاسة الجيش .. هيه ايه الحالة يا جمال !؟

وانى أنقل هنا ما كتبه اللواء محمد نجيب بنفسه فى عدد الاهرام الصادر فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٤ ونشرت الجريدة ما كتبه نجيب فى صفحتها الاولى تحت عنوان .. قائد الثورة يسجل ..

قال نجيب عن حديث المراغى معه بالحرف الواحد :

ــ دق جرس التليفون فى منزلى ، واذا بالاستاذ مرتضى المراغى يكلمنى من الاسكندرية ويقول لي : الاولاد بتوعك متجمهرين عند كوبرى القبة وعاملين دوشة .. قوم سكتهم أحسن مش راضيين يسمعوا كلام حد !

وقلت له : أنا ماعنديش أولاد ولا حاجة !

قال لى : فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة ..!

قلت له : أعرف منين الكلام ده ، يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم ..

فقال لى المراغى : أنا حا أجيب لك دولة الرئيس الهلالى باشا علشان يكلمك بنفسه ويعطيك عهد ان ما حدش يمسكك ..

قلت له : وازاى اتحقق من شخصيتكم فى التليفون !؟

ومرت لحظات ، واذا بالتليفون يدق من جديد ، وكلمنى الاستاذ نجيب الهلالى من الاسكندرية وقال لى :

ــ انا أستاذك يانجيب .. ومستقبل الوطن متوقف‌عليك ، فأرجوك تعمل على تهدئة الحالة لان‌الانجليز سيحتلون مصر ،

وتبقى مسألة خطيرة .. فطمأنتــه وقلت له : « انى ذاهب لارى الحالة بنفسى »

انتهى ماكتبه نجيب بنفسه فى الاهرام عام ١٩٥٤

والذى لم ينشره اللواء نجيب فى الاهرام هو حقيقة مافعله بعد اتصال المراغى والهلالى به ليلة ٢٢ يوليو .. انه كان فى منزله .. لايرى شيئا ولا يعلم شـــيئا ... ثم فى الساعة الثالثة اتصل بجمال فى مبنى القيادة ــ كما قلت ــ وبعد أن كان كل شيء قد تم واصبح الجيش تحت سيطرة الضـــباط الاحرار !.

وقد رد جمال على سؤال نجيب بأن وضح له الموقف كله .. وابلغه ــ لاول مرة ــ ان فى الجيش تنظيما اسمه تنظيم الضباط الاحرار ، وأن قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت ــ الآن ــ على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد !

قال جمال لنجيب بالحرف الواحـــد فى تلك الساعة من صباح ٢٣ يوليو شارحا له الحكاية :

ــ الضباط الاحرار قاموا بالثورة الليلة ..والثورة نجحت والمنطقة العسكرية محاصرة .. واحنـــا عايزينك تيجى ، حانبعتلك عربية تجيبك ..

وهكذا عرف نجيب ــ لاول مرة ــحكاية الضباط الاحرار !

وفى الساعة الخامسة صباحا .. أى بعد ســـاعتين من معرفة نجيب لحكاية الثورة ، وبعد ان عرف أن جمال يجلس ــ الآن ــ مع اعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش اقول فى الساعة الخامسة وصل نجيب الى مبنى رئاســـة الجيش .. وفى هذا الوقت كان عبد الحكيم عامر جالسا يعد البيان الذى سيذاع على الشعب فى الصباح من محطة الاذاعة

وجلسنا جميعا فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس .. وكل شيء قد كلل بالنجاح الساحق ، ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصورة السريعة الخاطفة !

القاهرة تستيقظ

واشرقت الشمس على القاهرة ، ثم خرج النـــاس من منازلهم ، وامتلأت شوارع المدينة الكبيرة بهم ، وخرج أفراد منا الى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة علىالشعب ثم بدأ الصحفيون يفدون الى مبنى القيــادة .. ان الشعب يؤيد ما حدث .. ان الشعب يعلن عن تأييده فى كل شبر فى البلد ، الناس فرحون . كل الناس . فقد كانت فرصة العمر !!

صحيح ان الشعب فوجىء بما حدث ، لكن المفاجأة ايقظت وعيه فى الحال ، فوقف الى جانب القوات المسلحـة لايمانه بأنها ستتولى تصفية حسابه مع جلاديه !!

ان الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى ، كان يرى صورا للشعب مليئة بالامل والثقة !

ان بائع « الخروب » الذى وزع ما يحمله على الناس مجانا فى ميدان السيدة زينب ، كان يعبر بتصرفه ذاك عن ايمان الشعب بما حدث ، وايضــا كان يعبر عن حاجـة الشعب الملحة الى قيام ثورة ..

وغير بائع الخروب .. مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى صدق كبير بهجة الشعب بما حدث فى تلك الليلة .. بثورة القوات المسلحة من اجله !

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة احداث ٢٣ يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الاساسـية ، وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل :

الاولى : السيطرة على القوات المسلحة

والثانية : السيطرة على البلد ..

والثالثة : طرد الملك ..

وفى الاسكندرية كانت حكومةالبلاد والملك يترقبان ماسوف يجرى بعد ذلك فى حيرة .. وربما كانت الحكومة والملك ، بل وكل أعداء الشعب .. كانوا لايتوقعون أن يمضى الجيش الى أبعد من هذا .. لقد ظنوا ان المسألة لاتعدو طلبات يريد هؤلاء الضباط اجابتها ، ثم ينتهى الاشكال ..!

فى أقل من ٢٤ ساعة ..

وكنا نحن نعتقد أن تنفيذ المراحل الثلاث للخطة الاساسية، ربما استغرق وقتا طويلا بعد بدء العملية ..

لكن ما ان انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد أصبحت مطلقة ، بل ان الذى كان يرى حال البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم .. كان يقطع بأن الجيش قد سيطر عليها أيضا !

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة .. أى سيطرة قيادة الثورة على البلد .. يبدو من فرحة الناس بما حدث .. وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق !

تمت — اذن — مرحلتان من الخطة الاساسية فى أقل من ٢٤ ساعة .. لقد كانت — فعلا — معجزة لم نتوقع أن تتم على الاطلاق فى مثل هذا الوقت القصير جدا !.. ولم يبق أمامنا الا المرحلة الثالثة .. طرد الملك !

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية ...

طرد الملك فاروق

ثورة بلا ضحايا

انهارت القلاع واحدة وراء الاخرى فى ساعات ، وكانت الخطة الاساسية لقيادة الضباط الاحرار تتضمن ثلاث مراحل ..

وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات ..

وسيطر الضباط الاحرار على الجيش تماما فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢

ثم سيطرت قيادتهم على البلد نفسها فى اليوم نفسه ، فقد كان الشعب يترقب تلك الفرصة ، وهى كانت فرصة العمر كما قلت أمس ، وما كاد يسمع البيان الذىأعدته قيادة الضباط الاحرار من الراديو حتى وقف وراء القواتالمسلحة مؤيداً ومنفذا لتوجيهات قيادتها الجديدة ، فلم يقع حادث تخريب واحد ، ولم تحدث فتنة ..

لم يجد أعداء الشعب فرصة لاحداث شغب يعطل تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، وهى السيطرة على البلد ..

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحال بالرغم من انه فوجىء بما حدث فى ذلك اليوم ، وكان ذلك الوعى هو المظهر الحقيقى القوى لسيطرة قيادة الضباط الاحرار على البلد . وكان معنى وقوف الشعب وراء احداث ٢٣ يوليو هو أن الشعب يريد ثورة ... يريد الخلاص .. !

وكل شىء كان هادئا فى البلاد .. لا دم ولا بارود ..

لا قتلي ولا جرحى .. لم تنسف مدينة ولم تتزلزل الارض تحت أقدام الناس ..!

انها كانت ثورة عجيبة لم تشهد بلد من بلاد العالم التى تحررت مثيلا لها ..

كل ثورة كان لها ضحايا يعدون بالالوف وبالملايين الا ثورة مصر ..!!

كل ثورة كان لايمكن ان تتقدم خطوة الا اذا فتكت طبقة بأخرى فتمضى فى طريقها فوق الاشلاء والدم والانقاض .. الا ثورة مصر

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتل وتشيع الموت حيث تكون الا ثورة مصر ..!

ان كل شيء كان هادئا فى مصر يوم الثورة ..

لم يكن فى مصر غير الفرحةوالآمال التى سطعت فىالصدور

لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم ٢٣ يوليو ، وبالرغم من هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم فى طريقها بنجاح وسرعة مذهلة ، لا تكاد تصدق !

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الكبرى لان الثورة المصرية ليس لها أعداء ..!؟

لا أحد يمكنه أن يزعم هذا ، فلم توجد الثورة التى لا أعداء لها ..

فكيف اذن لم تحدث مجزرة ..؟

كيف لم تغرق الدماء الشوارعوكيف لم يقتلمواطن واحد من أبناء البلاد ، الذين يريدون التحرر .. !؟

كل مواطن كان يجلس فى بيته وفى عمله أو فى المقهى .. كل الشعب كان هادئا ساكنا ونظام الحكم يشهد اخطر تطور منذ ثلاثة آلاف سنة ..!

فما هو السر ؟.. لماذا تكون الثورة المصرية هى وحدها

التى تتم هكذا فى هدوء ، وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول ؟
لماذا أخذت الثورة المصرية هذا الشكل السلمى العجيب ؟!
انني هنا أقول مرة أخرى ان السبب فى هذا هو ان اعداء الثورة المصرية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة، ثم فجاة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الاعداء بعد ان أصبح لتلك القوات قيادة جديدة ..
فكان على هؤلاء الاعداء أن يستسلموا أو يبادوا ، فلا قوة هناك يمكنها أن تحميهم .. لم يعد معهم جيش ولا شعب !
هكذا بدأت عملية تغيير نظام الحكم ، وهكذا مضت فى طريقها بعد ٢٣ يوليو !

ابواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد الا مرحلة واحدة ، ثم تبدأ الثورة المصرية تحقق أهدافها ، لم يبق الا طرد الملك ...
وجلسنا فى مبنى القيادة ، بعد أن أعد عبد الحكيم البيان الذى سيذاع على الشعب فى صباح ٢٣ يوليو وكنا فى تلك اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما ، وكان اللواء نجيب قد عرف ان الجيش قام بثورة بعد أن سأل جمال عن الحكاية فرواها له ، وأخبره ان الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش ، ثم طلب منه أن يحضر فورا الى مبنى الرئاسة وأرسل له سيارة لتعود به ..
وفى اللحظة الاولى التى وطئت اقدامه فيها مبنى رئاسة الجيش كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها امامه .. كان قد اصبح زعيما ، وهو الذى كان لايعلم ..
كان قبل حضوره بلحظات يسأل جمال عن الحكاية ، لان المراغى طلب منه تهدئة ـ الاولاد ـ الذين عملوا « دوشة » عند كوبرى القبة !

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضى بأن نقوم بمناورة معالملك ، حتىنطمئن الى انه ليس هناك تدخل أجنبى يهدد مصالح البلاد وبعد أن نطمئن ننقض على صاحب الجلالة ونطرده ..

وجلسنا نتكلم ، وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسة الحكومة ، او بعبارة ادق حول الرجل الذى نريد فرضه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء ، وكان نجيب لايزال فى منزله.. لم يحضر الينا بعد . فهو قد حضر كما قلت فى الساعة الخامسة صباحا ..

واستعرضنا اسماء رجال السياسة الذين يمكن ان نفرضهم على الملك رغما عنه !

ولم نكن نريد على الاطلاق واحدا من رجال الاحزاب ، مهما كان موقفه من القصر ، لاننا أردنا الا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض معمصالح الشعب . . فالمسألة كما قلت كانت عملية تغيير كامل لنظام الحكم ، ولم تكنمسألة حكومة من الحكومات !..

ورأينا ان على ماهر هو الرجلالوحيد الذى لاينتمى لحزب من الأحزاب ، وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الامور بعد ٢٦ يناير المشهور !

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاض على الملك ..

على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من الهلالى الذى كان موجودا فى الحكم حينئذ ، فاذا خضع الملك لرأينا وجاء بعلى ماهر يمكن بعد ذلك ان نبعث به الى الملك يحمل طلبات لنا ـ كما تقضى المناورة ـ فاذا رفض الملك طلباتنا كان ذلك ايذانا ببدء المعركة معه !

وبعد أن انتهينا من هذه المسألة فتح باب الحجرة ودخل اللواء نجيب .. قائد الثورة ..

البحث عن عنوان على ماهر

وفى الساعة التاسعة من صباح ٢٣ يوليو اتصــل نجيب الهلالى بنا مرة ثانية ، وحاول أن يتفاهم ، وتحدث اليه محمد نجيب وكنـــا من حول نجيب نهمس فى أذنه بما يجب أن يقوله للهلالى ..

وانتهت المحادثة ولم ينجح الهلالى فى اقناعنا بشىء ..

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال بعلى ماهر لنبدأ المناورة ثم تتم المرحلة الثالثة من خطة التنظيم .. أى طرد الملك ..

ولم اكن أعرف عنوان منزل على ماهر ولا احد فى الحجرة كان يعرف العنوان ايضا .. وكان الصحفيون يفـدون منذ الصباح المبكر على مبنى القيادة .. وفى هــذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان منزل على ماهر دخل علينا الاستاذ احسان عبد القدوس ، وسألته على الفور هل يعرف منزل على ماهر ، ورحب احسان بتوصيلى الى المنزل .. وقمت معه على الفور ..

هل هذه طائراتكم ؟

وصعدنا الى الدور الثانى فى المنزل ، وجلسنا فى الشرفة فى انتظار على ماهر . وجاء على ماهر ، وقبل أن يجلس قال لى ان عنده فى البيت ـ الآن ـ الاستاذ ادجار جلاد فهـل يأتى به ليحضر المقابلة ، فقلت له :

ـ لا ، مايجيش .. عايزين نقعد وحدنا ..

وبدأت أتحدث اليه عن مهمتى ... قلت له اننى موفد من القيادة لـكى يؤلف الوزارة

وخيم الصمت علينا فترة قصيرة .. وانتظرت رد على ماهر .. ولـكنى شعرت انه يريد أن يسمع كلاما اكثر ، وفى هذه اللحظة بالذات مرت أربع طائرات من ذوات الاربع محركات فوق رؤوسنا ، على ارتفاع قليل لدرجة أن أصواتها

غطت على حديثنا فسكتنا الى أن ابتعدت ، وهنا التفت على ماهر وسألنى :

ـ الطيارات دى بتاعتكم ؟

وأجبته مبتسما لاطمئنه :

ـ نعم ، والقوات المسلحة كلهـــا لا تخضع الا لقيادتنـا اليوم ...

ومضيت أتحدث الى على ماهر بصراحة .. تـكلمت عن الفساد وعن الاوضاع الغريبة التى تمر بها البلاد ، وعن الملك وتصرفاته الشاذة.. (وهنا شعرت بقدم احسان عبدالقدوس تدوس على قدمى .. وبدأ احسان يزغدنى خلســة حتى لا استمر فى الحديث بهذه الصراحة)

لـكنى لم أتوقف . ومضيت أتكلم بصراحة اكثر ، حتى يفهم على ماهر وجهة نظر القيادة .. ثم عدت أقول لعلى ماهر أن القيادة تـكلفه بتأليف الوزارة ..

وقال على ماهر :

ـ انا مستعد أتعاون ، بشرط أن يكلفنى الملك بتـــأليف الوزارة !

وقلت له :

ـ تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة ، فجهز نفسك من الآن ..

ثم قلت له وانا أهم بالانصراف :

ـ فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا ..

وقبل أن أنصرف قال على ماهر :

ـ الزيارة دى ستبلغ للملك .. واظن من الاحسن ابلغها انا دلوقت لادجار جلاد وهوه موجود عندى !

وقلت له :

ـ تقدر تقول اللى تحب تقوله .. احنا بنشتغل دلوقت على المكشوف . وعلى فكرة نجيب الهلالى اتصل بنا النهارده

وعرف اننا رفضنا بقاءه فى الوزارة .. ولابد انه بلغ رأينا للملك ..

.. ثم غادرت منزل على ماهر الى القيادة

لقد بدأت المناورة مع الملك ...

وجاء عم ناريمان

وجلست أروى تفاصيل ما دار بينى وبين على ماهر للزملاء .. ثم جاء من يخبرنا ان مصطفى صادق عم ناريمان يريد مقابلة أحد من القيادة

لقد جاء مصطفى صادق ليعرض علينا تعيين اللواء نجيب وزيرا للحربية

وقال لنا مصطفى صادق أيضا انه ما علينا بعد تعيين نجيب وزيرا للحربية الا أن نذهب الى قصر رأس التين ونقيد أسماءنا فى سجل التشريفات ثم ينتهى الاشكال !

وفوجىء مصطفى صادق برفض العرض الذى حمله اياه فاروق .. وقلنا له انه لابد ان يؤلف على ماهر الوزارة بلا مناقشات أو اخذ ورد

ثم قلنا له ونحن نشيعه الى الباب ان على ماهر سيحمل طلبات أخرى لنا الى جلالة الملك ..

وخرج عم ناريمان بعد فشله فى مهمته

وكان البيان الذى أذعناه اكمالا لخطوات « المناورة » لايتضمن سوى أن الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه .. أى أن الحركة مقصورة على الجيش فقط ..

كانت المناورة متشعبة وكان لابد لنا أن نأخذ حذرنا ..

ومن اجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم ٢٣ يوليو

الملك يطلب منا تأليف الوزارة

وبعد ظهر ٢٣ يوليو جاء عم ناريمان الى القيادة مرة ثانية ، وكان يحمل عرضا جديدا من الملك ..

قال لنا ان جلالة الملك يعرض علينا نحن أن نؤلف الوزارة وشعرنا بسخف الاقتراح ، الى حد اننا لم نحتمل وجود عم ناريمان معنا فى الحجرة فطردناه منها .. بدلا من توديعه كما فعلنا معه فى المرة الاولى

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب ، وشعرنا فى تلك اللحظة أن المناورة بدأت تنجح

وقد اتصل بنا على ماهر بعد خروج مصطفى صادق بقليل ، وقال لنا انه تلقى الامر بتشكيل الوزارة ..

ثم قال أيضا ان الملك طلب اليه ان يسافر فى الحال الى الاسكندرية ، وانه ـ أى على ماهر ـ يريد مقابلتنا قبل أن يسافر ، ليعرف وجهة نظرنا تماما ، ثم يحمل طلباتنا بعد ذلك ليبلغها الى صاحب الجلالة ..

وقال على ماهر ان الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه

جر شكل الملك

لقد كانت المسألة فى نظر الملك .. بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فى ذلك اليوم هى اننا نريد تطهير الجيش فقط من الخونة والاذناب .. كانوا يعتقدون انها ازمة لاتلبث أن تحل ، ثم تعود المياه الى مجاريها .. يبقى الملك على عرشه ويبقى الجميع فى أماكنهم .. والشعب أيضا ..

لقد كانت المناورة فى بدايتها ..

كنا نجلس فى مبنى القيادة نمد خطة خلع الملك ، والملك فى الاسكندرية ينتظر وصول على ماهر اليه ليطمئنه بعد أن تحل الازمة باجابتنا الى طلباتنا ..

قد حددنا لعلى ماهر الساعة الخامسة والنصف من مساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش .. ثم بعد ذلك يسافر الى الاسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة ..

وفى الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة .. جمال عبد

الناصر ومحمد نجيب وانا ، وتوجهنا الى منزل على ماهر واكمالا للمناورة سلمنا على ماهر عريضة دونت فيها طلبات الجيش ..

انني أذكر اننا وقعنا فى ورطة عندما قال لنا على ماهر قبل أن نقابله ان الملك فى انتظار طلباتنا .. فلم تكن فى رؤوسنا طلبات معينة ، ان الشيء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد منا هو مسألة تغيير نظام الحكم .. أما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك شيء لم يخطر على بالنا اطلاقا ..

ان الاحوال فى ٢٣ يوليو كانت تترى بسرعة فائقة .. لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهذه الظاهرة العجيبة .. للسرعة الفائقة ..

وأذكر اننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق .. كان لابد أن نمضى فى مناورتنا مع الملك الى نهاية الشوط قبل أن ننقض عليه لنسقطه عن عرشه

واتفقنا ـ بعد جهد ـ على أن تكون الطلبات التى سيتقدم بها على ماهر الى صاحب الجلالة اساسها طرد الحاشية ، فقد كنا نعرف أن الملك سيرفض هذا الطلب ، وبهذا نكون قد نجحنا فى جر شكله ، فتبدأ بعد ذلك عملية طرده

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق ، كان اساسها كما قلت طرد الحاشية ..

وبعد أن قابلنا على ماهر فى الساعة الخامسة سلمه جمال عبد الناصر تلك الطلبات ، واستعد على ماهر للسفر على الفور ، فطلبنا منه أن يخطرنا من الاسكندرية بالنتيجة ، وقال له جمال ان المسئولية ستقع على الملك اذا لم تجب كل هذه الطلبات فى الحال ..

وخرجنا من منزل على ماهر بعد أن تمنينا له سفرا سعيدا .. خرجنا ليبدأ جمال عبدالناصر وزكريا محيى الدين فى وضع تفاصيل خطة طرد فاروق ، وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على الاسكندرية وتأمينها ..

تحرك القوات الى الاسكندرية

قطعنا ــ فى المنــاورة ــ مع الملك شوطا بعيدا .. ســافر على ماهر الى الاسكندرية يحمل طلباتنا الى صاحب الجلالة ، وبعد أن اكد له جمال ان المسئولية ستقع على الملك فى حالة عدم اجابته الطلبات كلها !

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى اسقاطه عن عرشه وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الاساسية

وقد عدنا من منزل على ماهر فى مساء ذلك اليوم (٢٣ يوليو) الى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الاحداث ..

واللواء نجيب كان يجلس بيننا لا يدرى ماذا فى رؤوسنا

كنا لا نشك فيه ، ونعتبره واحدا منــــا وخاصة بعد أن فرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة ، وكان هذا العرض من بين الطلبات التى أرسلناها لفاروق ..

وصحيح انه لم يكن بيننا احد قد اكتشف حقيقته بعد ، فهو يجلس بيننا كأنه فرد منا ، وكنا نحن نحاول قــــدر ما نستطيع افهامه بأنه القائد والزعيم وصـــانع كل هــذه الاحداث التــــاريخية .. كنا قد قررنا ان نفنى جميعا فى شخصه ..

قررنا أن نجعل منه زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه القــادمة ضد جميع اعدائه .. اما نحن فقد اعتبرنا انفسنا جنودا فى ثورة نجيب ..!

وانقضى يوم ٢٣ يوليو ، وجاء يوم الثورة الثانى ، وكنا لا نزال على مقاعدنا فى مقر القيــادة لم ننم ولم نسترح ،

والعرق يغرق ثيابنا فالحر كان شديدا .. لكننا لم نشعر بالارهاق على الاطلاق . كنا نعرف أن أمامنا ليالى اخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا ، وربما فى الشوارع وفى الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من اجل مصائر الملايين

لم نكن نعرف ـ بالتحديد ـ ماذا سوف يحدث لنا فى اليوم الثانى للثورة ، لان الاحداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم نتوقعها ، والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها ..

كل الذى كنا نعرفه اننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى البلد ..

وبعد ذلك لتأت الاحداث بما تشاء من مفاجآت ، فقد كنا على ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غدا أو بعد شهر .. حتى لو ظهرت فى الافق بوادر تدخل جهات اجنبية فقد كان كل واحد منا قد اعد نفسه قبل أن يغادر بيته واولاده لمعركة سيخوضها .. وربما مات وربما فقد ذراعا .. المهم اننا جميعا كنا على استعداد للنزول الى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الاعداء لو فكروا فى الوقوف امام الثورة

جمال يامر بتحرك القوات

ووصل على ماهر الى الاسكندرية وقابل صاحب الجلالة على الفور وقدم له طلباتنا ، وفى صباح اليوم التالى للثورة ـ يوم الخميس ٢٤ يوليو ـ اتصل بنا على ماهر من الاسكندرية وقال ان صاحب الجلالة قد وافق على جميع طلباتنا !

وطلب على ماهر أن نوفد اليه أحد اعضاء القيادة الى الاسكندرية ليخبره بالتفاصيل ، ووقع الاختيار على لاقوم بهذه المهمة ...

وحتى ذلك الوقت كان على ماهر لا يعرف ماذا نهدف اليه بالتحديد . كان يعتقد حتى صباح الخميس ٢٤ يوليو ان

الازمة انتهت بعد أن قبل الملك طلباتنا .. والمياه ستعود الى مجاريها قطعا ، وخاصة وان الملك قبل أفدح تلك الطلبات بالنسبة له .. وهو طلب ابعاد الحاشية !

وان كان قد قال لعلى ماهر انهم — اى أفراد الحاشية — كأهل منزلى فكيف يتدخل الجيش فى شئون بيتى !؟

على ماهر — اذن — ظن أن الازمة انتهت بعد أن تحدث الينا بالتليفون ، وابلغنا بموافقة صاحب الجلالة على طلباتنا

ولم يكن يعرف — مثلا — انه بعد ان غادر القاهرة فى اليوم السابق .. أى فى مساء ٢٣ يوليو لم يضع جمال عبد الناصر دقيقة واحدة ، فجلس ومعه زكريا محيى الدين — وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات — وبدأ الاثنان يدرسان الموقف فى الاسكندرية واحتياجات عملية طرد الملك ..!

درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات

كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الاسكندرية وتأمين مرافقها

وانتهت الدراسة قبل أن يتصل على ماهر بنا فى صباح الخميس (٢٤ يوليو)

وأصدر جمال أمرا بتحريك قوة الى الثغر .. وكانت القوة التى امر جمال بتحريكها لاسقاط الملك وطرده عبارة عن لواء مشاة وآلاى دبابات لتأمين المدينة واعتبرت مدفعية قواتنا فى الاسكندرية ضمن القوة التى ستقوم بتنفيذ المرحلة الثالثة من الخطة .. طرد الملك

على ماهر يسأل .. ما الداعى لهذا ؟!!

وبالرغم من أن اللواء محمد نجيب كان يجلس معنا فى حجرة واحدة ، بل وحول مكتب واحد فى ذلك اليوم ، الا انه كان لايشترك مع أحد فى اعداد اى شىء ، فكل الخطط كانت معدة قبل أن يأتى الينا وقبل أن يعرف انه زعيم الشعب !

وحتى التفاصيل كان يعدها جمال والزملاء وهم من

حول نجيب يبتسمون له فى احترام وثقة وهو صامت يترقب الاحداث !
وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة ٢٤ يوليو .. اى فى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك كل طلباتنا !!
وقد فوجىء على ماهر والملك بهذا الذى حدث .. فوجئا بالطابور المسلح يدخل الاسكندرية . وكانا قد اعتقدا ان المياه ستعود الى مجاريها بعد أن قبلت الطلبات !!
وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الاسكندرية بالتهليل والهتاف الذى شق عنان السماء ..
وكما حدث فى القاهرة صباح ٢٣ يوليو حدث فى الاسكندرية ..
التف الشعب حول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضن افرادها ، ويجرى خلف المصفحات فى الشوارع بعد ان غمرته الفرحة ..
وبعد أن اخذت قواتنا فى الثغر اماكنها طبقا للخطة ، اتصل بنا على ماهر مرة أخرى بالتليفون ليسألنا :
ــ ما هو الغرض من وصول تلك القوت .. ألم يوافق الملك على جميع طلباتكم !؟
واردف على ماهر يقول فى التليفون :
ــ ان الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات .. ويسأل ما هو الداعى لهذا ، بعد أن أجابكم الى ماتريدون ؟!
وقلنا لعلى ماهر :
ــ لا شىء .. لا شىء بالمرة .. طمئن مولانا وقل له ان هذه القوات ارسلناها لتأمين الاسكندرية ، ومنع الاضطرابات والحوادث !!..

نجيب يطلب السفر معى ...

وبقى التنفيذ ..

متى تبدأ العملية ؟!

ان قواتنا فى الاسكندرية ، وقد اتخذت اماكنها والشعب من حولنا يؤيدها ويهتف لافرادها من الاعماق ، لا اضطرابات ولا حوادث ..

كل شيء كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم ٢٣ يوليو ..

وكان جمال قد كلفني ـ كما قلت ـ بالسفر الى الاسكندرية بعد أن تحدث الينا على ماهر من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات ، ثم طلب ان يسافر أحدنا اليه ليخبره بالتفاصيل ..

وطلب جمال منى أن أؤجل سفرى الى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت أماكنها وقررنا عزل الملك يوم ٢٥ يوليو ..

وفى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ طلب محمد نجيب ان يسافر معى الى الاسكندرية ، وكنا قد اتفقنا مع على ماهر على أننى انا الذى سأقابله وحدى ، فرفضنا طلب محمد نجيب ، لكنه ألح علينا بشدة لكى يسافر معى !

فوافقنا بعد أن لمسنا مدى تمسكه بتلك الرغبة ، وبشرط الا يحضر معى مقابلة على ماهر ساعة الوصول ، وانما يذهب لمقابلة على ماهر بعد الظهر ، وهو يحمل الانذار التاريخى المشهور الموجه الى الملك والذى نطلب منه فيه ان يتنازل عن العرش ويغادر البلاد ..

جمال قال لى ..

وكان على ان اغادر القيادة الى المطار .. وقبل ان اغادر المبنى أخذنى جمال عبد الناصر الى ركن من الردهة وكان وجهه قد اكتسي بذلك الطابع المعروف عنه ساعة أن يقرر أمرا .. الصلابة والعزم القوى والاصرار التام .. وكانت

فى يده سيجارة وقال لى وهو ينفخ دخان سيجارته وراسه يتحرك قليلا الى الامام كعادته :

ــ شوف يا انور .. لازم نخلص من فاروق النهارده او بكره بالكثير .. لان الموقف ماعدش يحتمل !

ونظرت الى وجه جمال وهو يكلمنى ، وعرفت انه يتحتم فعلا الخلاص من فاروق بأية صورة اليوم ــ الجمعة ــ او غدا .. ان جمال لا يلقى الكلام جزافا .. فهو لايقرر امرا الا اذا عرف ان لا مناص منه حتى لا تحدث كارثة !

اليوم أو غدا .. لابد أن يطرد فاروق .. فقد كانت المشاكل قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضيين ..والموقف لا يحتمل وجودها !

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا .. ونحن لم نخلقها .. بل خلقها واحد لم نكن نتوقع على الاطلاق انيظهر بيننا فى اليومين المذكورين .. انه رشاد منها !!

زوبعة على ابواب القيادة !

كان رشاد فى العريش كما سبق ان ذكرت ذلك فى حينه.. وكان قد رفض ان يتولى قيادة لواء العريش عندما طلب منه ذلك جمال سالم .. وتخلى عنا أيضا كعادته حتى بعد أن عرف الحقيقة كلها .. بعد أن عرف ان الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش تماما .. فى ليلة الثورة الاولى ، وبعد ان وصلت الى العريش اشارة النجاح !

وعندما عرف أن الضباط الاحرار نجحوا تماما وانهسوف لا يكون له مكان على الاطلاق بينهم ، وخاصة وان جمالسالم كلف صلاح حتاتة بقيادة لواء العريش .. اقول بعد ان عرف رشاد ان الثورة نجحت بدونه ، جاء الى القاهرة بلا اذن وتوجه من فوره الى سلاح المدفعية ، وهو كان يتبع له ، وكان ضباط السلاح لايعرفون شيئا عنموقفه ليلةالثورة كانوا لا يعلمون انه رفض التعاون ورفض ان يشترك فى

العملية .. وظن ضباط السلاح ان رشاد مهنا هو احـــد اقطاب الثورة .. وربما ظنوا انه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه !!

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الاعنــاق .. ثم أركبوه سيارة وتقدموا السيارة بالموتوسيكلات ، وجاءوا الى القيادة بالبطل !!

ورأينا موكب رشاد مهنا يدخل من بابالقيادة .. وأمامه راكبو الموتوسيكلات .. وكانت مفاجأة .. شعرنا على الفور ان زوبعة على الابواب !

وكنا لانستطيع أن نقول لضباط المدفعية ان هذا الرجل ليس واحدا منكم .. لم يشترك معكم فى عمل .. انه رفض ان يعاونكم ..

كان الموقف ــ اذن ــ حرجا للغاية ولا يحتمل اية خلافات .. فالملك لايزال فى البلاد ..

تلك كانت احدى المشاكل التى أطلت علينــــا فى اليومين الماضيين . وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لان الموقف كما قلت كان لا يحتمل اية خلافات ، ومعركة فاروق على وشك ان تقع ..

أما المشكلة الثانية ، فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة وجود رشاد مهنا

أعنى مشكلة الخلافات

الانجليز فى القاهرة

فقد كان هناك أناس فى البــلد دفعهم الحرص الشديد ، وخوفهم الشديد فى يوم الثورة الاول وفى يومها الثانى الى أن يجيئوا الينا ليقولوا :

ــ فاروق اتصــــل بفـــايد .. انجليز فى طريقهم الى القـــاهرة ..

وأقوال أخرى كان مصدرها الرعب والفزع مما سوف يقع ..
وكنا نعرف أن هؤلاء الناس جبناء تفزعهم المعارك ... كنا نعرف ان ما يقولونه ليس صحيحا .. الا اننا كنا قد قررنا ان نعد أنفسنا لكل الاحتمالات .. واسوأها
لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المناطق التى يحتمل أن يزحف منها الانجليز على القاهرة .. اذا فكروا فى التدخل ..
وكانت تقارير سلاح الطيران تصل الينا فى مبنى القيادة ساعة بساعة ..
تلك كانت المشاكل التى رأينا ان وجود فاروق يوما أو يومين آخرين سيضاعفها

يا باشا .. قررنا عزل الملك !!

وأعود الى الموضوع .. فبعد ان كلمنى جمال قبل مغادرتى القيادة الى الاسكندرية توجهت ومعى اللواء محمد نجيب الى المطار ، وانطلقت بنا الطائرة الى أرض العملية .. الى الاسكندرية، وفى مطار النزهة وجدنا مندوب على ماهر فى انتظارنا
وحسب الاتفاق توجه اللواء نجيب الى القيادة فى مصطفى باشا ، وتوجهت أنا مع مندوب على ماهر الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى ..
وقضيت ساعة ونصفا مع على ماهر .. سألنى عن القوات التى وصلت الاسكندرية مرة ثانية ، وكانت الحيرة بادية على وجهه ومضى يقول لى :
ـ الملك وافق على الطلبات كلها .. واستقالات إفراد الحاشية فى جيبى أهه
وأخرجها من جيبه ليرينى اياها ، وتظاهرت بالاهتمام فتناولت منه الاستقالات لاقرأها ، ولفت نظرى توقيع الياس

اندراوس على استقالته ، فقد وقع صاحبها عليها هكذا : « اليس اندراوس » ، وبخط رديء للغاية ..

وهززت رأسي في دهشة .. ان الياس اندراوس كان احد الذين يحكموننا .. نحن الشعب .. كان محسوبا علينا كمصري ، ويؤلف الوزارات ويسقطها .. وهو لايعرف كيف يكتب اسمه .. لا يعرف لغة البلاد التي ينتمي اليها

وتنبهت على صوت على ماهر مرة اخرى وكان لايزال حائرا .. وسألني مرة ثالثة عن حكاية القوات التي جاءت الى الاسكندرية

وفي هذه المرة اعتدلت في مقعدي وبدأت أتحدث اليه في الموضوع لاول مرة .. قلت له وكان ساعتها يبدو مذهولا للغاية :

ــ بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك « اليوم »

لا خيار لك فالشعب مع الجيش !!

وقبل أن يفيق على ماهر من ذهوله اردفت قائلا له :

ــ اللواء نجيب سيجيء اليك في الساعة السابعة وهو يحمل انذارا موجها الى الملك من القيادة ، بتنازله عن العرش ومغادرة البلاد ، وعليه أن يتحمل النتائج في حالة رفضه لهذا الانذار ..

ومضيت أقول لعلى ماهر :

ــ انصحك ــ وانت الذى ستتوجه بهذا الانذار ــ أن تؤكد للملك ان لا فائدة من المقاومة اطلاقا ، لان الجيش والشعب سيسحقان اية مقاومة مهما كانت ، والاوامر التى صدرت قاطعة في هذا الشأن ..

وكان على ماهر لا يزال في ذهوله الشديد .. فاقتربت منه قائلا :

ــ انت لا خيار لك في هذا .. بل انني اعتقد انك مسئول عما أصاب البلاد الى حد ما لانك انت الذي نصبته ملكا على البلاد في دقائق عام ١٩٣٦.

وهنا لاحظت أن على ماهر تحمس قليلا .. فقال :

ـ أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد .. لكننى لم اكن أتصور أبدا ان يصل على يد مربيه احمد حسنين الى ما وصل اليه اليوم..انه هو الذى كتب بيديه أفعاله ومصيره
ومضى على ماهر يقول لى :

لعلك أنت تعلم ، ويعلم الناس أن « فاروق » أبعدنى منذ احدى عشرة سنة بتأثير من مربية أحمد حسنين والحاشية

وسكت على ماهر ثم عاد ينظر الى .. ربما ليتأكد من ان ما قلته له منذ لحظات هو الامر الواقع .. وقمت لأؤكد له مرة ثانية ان لا خيار له فى الامر .. فالشعب مع الجيش سيسحقان أية مقاومة .. وعدت من بولكلى الى مصطفى باشا .. حيث كان نجيب هناك ، وكان معه أيضا زكريا محيى الدين ـ مدير العمليات ـ وجمال سالم وحسين الشافعى

وأخبرتهم ان على ماهر جاهز لتلقى الانذار فى الساعة السابعة من هذا المساء

زكريا محيى الدين يفاجئنا ..!

كان زكريا محيى الدين فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الاسكندرية ، ثبت فوقها دبابيس عديدة ، وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمرا ثم يخرج .. وزكريا كأنه غير موجود فى الحجرة.. لا يتحدث الينا ولايلتفت الى أحد .. كان منهمكا فى «البحلقة» فى الخريطة ، وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها .. فهو كان مديرا للعملية ..

وكتبنا صيغة الانذار ، ثم اتصلنا بجمال عبد الناصر فى القاهرة واخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى لعلى ماهر .. ثم قرأنا له صيغة الانذار الذى سيوجه الى الملك فأقرها ..

ثم بعد ذلك اتجهنا الى زكريا محيى الدين فى الركن الذى

انتحى فيه بعيدا عنا فى الحجرة .. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحـددة لها حسب الخطة ، لـكى نسلم الانذار ثم تبدأ عملية طرد فاروق ..

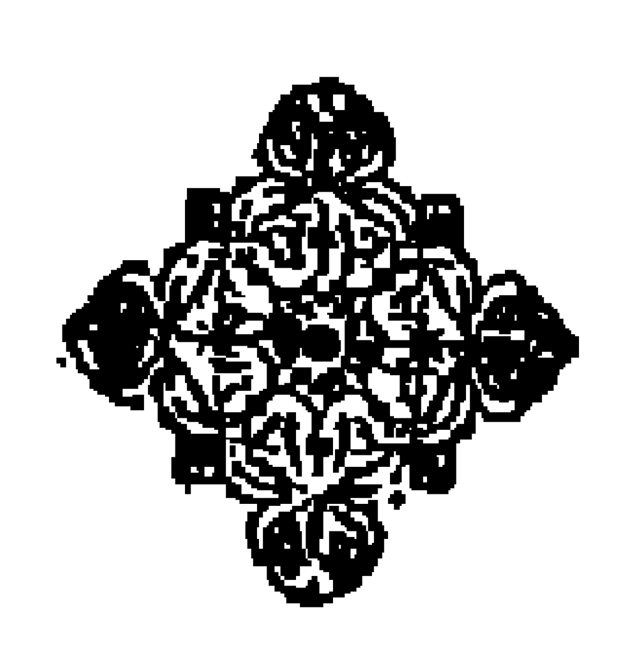
وفوجئنا بزكريا يقول فى هدوء :

ـ العملية لا يمكن أن تتم الليلة ..

وذهلنا .. وسألناه فى صوت واحد :

ـ لمـــاذا ؟!..

ثم بدأنا نتناقش .. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران



رصاصة رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعها .. فزكريا محيى الدين أصر على رأيه وظل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبدو هادئا للغاية ، ونحن من حوله تكاد أصواتنا تبلغ حد الصراخ

فبعد أن انتهينا من وضع صيغة الانذار الذى سيوجه باسم القيادة الى الملك ، آتجهنا الى زكريا نسأله متى تكون قواته جاهزة ؟..

وبهدوء تام اجاب :

ـ العملية لا يمكن أن تتم الليلة !..

تلك كانت مفاجأة زكريا محيى الدين لنا فى ذلك اليوم .. ٢٥ يوليو

فهو كان مديرا للعمليات ، وهو الذى كان مسئولا عن تحركات القوات فى الاسكندرية أثناء قيامها بعمليةطرد فاروق

وقال لنا زكريا ان القوات لم تنل قسطها من الراحة ، وبعضها وصل الى المدينة متأخرا ، وهو لا يستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين ، وقال ان القوات بعد ان تستريح وتنال وجبة ساخنة ، يمكن أن تبدأ المعركة على الفور !. .

وقلنا له ان مسألة التعب والارهاق هذه لا يصح ان نسلم بها ، لاننا جميعا لم ننل أى قسط من الراحة طوال ثلاث ليال ، ولا نزال نقف على اقدامنا متحفزين لخوض هذه المعركة ، وغيرها !..

وبهدوء أيضا أجاب زكريا :

ـ ماليش دعوة بيكم .. لـكن قواتى لابد ان تستريح ، وكل شيء حيكون جاهز بكرة الساعة الثامنة صباحا

ولم يفلح أحد منا فى اقناع زكريا ، لـكى يبدأ فى تنفيذ العملية اليوم (٢٥ يوليو) .

وسلمنا الامر لله ... ثم اضطررت الى الاتصال بعلى ماهر فى بولـكلى لـكى أخبره ان موعد الساعة السابعة مساء ، قد تأجل الى التاسعة من صباح اليوم التالى

وذلك الموعد كنا قد حددناه لعلى ماهر لـكى نقابله فيـه ونسلمه الانذار التاريخى الموجه الى الملك فاروق من القيادة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد

اعدام فاروق

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة

ان جمال سالم يصر على ألا يخرج الملك حيا من البلاد ، انه يرى محاكمته جزاء ما اقترف من جرائم فى حق الشعب وهى جرائم يستحق من أجلها الاعدام

وظل جمال سالم مصرا على رأيه هذا ، وكنت قد قلت رأيى فى الموضوع وهو ان محاكمة فاروق سوف تستغرق وقتا ، ونحن نريد التخلص منه فى اقرب وقت ، اليوم أو غدا ، ويكفى أن يخرج من مصر ثم تطوى صفحته ولا حاجة الى أن نبقيه فى البلاد الى أن يعدم ، فالاحـــداث يمكن أن تفاجئنا وتأخذنا على غرة !

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة بمصطفى باشا تلك الليلة حتى بلغت الساعة الثانية صباحا ، وهنا قررنا عرض موضوع ـ مصير فاروق ـ على الزملاء بقية أعضـــاء القيادة فى القاهرة

فالهيئة التأسيسية للضباط الاحرار يمكنهـا أن تجرى عملية اقتراع حول المسألة .. وسواء صوت اعضاؤها ضد

اقتراح جمال سالم أو ايدوه فالمسألة حينئذ تصبح امرا واقعا ..

واستقل جمال سالم طائرة فى تلك الساعة وطار بها الى القاهرة ، ليأخذ الاصوات حول مصير فاروق .. ثم عاد الينا فى الساعة السابعة من الصباح ومعه رأى لبقية الزملاء

وكانت الاصوات التى اشتركت فىحسم ذلك الخلاف هى : تسعة أصوات فقط .. وهم أعضاء الهيئة التأسيسيةواللواء محمد نجيب لم يكن عضوا فى الهيئة ، فلم يكن له صوت فى عملية الاقتراع

وقد رجح الزملاء كفة الراى القائل باخراج فاروق من البلاد دون محاكمة .. لان المسألة : كما قلت ـ كانت تحتم الخلاص منه فى ساعات قبل أن تحدث مفاجآت !

وقد علمت من جمال سالم بعد عودته من القاهرة ان جمال عبد الناصر اتصل بعزيز المصرى فجر ذلك اليوم ـ ٢٦ يوليو ـ واخذ رأيه فى الموضوع

مستشار السفارة الامريكية يسأل ؟!

وفى الساعة السادسة من صباح ـ ٢٦ يوليو ـ كان زكريا محيى الدين يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى الاسكندرية ، وشرح لهم واجباتهم ثم اصدر اليهم الاوامر النهائية

وبعد نصف ساعة تحركت القوات ، ثم احتلت مراكزها قبل الثامنة صباحا

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء نجيب الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم على ماهر الانذار الموجه الى الملك .. وقبل ان نصل الى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة الامريكية فى الردهة ، وكان المستشار الامريكى فى حالة يرثى لها .. كان يرتعش ، وكان قد فقد

السيطرة على اعصابه تماما .. وقال موجها حديثه الينا :
ــ انا قادم الان من راس التين ، انهناك معركة.. واردف المستشار الامريكى قائلا وهو يرتعش :
ــ ما سبب هذا ؟.. ان الملك فيما نعلم قـــد أجاب كل طلبات الجيش ، واريد تفسيرا لهذا الذى يحدث الآن عند راس التين ، ويهمنى ان اطلب باسم « واشنطن » ما يفيد تأكيد سلامة فاروق الشخصية
وصمت المستشار الامريكى ثم نظر الينا فى حيرة
وقال له اللواء نجيب :
ــ اننا قادمون الآن للتفاهم معرئيس الوزراءفىهذا الموضوع
وتركنا مستشار السفارة الامريكيةلندخل مكتب علىماهر

على ماهر ظن ان الجيش تراجع

وبعد ان صافحنا رئيس الوزراء ، مددت يدى فى جيبى وبحركة مسرحية اخرجت « الانذار » من حافظتى وقـــدمته الى اللواء نجيب ، فسلمه هو بدوره لعـــلى ماهر .. وكان الانذار من صورتين وقع على ماهر على احداهمـــا بتسلم الصورة الاصلية
ورايت على ماهر يلتفت الى وفى عينيه تساؤل واضح ، ولم يكن قد بدا يقرا الانذار ، وفهمت فى الحال انه يريد أن يعرف ان كانهذا هو « الانذار » الذى حدد مصير فاروق !؟
ويبدو ان على ماهر كان قد اعتقد اننا تراجعنا عن مسالة طرد فاروق ، وخاصة بعد ان تأجل ميعاد مقـــابلتنا له من السابعة مساء الى اليوم التالى !
وقد اومأت براسى لعلى ماهر وكانى أقول له : نعم .. هذا هو الانذار بعينه !
وبدا على ماهر يقرا الانذار ، ثم التفت الينا قائلا بعد ان انتهى من قراءته :

ـ هذا هو مايستحقه ، فكثيرا ما نصحته ولم يستمع ابدا الى نصحى

وغادرنا مكتب على ماهر .. وخرج هو معنا فى تلك اللحظة ليتوجه الى الملك ويسلمه الانذار

وكان الملك قد استدعاه فى صباح ذلك اليوم ، قبل ان نقابله ، وذلك عندما شعر بالقوات وهى تقيم حصارا حول سراى راس التين

وقبل أن يستقل على ماهر السيارة لتتجه به الى راس التين قلت له وانا اهمس فى أذنه :

ـ ان كنت ترى انك فى حاجةالى حضورىمعك فانامستعد

ولكنه قال : « لا داعى لذلك فى هذه الخطوة »

ومضت به السيارة الى الملك .. ليسلمه انذارا منالقيادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا ، ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم ، والا ! ...

المدافع لهدم راس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد فاروق قد اقامت حصارا على سراى رأس التين وسراى المنتزه ، وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة

وحول سراى راس التين حيث كان الملكهناك كانتالقوات المحاصرة تتكون من مشاة وعربات مصفحة ومدفعية وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعا يتحكم فى سراى راس التين ، بحيث يمكن هدمها اذا ما استدعى الامر ذلك ..

المعركة التى حطمت الملك

وكان على قوات المشاة أن تتقدم لحصار السراى ، غير أن

الاوامر التى صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعـــدم الاشتباك مع قوات حرس السراى الا بأمر من القيادة

وأثناء تقدم تلك القوات لاتمام الحصار خارج الاســوار حدث ان صعدت قوات الحرس الى الابراج فوق تلك الاسوار ، وراحت تنصب عليها مدافع « الماكينة » لاعتقادهم ان القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال ، وواجبهم يقضى بالدفاع عنها ... فهم كانوا لايعلمون شيئا

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى ، وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى « العملية » .. ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الابراج ، فنادى جنود الحرس وهو يأمرهم بالانســحاب .. وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة ، كانوا ينصبون المدافع فوق الابراج وهم ينظرون الى اخوانهم جنود المشاة ، وهم خارج الاســوار وكانت تلك النظرات فيها أبلغ آيات القلق والاضطراب فهم لا يستطيعون أن يفتحوا مدافع المــاكينة على اخوانهم هؤلاء ... وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى ، لانه لا توجد اوامر جديدة قد وصلتهم ، حتى كان يمكنهم ان يتخذوا موقفا مختلفا

وفى هذه اللحظة وبعد أن نادى قائد القوة جنود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة ــ طائشة ــ من مدفع كان احد الجنود ينصبه فوق البرج .. ويبدو ان الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى ، وفى الحال لم تجـد قواتنا بدا من اسكات المدفع الذى انطلقت منه الرصاصة ، ولا احد كان يعلم ساعتها ان تلك الرصاصــة خرجت خطأ وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت منه الرصاصـــة ، وفعلا سكت المدفع بعد ان اصيب سبعة من جنود الحرس ولم يصب أحد من القوات التى حول الاسوار

تلك كانت المعركة التى افزعت مستشار السفارة الامريكية

ولم تفزعه هو وحده بل وجعلت فاروق يفقد أعصابه ويتهاوى كالحطام ..

فاروق يستنجد بالسفير الامريكى !

ويقول على ماهر ان تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على فاروق والحاشية فما كادت الطلقات تتتابع حول السراى حتى اعتقد فاروق انه ميت لا محالة .. ولم يتمالك نفسه فاصيب بحالة — هيستيريا — واسرع يطلب على ماهر فى فندق سان ستفانو .. فلما وجده لم يستيقظ بعد ظل يصرخ فى التليفون طالبا من ادارة الفندق ايقاظه فى الحال .. وفعلا استيقظ على ماهر وكلم الملك ، فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره

وفى نفس الوقت استنجد فاروق بالسفير الامريكى ، وارسل له السفير سكرتيره الخاص ، ثم بعد ذلك ارسل لنا مستشار السفارة

كانت معركة فاصلة ما فى ذلك شك بالرغم من بساطتها وهى ان دلت نتائجها على شىء فانما تدل على انه لا توجد قوة مهما كانت يمكنها الصمود امام تكتل الجيش والشعب

فما كادت تلك المعركة تنتهى بهذا الوضع الذى ذكرته حتى خرج من السراى اللواء عبد الله النجومى ومعه اربعة ضباط من الحرس ، وقالوا لقائد القوة المحاصرة انهم يريدون الذهاب الى القيادة فى مصطفى باشا للتفاهم .. وجاءوا الى القيادة فعلا .. وكانوا فى حالة عصبية مروعة ، فحجزناهم هناك .. لتستريح أعصابهم .. فهم كانوا لا يعرفون شيئا ولا يعلمون ماذا فى الافق !

فاروق طلب استثمار ثروته !

واتصل بنا على ماهر وقال لنا ان الملك قد خضع للانذار

وطلب منا على ماهر ان نوافيه فى بولكلى ـ لنشترك معه فى وضع صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وايضا لكى يعرض علينا طلبات الملك الاخيرة بشأن سفره

وتوجهنا الى بولـكلى مرة أخرى ، محمد نجيب وجمال سالم وانا .. ووجـدنا سليمان حافظ جالسا مع على ماهر ثم ارسل يستدعى السنهورى لاعداد صـيغة التنازل ، وفى هذه الاثنـاء عرض علينا على ماهر طلبـات الملك بشـأن رحيله وهى :

◆ ان يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيـادتها جلال علوبة

◆ ان يجرد كل شىء فى السرايات الملـكية ثم يضاف ما فى تلك السرايات الى ثروته وان تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته وتستثمر لحسابهم أو تقسم عليهم

◆ ان يسمح له باصطحاب بوللى وحلمى حسين ، وان لم يكن هذا ممكنا فيسمح لبوللى فقط بالسفر معه

تلك كانت طلبات فاروق الثلاثة ، وقد وافقنا على الطلب الاول فقط ، ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة

ولم يكن لفاروق خيار فى الامر ، فقد كان ينفذ كل مايطلب منه بلا تردد ، بعد أن أصبح كل ما يأمل فيه هو ان يخرج حيا من هذه البلاد

كان قد اقتنع انه لاتوجد قوة ـ مهما كانت ـ يمكنها ان تحميه من الجيش والشعب .. فتهاوى من تلقاء نفسه وبلا مقاومة .

ارادة الشعب

وكتب السنهورى وسليمان حافظ صيغة التنازل ـ الاولى ـ وعرضت تلك الصيغة علينا ولـكن جمال سـالم اعترض بشدة .. فلم تـكن الصيغة تتضمن السبب الاساسى الذى

حتم على فاروق ان يتنازل عن عرشه .. لم يكتب فيهـــا نزولا على رغبة الشعب

وكتب جمال سالم الصيغة النهائية والتى وقع عليها الملك نزولا على رغبة الشعب

وأخذ سليمان حافظ « الوثيقة » وتوجه الى راس التين ليوقع الملك المخلوع عليها

وخرجت أنا لاتوجه الى رئاسة البحرية المصرية ، كي‌اتفق هناك على خروج « المحروســـــة » لتحمل فاروق الى حيث يشاء ، وأيضا لــكى اخلى سبيل امير البحر جلال‌علوبة الذى كان ممنوعا من مغادرة مكتبه

وفى طريقى رأيت سليمان حافظ واقفا مع الضابط الذى كان يراس قوة حصار راس التين ، وكان الضابط قد منعه من دخول السراى ، وطلبت من الضابط ان يتركه وان يرافقه الى الباب الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له البـــاب ..

وتوجهت أنا بعد ذلك الى رئاسة البحرية .. وهناك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان !!



المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت سليمان حافظ بعد ان فتحوا له باب سراى راس التين ، وكان يحمل وثيقة تنازل فاروق عن العرش ليوقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد

ثم توجهت الى رئاسة البحرية لاعطى تعليمات بخروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى منفاه ، وايضا لكى اخلى سبيل أمير البحر جلال علوبة الذى أراد فاروق أن يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها

وكان امير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت

وهناك فى رئاسة البحرية فوجئت ـ كما سبق أن قلت ـ بما لم يكن فى الحسبان !

فما كدت اصل الى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع ، واخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل فاروقا الى المنفى ... وما أن سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى انهم يتوقعون نسف المحروسة اثناء خروجها الى عرض البحر !

وقبل ان افيق من دهشتى مضوا يقولون لى : ان مراكب الاسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء ـ الآن ـ وجميعها محملة بالذخائر ، وهم لا يستبعدون ان تطلق احدى قطع الاسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق الى المنفى !

والواقع اننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا السلاح البحرى

المصرى ، فتنظيم الضباط الاحرار بالرغم من نجاحه فى تكوين تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضباط البحرية

وكان جمال عبد الناصر قبل الثورة بأسبوعين ، قد سافر الى الاسكندرية فى اجازة ، وهى لم تكن اجازة للراحة ، بل سافر الى الاسكندرية خصيصا لكى يتصل بضباط البحرية ، ولكى يخلق صلة بين بعضهم وباقى القوات المسلحة تمهيدا للقيام بالثورة

وكانت مهمة صعبة الى حد كبير ... فجميع اخواننا الضباط الذين ارتبطوا بالتنظيم فى جميع اسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا فى الطيران او فى باقى الوحدات ، لاننا ـ جميعا ـ كنا زملاء فى كلية واحدة .. هى الكلية الحربية

واما بالنسبة لضباط البحرية فان كليتهم لم توجد الا بعد أن انتهينا من دراستنا وتخرجنا ، فلم نكن نعرف احدا من هؤلاء الضباط المعرفة التى تجعلنا نفاتحهم فى مثل هذه الامور !

وكنت قد قلت من قبل ان ثورتنا هذه كان الاساس فى قيامها قائما على الصداقات وصلات الاخوة بين اعضاء التنظيم ... وقبل ان توجد الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، كانت الصداقات بيننا هى الدافع القوى والاول الى التفاهم والاتفاق على عمل واحد ... ثم تحديد أهداف واحدة

فقد كان مجرد الحديث عن هذه الاهداف بين الافراد جريمة كبرى وخيانة يعاقب صاحبها عقابا صارما

ومن اجل هذا كنا نحن ـ الاصدقاء ـ نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الاهداف دون ان نخشى افتضاح امرنا ، ومن اجل هذا ايضا ظل الضباط الاحرار يعدون

خطتهم ومشروعاتهم طوال عشر سنوات ، ولم يعرف احد سرهم !

واعود بك الى موضوع البحرية فأقول ان جمالا ظل فى الاسكندرية اياما قليلة وهو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها ... وبينما هو فى محاولته اذ طلب اليه اعضاء الهيئة التأسيسية العودة فورا الى القاهرة ... لانه – كما قلت من قبل – قد وصل الى علمنا ان الملك ينوى البطش بالضباط الاحرار بعد ان عرف اشخاصهم !

وترك جمال الاسكندرية قبل ان يتمكن من ايجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية

المفاجأة الثانية

تذكرت كل هذا وانا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع فى رئاستهم ، ولهذا كانت دهشتى كبيرة عندما قالوا لى ان مراكب الاسطول الراسية فى الميناء ربما اطلقت مدافعها على المحروسة وهى تحمل الملك المخلوع الى منفاه وتناقشنا طويلا حول هذه المشكلة ، وقلت لهم ان القيادة ارتبطت بوعد ، ولا بد من ان ينفذ وعد القيادة ، لا بد ان تخرج المحروسة سليمة الى عرض البحر بمن عليها

واستقر رأينا – كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع – ان نوزع انفسنا على مراكب الاسطول.. انا وقائد المحروسة ورؤساء الفروع ، كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب اسطولنا فى الميناء ، على أن يكون كل واحد منا مسئولا عن منع ضباط البحرية من نسف المحروسة !

وجاءوا بأحد اللنشات ليحملنا الى مراكب الاسطول الراسية فى الميناء .. وبينما كنت متأهبا للنزول الى اللنش اذ دق جرس التليفون فى غرفة قائد البحرية ، وقالوا لى ان القيادة تطلبنى

كان زكريا محيى الدين – مدير العمليات – هو الذى

يتكلم .. قال لى انه نمى الى علمه ان ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب المحروسة بالمدافع الساحلية الضخمة اثناء سفرها بالملك المخلوع ، وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء !

وطلب منى زكريا محيى الدين ان اتصل بهم وأعمل الترتيب اللازم حتى ينفذ وعد القيادة !

وكانت مفاجأة ثانية فى ذلك اليوم

فضباط الاسطول قد استطعنا ان نجد طريقة لمنعهم من نسف المحروسة .. فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من اطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة ؟ !

ولم أجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الاحرار فى مدفعية السواحل .. وشرحت للضابط الموقف ثم طلبت منه ان يتوجه بنفسه الى جميع مواقع المدفعية الساحلية لكى يشرح للضباط الوضع بالتفصيل ، ويقول لهم ان القيادة ارتبطت بكلمتها .. ولابد ان يخرج الملك المخلوع سليما من البلاد

وانتظرت بجوار التليفون ، ولم يلبث مندوب الضباط الاحرار ان اتصل بى ليخبرنى ان كل شىء على مايرام .. فقد استطاع اقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة !

وبقى اقناع جلال علوبة بالسفر مع فاروق ، فهو كان قد رفض السفر عندما اخبرته بأمر القيادة اثناء وجودى فى رئاسة البحرية ، لانه خاف ان لايسمح له بالعودة الى مصر بعد توصيل فاروق لكنى اخذته الى القيادة وهناك اقنعناه بأن عقليتنا لايمكن ان تصل الى هذا الحد .. فهو مصرى ومكلف بمأمورية وبالرغم من صداقته لفاروق فنحن لايمكن ان نمنعه من العودة الى بلده !

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا الى مراكب الاسطول لنمنع ضباطه من نسف المحروسة !

فاروق فى اللحظات الاخيرة

وكان من نصيبى الطراد « فاروق » وهو اكبر قطعة من اسطولنا

ومن العجيب انه كان يقف تجاه المحروسة تماما !

ووقفت على ظهر الطراد وبدأت انظر الى راس التين بالمنظار البحرى المكبر

واقتربت الساعة من السادسة .. وكنت لا ازال اتجه ببصرى نحو رأس التين .. وكنت ارى اللنشات وهى تتجه الى المحروسة ثم تعود ثم تجىء اليها مرة ثانية ، وعلمت انهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعدادا للرحيل

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار المكبر فرايت علم فاروق فوق السارية امام رأس التين وقد انزل ...
ثم رأيتهم ... رأيت فاروقا ومن حوله المودعون من نساء ورجال ، ولم اميزهم جيدا بالمنظار ، وان كنت عرفت فيما بعد انه كان من بين هؤلاء المودعين على ماهر والسفير الامريكى وشقيقته فوزية

فاروق يشتم الصحفيين

وظللت فى مكانى فوق الطراد « فاروق » أحملق فى المنظار المكبر واشهد أمامى نهاية ملك .. بل نهاية نظام

ورأيت فاروقا بجسمه الضخم يستقل اللنش الى المحروسة ، وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللنش .. وخيل الى انه يريد أن يبدو شجاعا فى لحظاته الاخيرة ، وهو يغادر أرض الثورة

وكانت اللنشات تروح وتجيء فى الميناء منذ الصباح حتى ساعة الرحيل ، وتقترب تلك اللنشات من رأس التين ثم تدور حول المحروسة .. فكل النـاس يريدون مشاهدة الفصـل الاخير من رواية « فاروق الاول » .. بعـد أن شهدوا كل فصول الرواية وضاقوا بها

وكانت ناريمان وبنات فاروق قد وصلن الى المحروسة قبل الساعة السادسة

وقبل ان يمر اللنش الذى يحمل الملك المخلوع امام الطراد الذى كنت فوقه سمعت طلقـات رصـاص .. وبحلقت فى المنظار وقد انتابنى شعور بالفزع .. خيل الى أن احدا اطلق الرصاص على فاروق..وبهذا تكون القيادة قد أخلفت وعدها

ثم عرفت ـ فى الحـال ـ ان احد اللنشات اقترب من « لنش » الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا صورا لفاروق ساعة رحيله عن مصر ...وما كاد فاروق يراهم وهم يقتربون منه حتى « تهيـج » وصرخ بصوت عال وسبهم بشـتائم مقذعة ، فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا فى « لنش » يسير بهم محاذيا للنش فاروق الا ان أطلقوا النار للارهاب ... وانطلق لنش الصحفيين بعيدا

ووصل فاروق الى المحروسـة ، ورأيتـه يصعد درجات السلم ثم يقف بعد ذلك فى المشى فوق ظهر اليخت ، وكأنه ينتظر وصول احد

وبعد فترة قصـيرة جـدا جاء لنش آخر يحمل نجيب وجمال سالم وحسين الشـافعى .. وكان من المفروض ان يودعوا فاروقا من « مرسى » سراى رأس التين قبل رحيـله لكنهم تأخروا .. واقتربت السـاعة من السادسة ، فاستقل فاروق اللنش على الفوز كما ينص الانذار الذى تلقاه

وجاء محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشـافعى الى

المحروســة لتوديعه ، ورأيتهم يقفون مع فاروق ، وظللت ابحلق فيهم بمنظارى لكننى لم اكن اسمع حديثهم ... ثم ما لبثوا ان غادروا المحروسة

كان أمر القيادة يقضى بأن يؤدى الطراد « فاروق » آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقها الى المنفى ، وطلبت من قائد الطراد ان يؤدى تلك التحيــة .. فبــدأت المدافع تنطلق .. واطلقوا واحدا وعشرين مدفعا ، وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب الى الخلف لكى تغادر « البوغاز » ثم تمضى بعد ذلك بعيدا عن ارض الثورة

نمت على باب القيادة

وظللت اتابع « المحروسة » بالمنظار الى ان غابت عن عينى وهنا تلفت حولى لاجد ضــباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية .. وفى هــذه اللحظة فقط وبعد ان انتهت « العملية » شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى ... وترنحت وكدت أسقط فوق ظهر الطراد ... فمنذ ٢٣ يوليو حتى ذلك المساء لم انم ولم استرح .. ولم اطمئن

وكنت قبل رحيل المحروسة لا اشعر بتعب ولا بارهاق .. وفجاة أصبحت لا استطيع جر قدمى ، حتى عندما اردت مغادرة الطراد لاعود الى القيادة فى مصطفى باشا لم استطع النزول من فوق السلم .. فأمســك بى ضــباط الطراد وساعدونى حتى وصلت الى اللنش

ووصلت الى مصطفى باشا ، وكنت لا ازال اترنح ... ثم دخلت من باب القيادة اجر قدمى جرا كأنى مصاب بعشرات اللكمات والضربات ، ورأيت الى جوار الباب حجرة الضابط النوبتجى ... ولم يكن فيها احــد ... وبلا تفكير اتجهت اليها ، وبحذائى وبثيابى المبللة بالعرق والتراب تمددت فوق الارض لاستغرق فى نوم لم أذق أعمق منه ابدا

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صباح اليوم التالى .. ووجدت نفسى اغادر القيادة فى مصطفى باشا واتوجه الى محل البان كنت اتردد عليه فى وقت ما اثناء هربى من البوليس ... وتناولت طعام الافطار ثم عدت الى القيادة ... وعلمت ان جمال عبد الناصر اتصل بنا فى المساء وطلب منا ان نعود اليوم الى القاهرة

وقد توجهت مع اللواء محمد نجيب الى مستشفى الحرس ، حيث زرنا الجنود السبعة الذين اصيبوا فى معركة راس التين. وصرفنا لهم مكافآت

واثناء وجودنا فى المستشفى جاء اللواء عبد الله النجومى وكان معينا من قبل القيادة لتصفية السرايات الملكية وتسليمها للحكومة

وخيل الى ان النجومى فى ورطة .. وفعلا بدا يتحدث عن ورطته .. قال انه يوجد فى سراى المنتزه واحدة وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كن يعملن وصيفات ، وسألنا النجومى ماذا يصنع بهن الآن ؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى ان الحيوانات والغزلان والطيور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام ؟..

وطلب النجومى منا ان نحل المشكلتين ، وحللنا مشكلة البنات الوصيفات باخراجهن من البلاد. فترحل كل واحدة الى بلدها

اما مشكلة الحيوانات والغزلان فقد حلت بأن قلنا للنجومى انها ـ اى الحيوانات ـ يمكن ان تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به .. الى ان تتسلمها الحكومة

وعدنا الى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر الى القاهرة وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجأة اخرى ..

أول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة فى القيادة بمصطفى باشا .. وقد استبدت بنا الدهشة عندما دخل رشاد مهنا علينا فى ذلك اليوم بعد رحيل فاروق !

وكنا ـ أو كنت أنا بالذات ـ لا اتوقع تلك المفاجأة اطلاقا ..

ماذا يريد هذا الرجل ؟.. وما الذى جاء به ايضا فى الاسكندرية ؟

لا احد كان يدرى .. فذلك الرجل لم يفهمه أحد تماما ، ولم يعرف أصدقاؤه ، او اعداؤه اهدافه الحقيقية ..

هل يريد ان يثير زوبعة هنا .. مثل تلك التى اثارها فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ..! ؟ عندما جاء من العريش بدون اذن الى القاهرة ، وكان ضباط المدفعية لايعلمون موقفه من الثورة ، ورفضه الاشتراك فى العملية عندما بدأت ، بل بعد أن نجحت صباح ٢٣ يوليو ، ظل يرفض التعاون .. ثم فوجىء بأننا نجحنا نهائيا واصبحنا فعلا نسيطر على الجيش وعلى البلد ... فأسرع الى القاهرة وهو مذهول لايكاد يصدق ان الثورة نجحت بدونه !

ويومها ـ كما قلت ـ ظنه ضباط المدفعية أحد اقطاب الثورة فأحاطوا به هاتفين ، ثم جاءوا به فى موكب هائل الى القيادة فى كوبرى القبة ، ولم نستطع ان نفسر لضباط المدفعية موقف رشاد مهنا . لم نقل لهم ان هذا الرجل ليس من

الثوار ، ليس واحدا منكم ، فالمسألة لم تكن تحتمل ، فقد كان من الحماقة اثارة خلافات فى يوم الثورة الاول ..

تذكرت كل هذا وأنا أبحلق فى وجه رشاد مهنا عندما جاء الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، ووقف فى الحجرة تائها مضطربا

لقد شعرت عندما رأيته فى ذلك اليوم ان المتاعب فى طريقها الينا ان لم تكن قد جاءت فعلا !

ولم أتمالك مشاعرى ، كان لابد ان احدد موقفى على الفور من ذلك الرجل ، الذى لم يحدد اطلاقا اهدافه او معتقداته ، ولا يستطيع انسان ان يعتمد عليه

وزاد فى احساسى بالريبة منه ذلك الاضطراب البادى عليه كانت عيناه تتدحرجان فى جميع الاتجاهات وهو يتحدث الينا ...

لقد علم ان العرش قد سقط ، ولم يشترك هو فى عملية اسقاطه . وعرف انه قد اصبح فى مصر مئات الابطال وقادة فتح لهم التاريخ كل ابوابه وهو ليس واحدا منهم ، فمكانه سيكون خلف تلك الابواب

وها هو الآن أمامى فى تلك الحجرة بقيادة مصطفى باشا ، انى اراه جيدا فى تلك الصورة .. الانسان الذى لم يعرف طريقه ، وبالرغم من جهله بالطريق فهو يريد ان يصل سريعا ، وبأى ثمن !

وظللت اتأمل فى رشاد مهنا وهو فى جلسته المضطربة امامى فى مصطفى باشا ..

وكما قلت لم اتمالك مشاعرى فاقتربت منه ثم اخذته من ذراعه الى ركن فى الحجرة .. وسألته :

ــ ايه يا رشاد ... مالك ! ؟

ونظر الى فى اضطراب اكثر .. فسالته فى هذه المرة بلهجة جافة الى حد ما ... قلت له :

ـ عايز ايه يا رشاد ... قول ، ايه اللى انت عايزه ... مالك كده ... مضطرب ليه ! ؟

وفوجئت به يبكى ..

ثم قال لى وهو لايزال يبكى :

ـ انا مش عايز حاجة .. انا جاى ابارك على الخطوات الموفقة دى ..

رشاد يطلب اخراجى مع جمال سالم

وقد تكلم رشاد مهنا يومها بصوت مهزوز ، وكان طوال حديثه زائغ البصر ..

ثم انشغلنا عنه بأمورنا .. وتركناه فى الحجرة تائها كما هو ومن حوله اربعة جدران ..

ولم أكن ادرى يومها ان حديثى الصريح معه سوف يفهمه على اساس انى عدو له حتى كان ذلك اليوم الذى ذهب فيه جمال عبد الناصر الى رشاد مهنا ، وكان رشاد وقتها قد اقيل من منصبه كوصي للعرش وأراد جمال كعادته دائما مع كل من تربطه بهم صلة ما .. صداقة كانت أم زمالة او حتى مجرد تعارف عابر .. اقول اراد جمال ان يمد يده لرجل يعرفه ، لا لانه صاحب نفوذ فهو كان قد اصبح لاشىء ولا لانه فى حاجة اليه ، بل لانه قد عرفه فى فترة ما ..

اراد جمال أن يمد يده لرشاد مهنا بعد خروجه من وصاية العرش فذهب اليه وقال له ان من الممكن الاستفادة بخدماته لهذا فهو يعرض عليه ان يكون سفيرا لمصر فى اية دولة يختارها ، وظن رشاد مهنا فى تلك اللحظة أن جمال عبد الناصر قد جاء اليه تائبا .. وانه ـ اى جمال ـ فى حاجة شديدة

الى معونته ، وان الثورة لم يعد يمكنها السير بدونه .. فقال لجمال ان له شرطا أساسيا لقبول التعاون من جديد .. وهو أن يخرج جمال سالم وانور السادات من القيادة ..

واضطر جمال عبد الناصر امام هــذه المفاجــأة ان يوضح لرشاد مهنا فى هدوء المسألة كلها .. فقال له انه لم يأت اليه لانه فى حاجة الى التعاون معه ، بل لكى يساعده

وتكلم جمال معه بصراحة .. فاستعرض أمامه مواقفه من الثورة قبل قيامها وبعد ان قامت ، ثم بعد ان أصبح وزيرا ثم وصيا على العرش .. وخرج جمال من هذا كله بنتيجة واحدة أعلنها فى هدوء امام رشاد مهنا .. وهو ان الوضــع بالنسبة له اى ـ رشاد ـ هو انه خرج على الثورة ، اما بالنسبة للاثنين اللذين طلب ابعادهما عن القيادة فهو العكس تماما ..

ورفض رشاد بعد ان سمع رد جمال عبد الناصر .. اقول رفض الوظيفة

هذا ما عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد فاروق ، عندما فاجأنا بوجوده فى مصطفى باشا

ولنترك حديث رشاد مهنا ، فرشاد سوف نلتقى به كثيرا فى قصة ثورتنا ..

واعود الى الموضوع ..

كان علينا بعد ان رحل فاروق عن البلاد ان نعود فورا الى القاهرة ، بعد ان استدعانا جمال ليلة ٢٦ يوليو

وفى اليوم التالى ـ ٢٧ يوليو ـ كنا فى القاهرة ، وانعقد فى نفس اليوم اول اجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار بعد قيام الثورة ، والاجتماع كان يراسه جمال عبد الناصر ، وكان جمال قد انتخب مرتين رئيسا للهيئة بالاجماع كما سبق أن قلت ..

ولم يحضر اللواء نجيب هذا الاجتماع لانه لم يكن عضوا فى الهيئة

وعندما بدأ اجتماع الهيئة كان اللواء نجيب فى مكتبه ، ثم جاء الينا ، وعندما رآنا مجتمعين عاد ثانية الى مكتبه ..

استقالة جمال عبد الناصر

وفى هذا الاجتماع الاول للهيئة التاسيسية بعد الثورة وقف جمال عبد الناصر وتكلم فقال انه يقدم استقالته من رئاسة الهيئة بعد ان انتهت اول مرحلة من كفاح الضباط الاحرار ، ثم توجت بالنصر ساعة ان طرد الملك .. ومضى جمال يقول : انه راى حتما عليه ان يستقيل بعد انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكى يعطى فرصة لاعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الاحداث القادمة

وانتهى جمال من حديثه بأن اصر على تقديم الاستقالة ..

وقد رفضت استقالة جمال بالاجماع ، وطلب اليه الاعضاء ان يستمر فى عمله كرئيس للهيئة ، لكنه أصر على الاستقالة اصرارا تاما ..

واضطررنا الى اجراء انتخاب جديد ، وتمت عملية الانتخاب فى اقتراع سرى ــ كالعادة ــ ففاز جمال بالاجماع

موقف خالد محيى الدين

وبعد أن تمت عملية الانتخاب وبقى جمال رئيسا للهيئة ، وقف خالد محيى الدين وطلب الكلمة .. وتكلم فشرح موقفه قال خالد انه يطلب من زملائه تنحيته عن عضوية الهيئة التأسيسية لأنه يدين بمبدأ معين ، ولهذا فهو يخشى لو بقى فى الهيئة التأسيسية ان يصطدم معنا من اجل المبدا الذى يدين به ..

ومضى خالد يقول انه رأى منعا لاى خلاف ان يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى ، فيسافر الى الخارج

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين خالد ، وكانت مناقشة عاطفية للغاية ، ثم انتهت برفض انسحاب خالد محيى الدين من الهيئة .. اى استمرار التعاون معه ..

اجتماعات فى الليل والنهار

وبعد ذلك توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية ، كنا نجتمع بصفة مستمرة ، فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من اخطر اجتماعاتنا.. فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التى لامفر منها بعد أن اصبحنا نحن على المسرح ، بعد ان خرجنا من تحت الارض ومن نطاق الاجتماعات السرية ، والكفاح فى الخفاء ، الى الكفاح فى العلن مع الشعب جنبا الى جنب .. وبلا فاروق ..

والعالم كله كان لايدرى شيئا عن اهدافنا بالتحديد .. والشعب ايضا ..

لم يكن احد يعرف ماذا بعد فاروق ..

هل يبقى النظام كما هو ، وتظل مصر تحكم بتاج أسرة محمد على ، وصاحب الجلالة احمد فؤاد الثانى — الطفل — كان على عرش البلاد ! ؟

بل لم يكن احد فى مصر او فى خارج مصر يعرف من نحن ! ؟

وهذا الذى حدث قد تم على ايدى من ! ؟

عرف الناس — فقط — فى مصر وفى خارج مصر ان اللواء نجيب هو قائد عام القوات المسلحة ، وأنه هو الذى سيصنع المستقبل ، لانه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو !

وكنا نحن لا نريد على الاطلاق ان يعرف احد فى مصر او فى خارج مصر شيئا عن جمال عبد النـاصر او عبد الحكيم او اى واحد منا .. لاننا قررنا ان نفنى جميعا فى شخص اللواء نجيب القائد والزعيم

واردنا ان يرسخ فى اذهان الشعب وفى اذهان كل العـالم ان نجيب هو صانع كل تلك الاحداث فى شهر يوليو !

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس .. ولماذا اتخذتم هذا القرار ؟ ! ما دمتم قد حققتم اخطر مرحلة فى كفاحكم ، وطرد صاحب العرش عدو الملايين ، فلمـاذا لم تخرجوا الى الشـعب باشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق رأسه مثلما حمل اللواء نجيب ! ؟

واقول لهـذا البعض اننا لم نكن نريد حكما .. لم نكن نريد ان نكون اعضاء فى حكومة مصر ، أو سـاسـة ضمن ساسة البلاد .. بل كانت كل اهدافنا هى تغيير نظام الحكم ولا يعنينا أن يحملنـا الشعب على راسـه ام لا ، بل الذى يعنينا هو ان يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده !

اما الزعامة والمجد والنفوذ والسـلطان فانهـا لم تكن من اهدافنا ، ومنذ اللحظة الاولى حددنا لانفسنا الطريق ، فاللواء نجيب هو القائد والزعيم .. وهو كل شىء !

ونحن ـ كما سبق ان قلت ـ لسنا سوى جنود فى الثورة نحميها ونمهد أمامها الطريق لكى يصـل الشعب الى الحرية والعدالة الاجتماعية وباختصار لكى يحكم الشعب فى النهاية نفسه بنفسه !

ذلك كان موقفنا بعد طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ..

وكان علينا ان نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر فى مراحل الكفاح القادمة ، وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية كنا نتناقش لا حول الاهداف فالاهداف مقررة ولا سبيل الى تغييرها ، بل حول وسائل تحقيقها .. بعد أن أصبحنا نكافح جنبا الى جنب فى العلن مع الشعب فى سبيل اعظم هدف واخطره بالنسبة لحياة ملايين المصريين .. فى سبيل القضاء على المستعمر !

فهو ــ اى المستعمر ــ باق لم يطرد مع فاروق .. والمعركة القادمة ستكون حتما معه .. فليس هناك فى طريق الحرية والعدالة والديموقراطية امام الشعب سواه ويجب ان يزول ..!

وكان الاستعمار فى تلك الايام التاريخية من شهر يوليو قد فوجىء باللطمة التى اصابته عندما طرد فاروق ..

وانى اذكر اول معركة كانت بيننا وبين ذلك المستعمر .. اذكر اليوم الذى طرد فيه فاروق وكيف جاء الينا سفير بريطانيا بالنيابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا .. قبل ان نعود الى القاهرة

كيف بدأت المعركة وكيف انتهت ؟

دخل علينا القائم بأعمال السفارة فى مصطفى باشا وكنا مجتمعين ، وكانت فى يده مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة .. وبدأ يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل احداث يوليو ..

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى « المذكرة » سالفة الذكر ان لديه طلبات !

ثم مضى يقرأ « المذكرة » محددا تلك الطلبات وكانت :
أولا : ان يعلن حظر التجول فى انحاء مصر خوفا على

ارواح الاجانب لانه يخشى ـ على حد قوله ـ ان يفقد الشعب السيطرة على مشاعره من شدة الفرح فيعتدى ـ اى الشعب على المحلات والمؤسسات !

ثانيا : ان لا تحدث اية ثغرة فى نظام الحكم بعد خروج فاروق من البلاد ، فيعين مجلس وصاية على وجه السرعة ..

ثالثا : ان تحفظ حقوق أسرة محمد على ، وبالتالى حماية النظام الملكى فى البلاد !

وما كاد ينتهى من قراءة مذكرته حتى فوجىء بجمال سالم وبى ـ ونحن نتحداه ونسخر من طلباته ..

قلنا له ما دخل بريطانيا فى مثل هذه الامور ، وهى أمور داخلية بحتة تخص الشعب المصرى لا الانجليزى ، وقلنا له انه ليس لبريطانيا أو لغيرها ان تتدخل فى مثل هذه المسائل لان هذا الزمن الذى كان لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات قد انتهى ساعة ان تحركت « المحروسة » حاملة فاروقا الى منفاه ..

وكانت فرصة لنا لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ عن الموقف فى مصر بعد فاروق ..!

وبعد ان ألقينا على نائب السفير الانجليزى ذلك الدرس رأيناه يتراجع بسرعة عن موقفه ، وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه ابتسامة وديعة :

ـ ارجو ان تعتبروا زيارتى هذه ودية وهى زيارة للصداقة وللنصح لاغير ..!

وطلب ـ رسميا ـ ان لا نعتبر أن هناك طلبات من بريطانيا ، وان حكومته لم تكلفه بهذه الزيارة على الاطلاق ، وهو قد فعل ما فعل كصديق !

وقاطعناه قائلين :

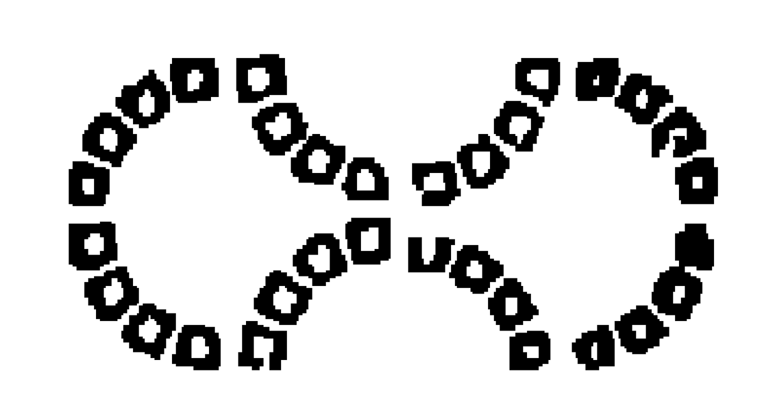
ـ ولـكنك كنت تقـرا من مذكرة فى يدك .. فمـا هى الحكاية ! ؟

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبات .. وقال وهو يحاول تفسير موقفه : انه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لـكى يتذكر ما سوف ينصحنا به كصديق

ولم يتركنا نائب السفير يومها الا بعد أن أكد لنا اكثر من مرة انه ما جاء الا كصديق ، وان المسـألة ليست تبليغـا رسميا من بريطانيا .. وقال انه يسحب كل ما قاله لنـا وطلب منا ان ننسى ما حدث .. ثم خرج !

تلك كانت اول معركة بيننا وبين بريطانيا ، وحدثت يوم طرد الملك ..

وكانت زيارة القائم بأعمال السفارة ـ فى ذلك اليوم ـ قد سبقتها زيارات اخرى ومواكب اخرى عجيبة وكانت كلهـا مواكب نفاق .. بعد ان عرف الساسة الباشوات ان فاروقاً قد رحل عن البلاد



الثورة وزعماء الأحزاب

الموقف السياسى بعد طرد فاروق

ماذا كان عليه الموقف السياسى بالتحديد ، بعد رحيل فاروق ! ؟ هذا هو السؤال ...

انها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى

فى اليوم الاول للثورة ـ ٢٣ يوليو ـ وبعد ان سرت الفرحة فوق هذه الارض ، ماذا فعل الساسة الباشوات ؟ !

هل فرحوا ... وايدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو ؟ !

كان الموقف واضحا .. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب ، والجيش يفرض ارادته على ملك البلاد .. ثم الجيش يطلب عزل ذلك الملك ..! فهل وقفوا بجوار قيادة الجيش صانعة احداث يوليو التاريخية ! ؟

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد ، كانوا يطالبون بالاستقلال التام اوالموت الزؤام، وينادون بالحرية والعدالة والديمقراطية ، كلما ارادوا حكم الشعب .. ! ؟

الوفد والسعديون والدستوريون والاخوان .. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد ، هل ايدت موقف الجيش من الملك فى ايام ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ يوليو ، مثلما ايد الشعب ذلك الموقف ! ؟

ام انهم كانوا لايمثلون الشعب فموقفهم ـ اذن ـ يصبح مختلفا تماما عن موقفه ! ؟

لقد كانت احداث تلك الايام من يوليو تشير بوضوح الى ان الضربات بدأت توجه لاعداء الشعب ... لتصرعهم !

كان فرض ارادة الشعب على اسرة محمد على عملا ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا .. فلماذا لم يقف زعماء البلاد الى جوار قيادة الجيش فى اللحظات الاولى للمعركة ، وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم ! ؟

هل كانوا يتوقعون ان يفشل الجيش فى طرد الملك ، وفى هذه الحالة يصبح موقفهم اذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من أسرة محمد على ! ؟

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا ، والشعب كان يؤيدنا منذ الدقيقة الاولى .. اقول ماذا كان عليهم ـ وهم الزعماء الغيورون على مصالح الشعب ـ لو وقفوا وايدوا الخطوة الاولى ، ولا اقول باقى الخطوات ! ؟

انى اقولها ويقولها التاريخ نفسه ان الزعماء جميعا كانوا يستهدفون فى تلك الايام مصالحهم فقط ومصالح احزابهم ..

ففى صباح ٢٣ يوليو لم يؤيدوا الجيش لان فى ذلك التأييد خطرا على تلك المصالح وذلك فى حالة فشل الجيش !

اما نجاح الثورة فذلك شىء لم يتوقعوه .. اما عزل الملك فذلك شىء لم يؤمنوا بأنه سيحدث !

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم ، لم نسمع لهم صوتا ، ولم نر وجها واحدا من وجوههم الكريمة !

كنا وحدنا فى المعركة ومعنا الشعب ... اما هم دعاة الديمقراطية والدستور والحريات فقد كانوا يأملون ان يفشل الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه ... فلا يحرمون من مقاعد الحكم ومغانم السلطان !

حتى ذلك الرجل حسن الهضيبى واتباعه ورثة كتاب الله فى هذا الزمان ، لم يؤيدوا قيادة الجيش فى ايام الثورة الاولى .. لم نر وجه الهضيبى وهو الداعية الذى يطالب بالحريات والديمقراطية !

فأين كان ؟ !

اين كان واتباعه وهم الذين زعموا فيما بعد انهم صانعو الثورة !

ثم فجأة وعندما عرفوا ان الثورة نجحت وان العرش قد سقط من فوق راس مولاهم جاءوا الينا مهنئين ... وهم الذين اختفوا عن انظارنا قبل رحيل الملك المخلوع ... بل ان رجال حزب الاغلبية ، الحزب الذى يدعى اصحابه تمثيل الشعب ، اقول ان هؤلاء الرجال ذهب بعضهم يوم ٢٤ يوليو ـ والشعب والجيش فى عنفوان معركتهما ضد صاحب الجلالة ـ وقيدوا اسماءهم فى سجل التشريفات ، فى سراى راس التين ، رافعين الى الاعتاب السامية فروض الولاء والطاعة ، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش تستعد للتحرك الى الاسكندرية لتطرد ذلك الملك !

ان اسم الفاضل صلاح الدين وزير خارجية الوفد لا يزال فى دفتر التشريفات يشهد على صدق ما نقول ! ؟

وجاءوا للسيد الجديد

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء .. كنا نتوقع ان يجيء الينا بعضهم ليعلنوا عن تأييدهم لما حدث ... لكن يبدو اننا كنا نحسن الظن بهؤلاء القادة ، فهم الذين صانعوا القصر والمستعمر طوال اعوام حكمهم ، وهم الذين فرضوا طغيان فاروق فرضا على الملايين العارية الجائعة المريضة !

وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصور كسادة يرفلون فى الحرير والنعيم ، ولتذهب المثل والقيم وكل المبادىء الى الجحيم !

وبعد ان زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينا فى مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفى كوبرى القبة بالقاهرة

وقد بدات طلائع تلك المواكب تظهر على ابواب القيادة

بعد ان عرفوا ان فاروقا قد انتهى !

ان الفاضل صلاح الدين الذى رفع آيات الولاء والطاعة للملك باسم الوفد يوم - ٢٣ يوليو - اى بعد الثورة ، جاء بعد رحيل فاروق ليهنئنا ويبارك ما حدث على ايدينا

والهضيبى وصلاح الدين والزعماء الافاضل من الاغلبية والاقلية .. وكل القطيع السياسى تزاحم على ابواب القيادة ليقدم فروض الولاء للسيد الجديد !

نفس الموقف .. فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على ابواب القصر معلنين عن الولاء والخضوع والطاعة ، واليوم يجيئون الى ابواب القيادة بعد أن رحل صاحب القصر ، وقد ظنوا اننا مثل سيدهم الذى ذهب !

ظنوا اننا ستدور بنا الرؤوس امام نفاقهم وريائهم فنضع مقاعد الحكم بين ايديهم ببساطة ونحن راضون !

ذهب سيد وجاء سيد ، تلك كانت معتقداتهم وآمالهم !

لقد كنا ونحن نستقبلهم فى القيادة لا نستطيع اخفاء اسفنا ، كنا نكاد نختنق من الضيق ، وهم امامنا يبتسمون فى خضوع مباركين ومهنئين ومؤيدين !

وكلما جاء الينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت الى بعضنا ، ولا نملك الا ان نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة كانت المسألة رياء فى رياء .. وليس لها اصل من الحقيقة !

نجيب يبدى دهشته

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية ، بل جلاديها .. فحديثهم سيجىء كثيرا فى قصتنا .. واعود الى الموضوع :

قلت فيما سبق ان الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع لها بعد الثورة وبعد رحيل فاروق واستقال جمال عبد الناصر من رياسة الهيئة فى ذلك الاجتماع ، ثم اجريت انتخابات جديدة

ففاز جمال بالاجماع للمرة الثالثة .. ثم توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة فى الليل وفى النهار ، فقد كان علينا ان نعد عدتنا للمعارك القادمة بعد ان اصبح كفاحنا فى العلن جنبا الى جنب مع الشعب

ولم يحضر اللواء نجيب تلك الاجتماعات فهو لم يكن عضوا فى الهيئة التأسيسية فكان يظل جالسا فى مكتبه حتى ننتهى من اعمالنا ، فيجىء يجلس معنا ، ونحيط به كأنه أب لنا ، فكان لايترك مناسبة دون ان يعبر لنا عن عجبه من موقفنا

كان يقول لنا ان كل شىء قد تم بمجهودنا ، وبالرغم من هذا فنحن ننسب كل شىء له وحده ، وهو لم يصنع شيئا على الاطلاق .. وكان يبدى لنا خجله من هذا الموقف ، فكنا ننكر فى شدة اننا صنعنا شيئا ، كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه .. وفعلا كان موقفه يزيد من ثقتنا فيه ، الى حد ان عبد اللطيف بغدادى قال ذات مرة ـ كما قلت من قبل ـ ان هذا الرجل ـ اى نجيب ـ اصبحت احبه مثل والدى .. وربما اكثر !

جمال يتنازل عن الرئاسة لنجيب !

وفى تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل .. واللواء نجيب كان يجلس فى مكتبه يستقبل الصحفيين المصريين والاجانب .. ثم عندما يعلم اننا لسنا مجتمعين يترك مكتبه ويجىء ليجلس معنا

واستمر الوضع على هذا الحال حتى منتصف اغسطس

وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقدت يوم ١٧ اغسطس فوجئنا بجمال عبد الناصر ـ رئيس الهيئة ـ يتقدم بطلب يقول فيه انه يتنازل عن رئاسة الهيئة للواء محمد نجيب !

وقبل ان نفيق من دهشتنا مضى جمال يقول :

ـ ان الوضع اصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب ، فهو لايحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح ان نضمه كعضو فى الهيئة فحسب ، بل انى متنازل له عن الرئاسة ؟

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع ، ثم تقدم جمال عبد الناصر باقتراح بضم اربعة آخرين الى الهيئة التأسيسية مع نجيب ، على ان يكون نجيب رئيسا بالنسبة لرتبته ، لانه لا يعقل ان يجلس معنا كعضو عادى ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة .. وبعد ان فرضناه ايضا قائدا عاما للقوات المسلحة !

اقتراح من جمال سالم

وفى نفس الوقت تقدم جمال سالم باقتراح ثان وقال فيه انه يرى ان يكون اعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط ، او ثلاثة ، على ان يعود باقى الاعضاء الى وحداتهم فى الجيش ، ويبقى الثلاثة او الخمسة لقيادة الثورة !

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة ، ثم انتهت بأن وافقت الهيئة على اقتراح جمال عبد الناصر ، فدخل محمد نجيب ـ لاول مرة ـ الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ومعه اربعة هم : يوسف صديق ، وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم امين ..

ومضينا نستعد للأحداث القادمة ..

موقف حزب الوفد من الثورة

أصبح اللواء نجيب معنا فى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ولم يكن عضوا من قبل ولم يكن يحضر اجتماعات الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها ..

فكنا كلما اجتمعنا بعد طرد فاروق كان يجلس فى مكتبه حتى ننتهى من الاجتماع ، فيجىء الينا لنحيط به وعواطفنا كلها معه ، لم نشك فى ايمانه بالثورة ، فأعطيناه كل ثقتنا واعتبرناه كأب لنا .. فهو كان فى كل لحظة يجلس معنا يتحدث فى خجل عن انكارنا لاشخاصنا ، فيقول أن كل شىء قد تم بمجهودنا نحن وهو لم يصنع شيئا ، وبالرغم من هذا فهو يعجب لاننا ننسب كل شىء له ، ونقول للشعب وللعالم انه هو قائد الثورة ، وهو صانع كل شىء ..!

وهكذا تبادلنا الثقة فى أيام ما بعد فاروق

وكما قلت سابقا فاجأنا جمال عبد الناصر فى جلسة الهيئة التى انعقدت فى ١٧ أغسطس ١٩٥٢ بتنازله عن الرياسة للواء نجيب ، وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل : « ان الوضع أصبح حرجا للغاية ، فاللواء نجيب قد قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة ، وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة .. وفى نفس الوقت هو لا يحضر اجتماعاتنا ، وهذا ما لا يصح أن يدوم »

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح جمال ، وأصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال

رئيسا لها منذ أنشئت ، وانتخب ثلاث مرات قبل الثورة وبعدها بالاجماع ليرأسها

ودخل أربعة آخرون مع نجيب اعضاء فى الهيئة هم : زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ويوسف صديق وعبد المنعم أمين

ومضينا كما قلت ، نستعد لمواجهة الاحداث القادمة .. نجيب رئيسا للهيئة وجمال وكيلا لها

وقبل أن أمضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك ، أود ان اذيع على الرأى العام فى مصر وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى الكتمان منذ قامت الثورة

وهى سر اختيار رشاد مهنا وصيا للعرش .. فقد أوضحت فى الحلقات السابقة موقف رشاد مهنا أولا بأول من الثورة

وكان آخر موقف له سردته هنا هو قصة مجيئه الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، وحيرته الشديدة واضطرابه عندما دخل علينا فى القيادة هناك ! وسألته يومها عن سر اضطرابه وحيرته .. فبكى وقال انه جاء ليبارك الخطوات الموفقة للثورة !..

وقد عاد رشاد الى القاهرة معنا فى نفس الطائرة يوم ٢٧ يوليو — ولم يكن أعضاء القيادة يتوقعون أن يقرر جمال عبد الناصر حسم الموقف بالنسبة لرشاد مهنا منعا للخلافات ، وبطريقة تحقق آمال ومطامع رشاد نفسه

فقد كان ضباط المدفعية وغيرهم من الضباط لا يعلمون حقيقة موقف رشاد من الثورة كما قلت من قبل ولم يعرفوا أنه رفض الاشتراك فى العملية ورفض أن يتعاون على الاطلاق واعتقدوا عندما جاء من العريش بدون اذن ، أقول اعتقدوا أن رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها ..!

والموقف لم يكن يحتمل تفسيرا .. فربما حدثت بلبلة

ونبتت خلافات والثورة فى ايامها الاولى
فلم نقل للضباط الحقيقة ، وظل رشاد صامتا ايضا
وعلى هذا ظل الاعتقاد ـ بأن رشاد مهنا قطب من اقطاب الثورة ـ سائدا بين ضباط المدفعية وغيرهم

□

وامام هذا الموقف شعر جمال عبد الناصر أن رشاد مهنا يريد شيئا ما ..
وعرف جمال الشيء الذى يريده رشاد
واراد جمال أن يعطيه ذلك الشيء حتى لا تحدث خلافات او انقسامات نتيجة للفهم الخاطيء لموقف رشاد مهنا ..

ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة .. رشاد طوال حياته هكذا يجرى خلف المظاهر ويتشبث بها ، ولا يعنيه شيء على الاطلاق سوى عشقه للمظاهر

ودون انتعلم ، توجه جمال عبدالناصر الى على ماهر وكان رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت . وقال له ان القيادة تريد ان يكون هناك من يمثلها فى مجلس الوصاية وطلب جمال من على ماهر أن يكون رشاد مهنا هو الذى يمثلنا فى مجلس الوصاية
وتبين بعد مراجعة الدستور انه لكى يعين أحد وصيا لابد ان يكون وزيرا سابقا على الاقل
وزالت العقبة ، فاتفق جمال على تعيين رشاد وزيرا للمواصلات ليصبح بعد ذلك وصيا على العرش

وبعد أن انهى جمال المسألة عاد الينا فى القيادة واخبرنا بما تم . وبالرغم من انها كانت مفاجأة لنا ، الا اننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة رشاد مهنا .. ولمشكلته التى كنا جميعا نشعر بخطورتها . وعندما وقعت المأساة واصبح رشاد وصيا

على العرش استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر أن ذلك الرجل هو قطب الاقطاب .. فى الثورة ، تماما كما كان شائعا من اللواء نجيب ..

والواقع ان رشاد مهنا كان يتصرف عندما اصبح وصيا العرش باعتباره ملك البلاد .. وسأروى فى حلقةاخرى كيف كان رشاد مهنا يتصرف وهو جالس فى قصر عابدين !

انه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا أكبر .. ونسى الثورة كالعادة

ويكفى اليوم أن أشير الى كلمة قالها ردا على طلب للقيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا ..

قال رشاد يومها وهو يرفض الموافقة :

ـ انى أملك وأحكم أيضا

نصحونا بأن نحكم ..

واعود الى قصتنا ..

قلت اننا بدأنا نستعد بعد دخول نجيب الهيئة التاسيسية لمواجهة الاحداث القادمة ، وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد ، بعد خروج فاروق ..

والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشاتنا فى تلك الايام هو دعوة برلمان الوفد الذى كان قائما قبل حريق القاهرة للانعقاد ، والنحاس وسراج الدين كانا فى مصايف أوربا يستشفيان فى ذلك الوقت

واذكر انه بعد ٢٦ يوليو أى بعد خروج فاروق جاء الينا اناس كثيرون فى نشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم

لقد ظنوا أن بريق النصر سيخدعنا ..

اعتقدوا اننا طلاب حكم ، لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم : لا .. لا ..

وكررناها فى حزم وقوة

واعود الي الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل

عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لاشعال نار الثورة

لقد فكرنا فى تلك الفترة ان نطلق شرارة الثورة الاولى بأن نفرض حزب الاغلبية وقتذاك ــ الوفد ــ على الملك .. واعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة ، واتصلنا فعلا بفؤاد سراج الدين « باشا » واوفدنا اليــه البكباشى احمد انور احد الضــباط الاحرار ــ وقائد البوليس الحربى ــ وذهب احمــد أنور ليسأل فؤاد سراج الدين عن موقف حزب الوفد فى حالة ماإذا فرضه الجيش على الملك ؟!

وقد طلب سراج الدين مهلة ليرد عــلى ذلك السؤال .. حددها بشهر ..

الوفد يخشى المعركة ..

وبعد شهر جاءنا رد سراج الدين .. وهو الرفض لان قطب الوفد ، ووارث الزعامة راى انه من المحال ان ينجح الجيش فى هذه العملية ..

عاد احمد انور الينــا وهو يحمل رد الوفد .. ان حزب الاغلبية لا يؤمن على الاطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض اى شيء على الملك ، لهذا يعتذر سراج الدين عن تحديد موقف معين ــ للوفد ــ فى مثل هذه الحالة ..

وفهمنا يومها مدى ايمان قيادة الوفد بالشعب .. فتلك القيادة لا تؤمن على الاطلاق بالكفاح العملى ضد اعداء الشعب « اى القصر » بل تترقب وتنتظر تحســــن الاحــوال حتى يستدعيها ملك البلاد الى حكم البلاد

أما فرض ارادة الشعب على الملك فذلك شيء لا يؤمنون به بل يهابون الاشتراك فى اظهار تلك الارادة

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رأت فيما عرضناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل ، وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الاعداء ، بل قررت مهادنة هؤلاء الاعداء والتعاون معهم اذا ارادوا ـ أى الاعداء ـ تلك المعاونة .. وليذهب الشعب الى حيث يشاء

وفهمنا يومها ايضا أن قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة الى المستقبل .. انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الاقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها مع مصالح القصر والاستعمار أيضا .. الطبقة التى لولاها لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع ولا عرى ولا مرض .. هى الطبقة التى تشرب الدم البشرى وتريد أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة الى الابد ..!

الوفد يتجه الى مصدر القوة

واستعرضنا يومها مواقف الوفد ـ أو بعبارة اكثر صدقا ـ مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى حريق القاهرة !

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف .. فالمسألة هى مسألة القضية الوطنية وليست شيئا آخر .. وعلينا ان نعرف أعداء هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين !

لقد كان موقف قيادة الوفد ـ وهو حزب الاغلبية ـ هو الاتجاه الى مركز الثقل فى السياسة المصرية ، ومركز الثقل كان فى يد كليرن السفير الذى كان يحكم البلاد .. ثم عندما انتقل مركز الثقل هذا الى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية ـ وكان ذلك من خطة الاستعمار فى ذلك الوقت ـ اتجه الوفد الى القصر وهادنه .. تماما مثلما هادن كيلرن وارتمى فى احضانه !

وهذا التحول المؤسف فى سياسةالوفد ظهر واضحا للعيان بعد أن أجريت الانتخابات على يد حسين سرى وفاز الوفد بأغلبية ساحقة ، وأصبح على الملك ان يدعو الحزب الفائز ليتولى الحكم ..

وسواء كان الوفد قد كسب المعركة الانتخابية بالباطل او بالحق فهو ــ اى الوفد ــ قد فاز على أى حال وتربع أقطابه على مقاعد الحكم بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين عنها .. فى انتظار الفرج !

أصبح الوفد ــ اذن ــ فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات ... فهل فعل ؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات !

انتابه الفزع ، فالوفد قادم ليصفى معه الحساب .. ليأخذ منه حق الشعب !

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك حسين سرى رئيس الوزراء وقال له :

ــ تعالى حوش عنى الوفد !

وكان مفروضا ان يخوض الوفد ــ باعتباره ممثلا للشعب كما يقولون ــ المعركة فى الحال ضد استبداد القصر .. فان الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قادته .. فهم أصبحوا حكاما !

وفى يناير ١٩٥٠ استدعى الملك مصطفى النحاس ليكلفه بتأليف الوزارة بعد نجاح حزبه فى الانتخابات .. وكان الملك يرتجف عندما دخل النحاس عليه فى عابدين .. كان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهر على فم صاحب المقام الرفيع ، بعد أن فاز رغم أنف الملك واصبح حاكما رغم انفه أيضا .. وهو الذى ظل فريسة لاضطهاده طوال خمسة

اعوام قضاها بعيدا عن لاظوغلى .. وعن النفوذ والصولجان !
وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم .. سمعه يقول له :
ـ انا ليه طلب ..
وتوقع فاروق شرا .. ظن ان زعيم الامة قرر الاشتباك معه فيمعركة وهو لم يزل فيأول الطريق .. وقبل ان تختفى صفرة الخوف من وجه فاروق بعد ذلك السؤال سمعالنحاس يقول له :
ـ طلبى .. انى ابوس ايد مولانا !
وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا فى قبضة أعداء الشعب فهى اذن قيادة غير شعبية .. وهى القيادة التى ايدهاالشعب وجاء بهـــا الى الحكم لتحمى مصالحه وتعمل من أجله .. ففوجيء بها تحمىمصالحالقصر وتعمل من اجل سراجالدين ، وباقى الباشوات أعضاء القيادة الوفدية !
ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل الينا أحمد أنور مندوب الضباط الاحرار الى الوفد رد سراج الدين .. الذى اعتذر فيه عن التعاون معنا ، وكنا قد قررنا أن نفرض الوفد على الملك كخطوة أولى لاشعال نار الثورة

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك ــ أى بعد أن رفض فؤاد سراج الدين أن يخوض الوفد المعركة مع الضباط الاحرار ــ قررنا عدم التعاون اطلاقا مع الهيئـــات والاحزاب فى مصر .. لان العقلية التى تسيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا .. فهم يريدون حكمـــا ونحن نريد ثورة .. نحن فى ناحية وهم فى ناحية أخرى .. نحن نريد تغيير نظام الحكم ، وهم يريدون الحكم نفسه !
يريدون الحكم فى كنف فاروق .. وكريم ثابت وبوللىوخدم القصور

أما المعارك جنبا الى جنب مع الشعب ضد فاروق فذلك شيء يرعبهم ويجعلهم يهربون من الميدان .. الى المخادع الناعمة فى انتظار العطف السامى

كانت المسالة فى برنامجنا هي كفاح من أجل الشعب ، أما المسألة التى فى برنامجهم فهى كانت كفاحا من أجل الحكم

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والاحزاب من كل خططنا فى المستقبل

وقررنا فى نفس الوقت الاعتماد على أنفسنا .. على تشكيل الضباط الاحرار ، فمن بين صفوف هذا التنظيم المناضل يمكن أن تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح أفرادها مع مصالح طبقات الشعب المتطلعة الى التحرر. فكل الضباط الاحرار من عائلات متوسطة وليسوا ابناء باشوات وليسوا من صلب الارستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع القصر وكل أعداء الشعب

رايان يتصارعان

غير اننا بعد عزل الملك بدانا نناقش الوضع من جديد . وفى كل اجتماعات الهيئة التأسيسية المستمرة دائما فى تلك الايام لم يقف أحد منا لينادى بأن نتولى نحن الحكم .. وانما كان هناك رأيان يتصارعان

الرأى الاول يقول : بما اننا كنا ننوى أن تبدأ الشرارة الاولى للثورة بفرض حزب الاغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسيير الامور ونجلس نحن نراقب الاحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة

والرأى الثانى يقول : لا يصح أن يحدث هذا .. فالوفد وكل الاحزاب والهيئات بما فيهم الاخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة ، واعتقدوا عندما اتصلنا بهم ان المسألة خيال فى خيال .. وتخلفهم هذا معناه انهم ليسوا

ذوى نواياحسنة بالنسبة للشعب، ومعناه أيضا أنهم لايؤمنون بما ينادى بهالشعب، وكفاحهم من أجل مصالحهم هملامصالح الشعب . وقيادة كل هيئة وكل حزب أصبحت معزولة عن الشعب تماما .. ومصالحها متناقضة مع مصالح الشعب فهى ـ اى تلك القيادات ـ سوف تكون حربا على اهـداف الثورة لو مددنا أيدينا اليها

ومضى انصار الرأى الثانى يفسرون أهداف الهيئـات والاحزاب ويقارنونها بأهداف الشعب . ثم قالوا ان الثـورة تحتم الغاء كل تلك الاحزاب والهيئات التى تآمرت عـلى الشعب طوال الربع قرن الاخير .. وهى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خروج فاروق .. فلن يعدموا طاغية آخر وأعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهم مع مصالح هؤلاء الساسة القدامى . وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث !

كأننا لم نقم بثورة .. وكأننا لم نطرد صـاحب العرش ، وكأننا كافحنا وأصررنا على الكفاح من أجل أن نسلم البـلد لهذا القطيع المتآمر والخاضع للاستبداد المتطلع الى لاظوغلى لا الى الشعب !

واستمرت المناقشة واحتدمت فى تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية . وكان الرأيان المتصارعان هما محـور كل المناقشات !

التطهير المزيف للاحزاب

.. كان رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ، ويقول :

ـ اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد

وقال لنا الاخوان :

ـ نحن لها ... نحن الذين سننقذ الموقف ... اما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم ... اجعلونا اوصياء على الثورة ، هذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا

... وكنا نؤمن بأن الثورة لا يمكن أن تمضى فى طريقهـا بديمقراطية الوفد والاخوان والسعديين .. ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة ... ديمقراطية العبيد

... وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من ارض مصر بعد طرد فاروق ، تتيقظ وتعى موقفها تمـاما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل ، فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من افراد مساكين ، يقودها مشعوذ او أجير لتهتف :

ـ حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه

وطالبنا الاحزاب بالتطهير

ومنهم زرق الانياب وقدامى السياسـة والحكم ، انهم ستطيعون أن يضحكوا علينا

وعقد الوفد اجتماعا واصدر قائمة
وعقد السعديون اجتماعا واصدروا قائمة
وعقد كل حزب اجتماعا واصدر قائمة
وكانت حكاية التطهير مهزلة

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ، ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين

ماذا كانت تريد ؟..

لقد وقفت بالقارىء فى آخر حلقة من القصة عند موقف الاحزاب من هذه الثورة ، وقلت اننا فتحنا امامهم الابواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا : تعالوا .. ساهموا معنا فى هذا العمل التاريخى الكبير .. تعالوا نصنع ـ جميعا ـ مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت

وترددوا ـ جميعا ـ ولم يمد احدهم الينا يده .. كانوا يعتقدون أن الذى حدث فى ٢٣ يوليو ما هو الا أحدالانقلابات المعروفة العادية ، والتى قد تزول بين يوم وليلة ، وبعد ذلك يتولون زمام الامور من جديد

لم يفهموا على الاطلاق انها ثورة والا فما معنى ترددهم ؟!

قرروا أن ينتظروا ليروا الى أين تتجه الاحداث بعد ذلك اليوم من يوليو . وفى نفس الوقت ، ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم ، كان الرسل يجيئون الينا ويروحون .. رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ويقول :

ـ اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد .. صدقونا .. انتم لن تتمكنوا من صنع شىء على الاطلاق ، الا اذا أيدناكم نحن الوفديين ، فلابد من حزب سياسى يقف الى جواركم

ولا ينسى « القطب » أن يستعرض أمامنا قائمة الاحزاب المصرية الموجودة

وبعملية بسيطة نخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب الوحيد الذى لا نجاة للثورة الا به ، لانه حزب الاغلبية .

ويخرج اقطاب الوفد من عندنا ليدخل اقطاب آخرون هم الاخوان ، وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع التاريخ والتطور الانسانى

قال لنا الاخوان : نحن لها .. نحن الذين سننقذ الموقف أما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم .. اجعلونا أوصياء على الثورة .. هذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا

من يريد ان يثور معنا

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع الى كلام «الاخوان» أنهم على ثقة من قدرتهم على خداعنا ، فكنا نلوذ بالصمت ولا نشعرهم باننا نفهم كل ما يدور فى رؤوسهم .. الجميع كانوا ينظرون الينا باعتبارنا صغارا لا قدرة لهم على مواجهة الاحداث .. كأنهم كانوا بأعمارهم المديدة قادرين على مواجهة أحداث ماقبل يوليو .. فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ ؟!

الواقع اننا ـ في ذلك الوقت ـ كنا فى حيرة ، فقد كانت الخطة التى وضعناها فى اخلاص شديدتقضى ـ فعلا ـ بالتعاون مع من يريد أن يثور معنا ، من يفهم أن المسألة هى العمل والعمل والعمل .. وليس الحكم !

ومن أجل هذا طلبنا من كل الاحزاب أن تطهر نفسها فورا كشرط للتعاون من أجل بعث مصر وتغيير شكل النظام القائم

ديمقراطية العبيد

قلنا لهم : انسوا برامجكم القديمة وأساليبكم الماضية ، وتخلوا عن معتقداتكم التى كانت تتفق مع الوضع قبل يوليو ، وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ .. ولا سبيل الى العمل و التعاون والاشتراك فى « الثورة » بهذه العقلية وبتلك البرامج المعتقدات !

كنا نؤمن بأن « الثـــورة » لا يمـكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفـــد والســـعديين والاخوان ، فتلك كانت ديمقراطيـة النظام الملـكى الاقطاعى القــائم فى كنف القوات المحتلة ... أى ديمقراطية العبيد !

فالبرلمان والدستور وكل الاشكال الوهمية للحرية ..والتى كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقـــوة ومنعه من نيل حق واحد من حقوقه التى كانت فى قبضة أعضاء البرلمان والحكام وحماة الدستور

كان الاقطاعى يمثل تمثيلا ـ ديمقراطيا ـ مصالح الفلاحين .. عبيده ! فأين الديمقراطية هنا ، وكيف كان يمكن للثــورة أن تقضى على الاقطاع اذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع الوفد وغيره من الاحزاب هو الاساس الذى سيقوم عليــه النظام بعد يوليو !؟

ذلك كان الموقف بالتحديد ، لا ديمقراطية اذن ولا دستور ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للامة ، لاشىء من هذا على الاطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة اذا لم تتطهر الاحــزاب وتغير من برامجها ، من أشخاص القائمين عليها وهم الاعداء الحقيقيون للشعب

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتــوم للناس فى مصر بعد سقوط فاروق

النائب والشعب ..

وقد كنا فى ذلك الوقت نحاول أن نجد طريقة نغير بها من أساليب الكفاح السياسى الوفدى والسعدى والدستــورى والاخوانى .. كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صـاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين ،

ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف :

ـ حرامى .. حرامى . .لكن عايزينه

كيف يفهم الفلاح

كان حتما ان يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنبا الى جنب مع دورات الثورة ، فكيف يكون ذلك ، والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هو الحال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد !؟

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى « درين » أن الهتاف بحياة عبد العزيز البدراوى نائب مركز طلخا جريمة .. بعد يوليو ؟! وهو ـ أى فلاح درين ـ لم يهدم الاقطاع بفاسه حتى كان يمكن أن يعى معنى الثورة ؟! كنا نواجه حالة تاريخية شاذة

كنا لا نريد أن تسيل الدماء فى درين وفى القاهرة وفى كل المدن والقرى حتى يعى الشعب موقفه ، ويفهم أن الثورة ما قامت الا من أجله هو ومن أجل تحديد مستقبله ، لا من اجل طبقة معينة

والدماء كان يمكن أن تسيل .. كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة الى جانب الشعب فى درين وفى القنال وفى أقاصي الصعيد ... لكن ما ثمن كل هذا .. وما نتيجة الدم المراق ؟

حيرة التاريخ ..

وماذا لو استطعنا ان نحقق للشعب كل حاجاته واهدافه بلا دم ؟! هنا يقف التاريخ حائرا الى حد ما ليرقب النتيجة .. فهى حالة شاذة كما قلت فى تاريخ الثورات !

وفى حجرتنا القائمة هناك فى مبنى القيادة بكوبرى القبة : كنا نجلس لنعد خطة الزحف الابيض على أعداء الشعب .. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا .. بلا بارود ولا اشلاء ولا رقاب طائرة

صحيح ان الثورة الدموية تخلق الوعي السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضى كالمارد فيه حتى النهاية ، لكن مقومات الثورةالدموية التىكان منالمفروض ان تحدث بعد يوليو لم تكن موجودة .. فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك ، لان الموقف فى مصر مختلف عنه فى كل بلاد الدنيا .. الظروف ، والاوضاع والوعى والتنظيم الثورى النابع من أعماقالشعب .. ثمهناك الحقيقة الكبرى فى قصة ثورتنا ، وهى أن قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هذه القوات .. وهذه الحقيقة ذكرتها فى الفصول السابقة مرارا عديدة .. فهى ـ اذن ـ حقيقة تاريخية ومعناها أنه لامجال على الاطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه مادام الشعب قد اصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة ، ومادامت قيادة تلك القوات أصبحت تنادى بمطالب الشعب .. وتعمل على تحقيقها

اين هم الاعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هذه الحقيقة دون أن يستسلموا ..

لا البدراوي ولا أىعدو آخر يمكنه انيتمسك بالارض اذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى درين وينذره قائدها بتسليم الارض لاصحابها ..

ان الموقف بالتحديد هو ان الدبابة كانت تحمى البدراوى من فلاحيه ، ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفلاحين من البدراوى !

ومضينا فى زحفنا الابيض

وأمام هذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الابيض على أعداء الشعب حتى النهاية .. ومن أجل ان نطمئن الجميع ـ حتى الاعداء ـ طلبنا من الاحزاب ـ كما

قلت ـ أن تطهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم للشعب بعد يوليو

لكن ـ كماقلت ـ اعتقد أقطاب تلك الاحزاب أنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا ، نحن الضباط الشبان الصغار ، فهم زرق الانيـــاب وقدامى فى السياسة والحكم .. أما نحن .. فمن نكون ؟

وانتظرنا من زرق الانيـــاب هؤلاء أن يطهـروا أنفسهم ويغيروا من برامجهم فى صدق وليس كما فعلوا بعد ذلك كما سيجىء فيما بعد .. لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا الى انذارهم ، ونشر الانذار فى الصحف واذيع ، وقد جاء فى نهايته تلك العبارة : « وقد أعذر من أنذر .. »

التطهير المزيف ..

وهنا شعروا أن « الثورة » جادة فى المسألة ، وأن الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام فى كلام

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا ، وأدار الاجتماع الاعداء الذين ما قامت الثورة فى مصر الا لتقضى عليهم ، بل ما قامت اية ثورة فى اى قطر من الاقطار الا للقضاء على امثالهم ..

المهم أن الوفد عقد الاجتماع والسلام ، واصدر الوفد قائمة باسماء بعض اعضائه الذى قرر اخراجهم من الحزب لتطهيره. وهؤلاء الاشخاص لم يكن لهم نفوذ فى الحزب بل لم يكن هناك مبرر لاخراجهم ، ولا أحد يعلم لماذا قرر الوفد اخراجهم ، وقد ظنوا كما ظن غيرهم فيما بعد انهم ضحكوا علينا بعمليـــات التطهير والتغيير المزيفة تلك ... وكانت حــكاية التطهـــير مهزلة ..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامــج لما كان فى مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبــل عشرات السنين !

تحديد الملكية

تحديد الملكية والأحزاب

كان هناك رأيان يتصارعان فى اجتماعات الهيئة التأسيسية ، وقد احتدمت المناقشة بين أعضاء الهيئة حول الرايين ..

وكان أصحاب الراى الاول يرون أنه بالرغم من أن قيادة الوفد قد انسلخت عن الشعب حين ضمت اليها الاقطاعيين ، الا انه يمكن استدعاء برلمان الوفد الذى كان قائما قبل احداث يناير سنة ١٩٥٢ لتسيير الامور ، على أن نراقب نحن الاحوال والخطوات وتنفيذ اهداف الثورة .. ذلك هو الرأى الاول

أما الرأى الثانى فيقول أصحابه ان حزب الوفد والاخوان وكل الاحزاب فى البلد ، يكافحون ـ جميعا ـ من أجل مصالحهم فقط ، وليس من أجل مصالح الشعب ، والثورة قامت لتحقيق المصالح الشعبية ، فوجود تلك الهيئات والاحزاب ـ اذن ـ معنا سيعطل الثورة وربما قضى عليها

وظلت المناقشات دائرة فترة طويلة ، ليلا ونهارا حول ذلك الموضوع .. فالى اى الرايين اتجه الاعضاء فى النهاية !؟

.. فى النهاية اقتنع الاعضاء بالراى الثانى ...

اقتنعنا ان كل الاحزاب والهيئات بما فيها الاخوان ما هى الا نتاج طبيعى للوضع السياسى فى البلاد خلال ربع القرن الاخير .. اى انها ما وجدت الا لتعمل فى كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر .. ورواسب الاحتلال باقية فى رؤوس قادة تلك الاحزاب والهيئات لان مصالحهم ارتبطت به وبوجوده

والنظام القائم فى البلاد .. فالتعاون بين تلك الهيئات والاحزاب وبين الاستعمار هو تعاون من أجل تبادل المصالح والمنافع ، فاذا مدت الثورة يدها لهؤلاء القادة فمعنى هذا هو ان الثورة ستهادن أيضا الاستعمار وتبقى على النظام القائم وكل شيء .. أى أنها لا تكون ثورة .. ولم يكن هناك ما يدعو لقيامها مادامت اهدافها هى جعل الاحزاب والهيئات التى وجدت فى البلاد خلال ربع القرن الاخير تتولى زمام الامور ..

واستعرضت خلال المناقشة المفاسد التى كانت الطابع الواضح فى قيادات الوفد والاخوان وباقى القطيع !

وعلى هذا الاساس أعدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار قرارا يقضى بحل الاحزاب كلها والاخوان أيضا ، وابعاد كل السياسيين القدامى الذين تعاونوا مع القصر والمستعمر ، وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها ، والتى بدونها لا يصبح للحزب أو الهيئة مهما كانت صفتها دور فى تطور الشعب او تحريره من المظالم كلها .. او فى خلق الحياة الديمقراطية الصحيحة التى قامت الثورة من اجل ارساء قواعدها الصحيحة

وفى نفس الوقت يفسح المجال امام جيل سياسى جديد يؤمن بالشعب وبأهدافه ويرتبط بمصالحه ولا ينسلخ عن طبقات الامة التى قامت الثورة من أجل تحطيم قيودها !

جمال يقول .. هذه ديكتاتورية

وبعد أن وصل أعضاء الهيئة الى هذا القرار ، وقف جمال عبد الناصر .. واعترض على هذا القرار .. وقال :

ـ يا جماعة .. انى أخشى ان يفهم البعض من هذا القرار اننا نتجه نحو الديكتاتورية !

ومضى جمال يقول لنا :

ـ ان ثورتنا ديمقراطية ، وهى قد قامت أساسا لاعادة حقوق الشعب بعد انتزاعها من اعدائه ، الملك والاستعمار والحكام ، ونحن لا نستطيع ان نصنع ديكتاتورية فى هذه البلاد ، لان الديكتاتورية لا تقوم الا لحماية مصالح طبقة ، والبطش بمصالح الطبقات الشعبية الاخرى ... وليس فى مصر طبقة يمكن ان تقام ديكتاتورية تحميها من الشعب الا الاقطاع ، ونحن فى سبيل ضرب ذلك العدو الذى ربض على صدور الشعب طوال مئات السنين ، فلمصلحة من تقام الديكتاتورية !؟

لمصلحة الراسماليين !؟

اننا قمنا بثورتنا لتحرير الشعب من استغلال الراسماليين فالديكتاتورية اذن تصبح ضد اهداف الثورة !؟

وبدانا ننصت الى كلمات جمال وهو يتحدث الينا معترضا على قرار حل الاحزاب والهيئات ، ومنع السياسيين القدامى من مزاولة اى نشاط سياسى

وعاد جمال يقول :

ـ احب أن تفهموا أن الديكتاتورية معناها أن طبقة معينة تريد استغلال باقى الطبقات الاخرى فى الامة ، وهى ، أى تلك الطبقة ، لا تستطيع ان تستغل الشعب الا فى ظل النظام الديكتاتورى . فأى طبقة تلك التى نريد نحن ان نستغل الشعب لحسابها ونبطش به ، ونحكمه بالكلمة المجردة من اجل بقاء الطبقة المذكورة وحماية مصالحها ؟

اننا لا نمثل طبقة الرأسماليين فنحن جميعا ابناء فلاحين ومن عائلات متوسطة فليست لنا مصلحة فى اقامة نظام ديكتاتورى .. فمصلحتنا هى نفس مصلحة جميع ابناء العائلات المتوسطة والفقيرة والكادحة .. هى نفس مصالح الشعب ، وتلك المصالح على اختلافها لا تتحقق الا فى ظل نظام

ديمقراطى سليم يفرض ارادة تلك الطبقات على الحاكم . فيظل ملتزما حدودها . .

والديكتاتورية لاستعمار الشعوب !

ومضى جمال يقول :

ومسالة ثانية وهى ان الديكتاتورية تقام أيضا من أجل استعمار بلاد أخرى

بمعنى ان تقرر دولة ما فتح اسواق عالمية امام انتاجها وتكون تلك الاسواق تسيطر عليها دول أخرى ، وفى هذه الحالة تقيم الدولة المذكورة ديكتاتورية فى ارضها لتوجيه شعبها الى الحرب ، أى لاستعمار الدول التى تريد الاستيلاء على أسواقها

فهل نحن نريد استعمار دول العالم ؟

لا شىء من هذا على الاطلاق له وجود فى رؤوسنا أو فى حياتنا . . فكيف اذن نقيم حكما ديكتاتوريا ؟

انه من المحال ـ ماديا ـ اقامة مثل هذا النظام فىمصر ! لان الوضع فى مصر يحتم اقامة نظام ديمقراطى . .

ومضى جمال يومها يتحدث عن الديكتاتورية والديمقراطية حتى قال :

ـ انا بطبيعتى انفر من الديكتاتورية ولا أتصور انه من الممكن العمل فى ظلها واخشى أن يفهم بعض الناس هنا او فى الخارج من هذا القرار الذى أعددتموه اننا نستهدف اقامة نظام ديكتاتورى . . ففى هذا الفهم الخاطىء تعطيل للثورة ، وعرقلة لخطواتها . وستحاول الرجعية المصرية ، وكل الاعداء، استغلال هذا الموقف وهذا الفهم الخاطىء للقرار المذكور فى تشويه ثورتنا !

صحيح ان كل الهيئات والاحزاب فى مصر ، كما وضح

لنا ، لا تصلح على الاطلاق بوضعها الراهن لحكم البلاد او للعمل الى جانب الشعب ، لكنى أرى أن نعطى الجميع فرصة ولا داعى لهذا الاجراء العنيف ، فربما أودى بنا هذا الى الديكتاتورية ، والفرصة التى سنعطيها للاحزاب والهيئات هى املنا الاخير فيها

لنعط الاحزاب هذه الفرصة لتصلح من برامجها وتحدد اهدافها فاذا ما حددت تلك الاهداف والبرامج ، وطهرت نفسها من عوامل الفساد والرجعية أصبح من السهل عليها — اى الاحزاب — ان تتعاون مع الثورة ، وتمضى معها فى طريق واحد .. فتتبلور كل الجهود داخل الثورة ويصبح تحقيق الديمقراطية السلمية امرا هينا فى الشهور القادمة

وختم جمال عبد الناصر كلمته فى ذلك الاجتماع التاريخى بقوله :

— اننا اذا اعطينا الاحزاب والهيئات فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها واهدافها بما يتفق والوضع الجديد بعد فاروق .. نكون قد اشركنا الشعب معنا فى الحكم على صلاحية تلك الاحزاب والهيئات او عدم صلاحيتها !

وبعد ان انتهى جمال من حديثه عن الديكتاتورية قال للاعضاء :

اما اذا رأيتم الاخذ بذلك القرار فانى أدعو لكم بالتوفيق واراني مضطرا الى الانسحاب ، وسأدعو لكم بالتوفيق، وسأكون طوع امركم فى الجيش او خارج الجيش ، وفى هذه الحالة أرجو أن تعتبرونى مستقيلا من الهيئة ! وتوجه جمال على الفور الى منزله بعد أن ترك لنا استقالته !

نجيب يوافق على حل الاحزاب ..!

ذلك كان موقف جمال عبد الناصر بعد ان قرر أعضاء

الهيئة التأسيسية حل الاحزاب والهيئات كلها ومنع كل السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى .. وكان اللواء نجيب يرى نفس الرأى .. اى حل الاحزاب والهيئات

كان جمال هو الوحيد الذى عارض وأصر على موقفه ،وامام هذا رأينا أن نعيد النظر فى الموضوع من جديد ، فكلنا كنا نؤمن بأن جمال لا يتكلم الا اذا كان حديثه قائما على اسس واقعية

انه دائما ينظر الى بعيد ، انه دائما ذلك المناضل الناضج الذى يعى موقفه ويعرف اين يضع قدميه .. وهو طوال أعوام نضالنا كان ينادى دواما بأن نلتصق بالشعب ولا ننعزل عنه .. وهو كان دواما يرى اشراك الشعب فى كل صغيرة وكبيرة لان المسألة مسالته وليست مسألة احد غير الشعب ..

دينامو الثورة .!

لقد عرفنا جمال منذ عام ١٩٤٣ عندما تسلم جمال قيادة التنظيم .. عرفنا فيه « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله ، ومن أجل هذا انتخبناه ثلاث مرات رئيسا للهيئة التأسيسية ، مرتين قبل الثورة ومرة بعدها ! ثم تنازل من تلقاء نفسه عن الرئاسة لنجيب .. وأصر على ذلك التنازل حتى اضطررنا الى الموافقة !

وقد ظللنا نفكر فى كلمات جمال التى قالها لنا وهو يعترض على القرار المذكور ويصر على اعتراضه الى حد تقديم استقالته !

فكرنا فى كل كلمة قالها وحللناها .. وكنا نعرف أن جمال يؤمن ايمانا عميقا بالتنظيم ..

كان يقول دائما بأنه لا يمكن ان يتم اى عمل بدون خطة .. ويعد للخطة آلاف الاعتبارات ..

كان كما قلت هو « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله ..
وفى كل عمل قمنا به قبل الثورة أو بعدها كان نضج تفكيره
هو الذى يحسم الموقف .. ومن أجل هذا كله آمنا به كصاحب
عقلية متطورة منظمة مؤمنة .. وتلك هى العقلية التى يتحتم
ان يتصف بها كل قائد ..

وامام هذا كله ، رفضنا استقالة جمال فلا يعقل ان يدور
جهاز ـ اى جهاز ـ بدون الشيء الذى يحركه ! وجمال هو
الذى كان يحرك جهاز الثورة !

ورأينا أنه لا بد من ان نعيد النظر فى القرار

وفتحنا باب المناقشة .. مرة ثانية فى الموضوع .. وفى
النهاية رأينا ان نعطى الاحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد
برامجها واهدافها بما يتفق والوضع الجديد .. بما يتفق
ومصالح هذا الشعب . هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى
ففى اعطاء هذه الفرصة للاحزاب والهيئات اشراك للشعب
معنا فى الحكم عليها .. وسوف يعرف ان كانت ستعمل
ـ بعد اعطائها تلك الفرصة ـ على تحقيق مصالحه واهدافه
ام انها لا تزال كما هى تستهدف مصالح قادتها واقطابها !

صممنا على اجراء الانتخابات

وصدر القرار فعلا بهذا .. وتحدد ـ فى القرار ـ موعد
أقصاه شهر فبراير عام ١٩٥٣ أى ستة شهور لاجراء الانتخابات،
بعد ان تنتهى الاحزاب من تطهير نفسها ، ومن تحديد اهداف
جديدة وبرامج جديدة تتفق والوضع الجديد .. وتتمشى
مع التطور الذى لابد منه للشعب

وكان على ماهر فى ذلك الوقت لا يزال فى الحكم، فأصدر
بيانه المشهور الذى هاجم فيه الاحزاب كلها .. لكنه أغفل
ذكر الموعد الذى حددته القيادة لاجراء الانتخابات !!

وكنا قد أبلغناه بذلك القرار الذى يتضمن اعطاء فرصة للاحزاب لتهيئة نفسها للانتخابات .. بالتطهير وتحديد برامج واهداف جديدة !

وبعد ان صدر بيان على ماهر بساعتين ، وقد فوجئنا باغفاله ذكر موعد الانتخابات ، أصدرنا بيانا آخر أكدنا فيه تمسكنا باجراء الانتخابات فى فبراير سنة ١٩٥٣ ..

فماذا حدث ؟ ..

لماذا لم تتم الانتخابات ، ولماذا لم يتقدم الساسة والزعماء الى الطريق ويمضوا مع الثورة حتى النهاية ؟ ..

لماذا لم يقرروا مد ايديهم للشعب فى كفاحه الطويل المرير ؟ !

لماذا لم يكونوا ديمقراطيين فيؤمنوا باهداف الثورة ؟ .. وكان الهدف الاكبر للثورة فى ذلك الحين ، او بعبارة اخرى كان الاساس الذى أردنا أن نقيم عليه بناء الثورة الكبير هو قانون تحديد الملكية .. اى ضرب رأس الخيانة والظلم والفساد السياسى فى البلاد .. الاقطاع

ديكتاتورية وديمقراطية !!

فهل كان قانون الاصلاح الزراعى وهو قانون اخذت به احدث الدول فى التقدم والتطور .. أقول هل كان ذلك القانون هو الذى كشف عن حقيقة الاحزاب والهيئات المصرية .. ونوايا قادتها واقطابها !؟

أو ما هو الشىء الذى كشف عن نواياهم تجاه الثورة ــ أى الشعب ــ فمنع تنفيذ قرار الهيئة التأسيسية الذى حددنا فيه موعد الانتخابات خلال ستة شهور

انها كانت مرحلة خطيرة حقا فى كفاحنا .. ان رئيس الوزراء

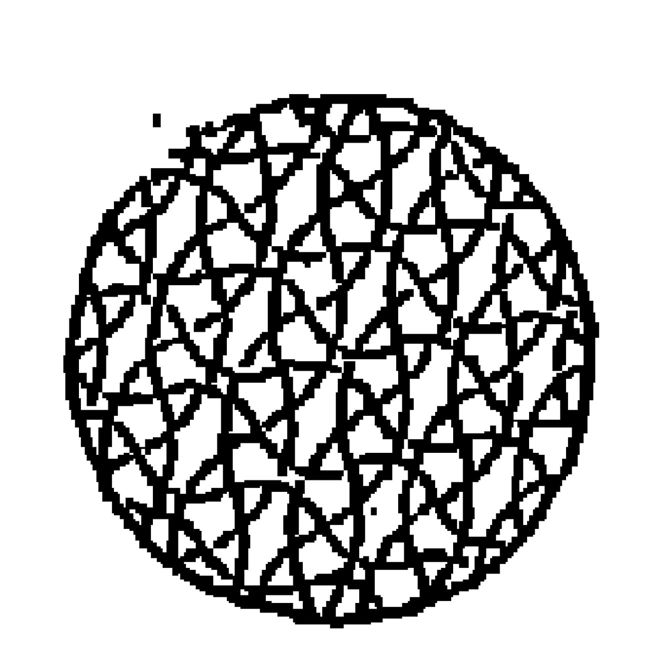
نفسه الذى يحكم فى ذلك الوقت كان يعارض ذلك القانون ..
كما عارضه كل الباشوات .. فهل اخطأنا نحن وأصحاب
الباشوات ! ؟

هل كنا ضد الديمقراطية حين أصررنا على ضرب الاقطاع
والبطش به ! ؟

هل كان موقفا ديكتاتوريا منا حين اردنا منع شخص
واحد من ان يملك الارض ومن عليها من بشر وحيوان
وجماد ! ؟

ان كلمات جمال عبد الناصر لاتزال ترن فى أذنى ، عنده
قال :

ـ سوف تستغل الرجعية موقفنا العنيف هذا من الاحزاب
والهيئات لتشوه ثورتنا .. فتصمها بالديكتاتورية



أوصياء العرش والاقطاعيون

حددنا ـ اذن ـ موعد الانتخـــابات كما قلت ـ أمس ـ وأعطينا للاحزاب فرصة لتراجع نفسها ، وتقرر هل هى تؤيد أحداث يوليو مثل الشعب ، أم هى قد روعت بما حدث فى ذلك الشهر الخالد

أعني اننا أردنا ان نكشف الطريق امام الثورة ..

فقد كان حتما علينا ان نعرف الاعداء الذين سيتربصون بالثورة وهى ماضـية فى طريقها ، فاذا ما عرفنـاهم اصبح الطريق امام الثورة اكثر امنا ونورا ، فلا يطعن الشعب فى ظهره وهو ماض فى زحفه نحو المستقبل ..

وصـــدر القرار من الهيئة التأسيسية كما قلت وحددنا فيـــه شهر فبراير عام ١٩٥٣ لاجراء الانتخـــابات وكان أمام الاحزاب التى ستخوض معركة الانتخابات ان توضـــح نواياها تجاه أهداف الشعب بعد أن طرد فاروق .. فتطهر نفسها وتبعد عن صفوفها كل فرد فيها مهما كانت صفته فى الحزب .. وخاصة الافراد الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح العرش الذى طرد صاحبه ..

وبعد أن تكون تلك الاحزاب قد غيرت من برامجها واهدافها أيضا ، فلا يعقل ان تبقى البرامج والاهداف التى حددتهـــا الاحزاب لنفسها ايام فاروق ..

والزمن قد تغير .. وكل شيء كان لابد ان يتغير والا فلا كانت الثورة ولا كان الكفاح فى سبيل قيامها . !

وكان على ماهر رئيس الوزراء ، نفس السياسى المصرى

الذى فرضته الثورة على فاروق قبل اخراجه من أرض الثورة

وأذاع على ماهر بيانا ــ كما قلت ــ هاجم فيه الاحزاب ، واغفل فى البيان الاشارة الى قرار الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، والذى حددت فيه القيادة الانتخابات ، واضطررنا بعد صدور بيان على ماهر الى اصدار بيان فى الحال اكدنا فيه اصرارنا على تحديد شهر فبراير المذكور لاجراء الانتخابات

لقد كان الوضع غريبا جدا ، فالوزارة التى تولت الحكم بعد ٢٣ يوليو كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

كنا نريد ثورة ، والوزارة لاتكاد تشعر بما يجرى وسيجرى تحت سماء مصر من أحداث ..

وربما كان يظن أفراد تلك الوزارة اننا فرضناهم على الملك لكى يحكموا ويوجهوا الشعب ويصنعوا مستقبله بلا ثورة !

مفاجآت لحكومة على ماهر

ولم تؤمن تلك الوزارة بأنه لابد ان يحدث تغيير فى الوضع السياسى والاقتصادي والاجتماعى ..

وربما فوجئت تلك الوزارة باتجاه الثورة الى ضرب الاقطاع بعد أن خلعت الملك عن عرشه ..

وأكاد اعتقد ان الوزارة المذكورة فوجئت بالثورة نفسها فقد كان على ماهر يظن في اللحظات الاولى للثورة ان المسألة لاتخرج عن أن الجيش له طلبات ، ويريدأن تنفذ ، ثم بعد ذلك يبقى كل شىء كما هو !

لكنه فوجىء بعد يومين من قيام الثورة برجال القيادة يكلفونه بحمل الانذار الى الملك بمغادرة البلاد ، وكان على ماهر قد اطمأن على بقاء النظام ، بعد ان حمل طلبات الجيش الى الملك ، وموافقة الملك على تلك الطلبات ..

وبعد ذلك توالت المفاجآت امام حكومة على ماهر ..

وعرف ان القيادة تريد انهاء مسألة الاقطاع فى الحال كوسيلة لتحطيم القيد الذى رسفت فيه أغلبية الشعب ـ الفلاحون ـ طوال مئات السنين .. فلم يكن لتلك الملايين ارادة على الاطلاق ولا حقوق على الحاكم ... بل الارادة كانت ارادة الاقطاعيين والحقوق كلها لهم ..

وكانت تلك هى فلسفة الثورة المصرية

الفلسفة التى تحددت فى منشورات الضباط الاحرار منذ بدأوا نضالهم التاريخى المرير فى سبيل الشعب

وقد تضمنت تلك الفلسفة أيضا القضاء على سيطرة راس المال ...

حالتان كانتا لابد ان تزولا لتحقيق أهداف الشعب .. لكن الوزارة ـ كما قلت ـ كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

وأعود الى الانتخابات التى كانت قد تحدد موعدها ..

فعلى أى أساس كانت ستجرى تلك الانتخابات ! ؟

طلبنا ـ كما قلت ـ من الاحزاب أن تحدد موقفها من الثورة .. اى من أهداف الشعب .. كشرط أساسى للتعاون بين الثورة وبينها .. لانه كان لا يعقل أبدا أن تجرى الانتخابات بعد طرد فاروق والباشوات وأذنابهم والارستقراطيون هم الذين يسيطرون على كل الدوائر الانتخابية

ان الاقطاع هو الذى سيكسب المعركة ، كما كان يكسبها دائما فى كل الانتخابات التى جرت فى هذه البلاد

فالاقطاعى يملك القرى والارض بمن فيها ومن عليها من بشر .. ومصير الناخب أى الفلاح كان فى قبضة ذلك الاقطاعى. والاقطاعى فى يده ان يجيعه ويشرده مع أبنائه .. فكيف

السبيل الى تحرير الفلاح من هذا القيد حتى يمكنه ان يختار الذى يمثله فى برلمان بلاده ؟

ان السبيل كان واضح المعالم ولا يحتاج الى سؤال ..

لترفع الثورة القيد الذى يرسف فيه الناخب ، وبعد ذلك ستكون للناخب الارادة وتكون له الحرية فى اختيار ممثليه فى البرلمان .. لتبطش الثورة بعدو هذه الملايين المستعبدة .. والعدو هم هؤلاء الافراد القلائل الذين يملكون الارض ومن عليها ويتحكمون فى حياة ومصائر اغلبية الشعب .. الفلاحين ..

لقد تقرر هذا فعلا كاجراء حتمى اتخذته الثورة لتمهد للديمقراطية الصحيحة التى ما قامت الا من أجل تحقيقها للشعب

جمال يجتمع بسراج الدين

كانت نوايانا واضحة .. اردنا ديمقراطية صحيحة تمكن الشعب من فرض ارادته وحكم نفسه بنفسه واراد جمال أن يشرك كل الهيئات والاحزاب فى تحقيق اهداف الثورة وفى صنع مستقبل الشعب

ودفعه ايمانه بهذا الرأى الى مقابلة فؤاد سراج الدين .. قطب الوفد الكبير ومحرك سياسته وصاحب الكلمة الاولى فى اتجاهات الحزب المذكور ..

وفى منزل اليوزباشى عيسى سراج الدين قريب قطب الوفد وصهر رشاد مهنا تمت المقابلة !

وكان مع جمال فى ذلك الاجتماع عبد الحكيم وصلاح وبغدادى وكان مع فؤاد سراج الدين ابراهيم طلعت واحمد ابو الفتح

وتكلم جمال عن حزب الاغلبية ، وعن ايمانه بأنه من الممكن

جدا للحزب الكبير ان يصلح من الاوضاع السائدة فيه وفى قيادته ، ويغير من اهدافه وبرامجه بما يتفق والوضع السياسى الجديد بعد فاروق

ومضى جمال يقول لسراج الدين وزميليه ان حزب الوفد لو فعل هذا لاصبح من السهل ان يسير دفة الامور ، فالثورة لا تريد ديكتاتورية ..

واشترط لكى يتم التعاون بين الثورة وحزب الوفد شرطا واحدا وهو أن يصدر الحزب بيانا يعلن فيه على الملأ موافقته على قانون تحديد الملكية ، لان الديمقراطية كما يفهمها هو ، بل كما يفهمها كل الديمقراطيين فى جميع انحاء العالم ليست برلمانا فقط .. بل هى تحرير الفرد من كل القيود .. هى تحرير عبيد الارض حتى يمكن ان يعبروا عن ارادتهم وبالتالى يمكنهم اختيار ممثليهم فى البرلمان بلا ضغط من أصحاب الارض الاقطاعيين !

واستمرت المناقشة اربع ساعات ... جمال ورفاقه يتحدثون عن حقوق الشعب والاسلوب العملي لاعطائه تلك الحقوق .. لكن فؤاد سراج الدين رفض الموافقة على تحديد الملكية .. وقال انه لا يمانع فى رفع الضريبة على الارض اما تحديد الملكية فلا .. ولا !

ورد عليه جمال بأن رفع الضريبة ربما ضاعف من ايرادات خزينة الدولة ، ولكنه لا يحقق الهدف السياسى الذى تؤمن به الثورة .. اى تحطيم قيود عبيد الارض ليختاروا ممثليهم الحقيقيين فى البرلمان بلا قهر أو ارهاب . وهذا هو اساس الديمقراطية الحقة ..

ثم انتهى الاجتماع عندما قال فؤاد سراج الدين انه سيعرض الامر على حزب الوفد فى الاسكندرية ، وبعد ذلك سيصدر بيانا فى أقرب وقت ..

وخرج جمال والزملاء لننتظر جميعا بيان الوفد ..

وقد سافر فؤاد سراج الدين الى الاسكندرية فعلا ، وعقد الوفد اجتماعه وناقش موضوع تحديد الملكية .. أى زوال الاقطاع .. ثم رفض الحزب الموافقة على هذا الاجراء الثورى ! ..

لم يصدر الحزب البيان كما وعد سراج الدين .. فماذا كانوا يتوقعون ؟! وماذا كانوا ينتظرون من القيادة ؟! ..

هل كانوا يؤمنون بأن المسألة لن تخرج من ايديهم ، وانهم هم الذين سيحكمون البلاد رغم كل شيء .. وبلا ثورة ! ؟

ان المسألة لم تكن ثورة فى اعتقادهم .. ظنوها انقلابا كما كانوا يشيعون .. والانقلاب لا يحتم تغيير الوضع السياسى أو الاجتماعى .. ولا يحتم اعطاء الشعب حقه الكامل فى التعبير عن ارادته وحكم نفسه بنفسه ..

وهنا فقط آمن جمال عبد الناصر بانه لا أمل له على الاطلاق فى تعاون هؤلاء الساسة والاقطاب مع الثورة ..

هنا فقط اقتنع جمال واقتنعنا نحن جميعا بأن الشعب فى واد والاحزاب والهيئات كلها فى واد آخر

وأين الثورة ؟

ورئيس الوزراء ـ كما قلت ـ قد عارض فى تحديد الملكية مثلما عارض حزب الوفد ، وقال لنا ان الضريبة التصاعدية تكفى .. اى ان الانتخابات ستجرى وسيكسبها نفس الاشخاص الذين مثلوا الفلاح رغم انفه فى البرلمان .. وفى هذه الحالة كان الاقطاعيون ودعاة سيطرة راس المال سيحكمون البلاد من جديد ويتحكمون فى مصير الشعب عن طريق ذلك البرلمان ! ؟

فأين اذن تكون الثورة لو كان قد حدث هذا ؟

بل أين هى الديمقراطيـــة لو كنـــا تخلينـــا عن مبادئنا واهدافنا !

اى لم تحدد الملـكية وجرت الانتخابات فى فبراير .. والاحزاب يسيطر عليها الاقطاعيون والارســتقراطيون أعداء الشعب ! ؟

ان الاحزاب لم تستجب لنداء الثورة .. وبقي نفس الاقطاب وتجار السياسة والوطنية وجلادو الديمقراطية يقودونها ، ويتحفزون لمعركة فبراير الانتخـــابية ليوقفوا زحف الثــورة بعد فوزهم ، كما كان الامر يجرى فى الماضى !

رشاد مهنا مع الاقطاع

لم يكن رئيس الوزراء هو الذى عارض فى تحطيم الاقطاع وحده .. بل ان عضوين فى مجلس الوصاية عارضـــا قانون الاصلاح الزراعى وبشدة .. فأى موقف اعجب من هذا ! ؟

وكيف كنا نستطيع تحقيق الديمقراطية الصحيحة واهداف الشعب لو انسقنـــا مع التيـــار ، وتركنا كل شىء كما هو بلا تغيير ! ؟

ان رشاد مهنا وبهى الدين بركات عارضا القانون ، وهما الوصيان على العرش اللذان وضعتهما الثـــــورة فى هذين المكانين ..

وكما قلت كان تحطيم الاقطاع هو الاساس الذى حددناه للتعاون بين الثورة والاحزاب والهيئات . !

وهكذا اختلفنا .. وكان خلافا جوهريا خطيرا .. فنحن نريد ثورة .. وهم يريدون حكما . !

قلنا للحكومة ..

وقد دارت مناقشة تاريخية حول هذا الخلاف الخطير فى

جلسة فى دار مجلس الوزراء وحضر هذه الجلسة جمال عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم كممثلين للقيادة .. كما حضر الجلسة رشاد مهنا وبهى الدين بركات وعلى ماهر وعبد الجليل العمرى ..

فانظروا اذن الى الموقف وكيف كان عجيبا ومثيرا ..

ان رجال الثورة لم يتراجعوا .. وقالوا لرجال الحكومة والوصيين على العرش انه لابد من انهاء مسألة الاقطاع .. والمسألة ليست اقتصادية فقط ، بل هى فى صميم السياسة !

فالشعب الذى فرض ارادته على فاروق وارغمه على التنازل عن عرشه لم تفعل قواته المسلحة ذلك لان الملك كان فاسدا فقط .. بل لانه كان عقبة فى طريق الديمقراطية الصحيحة، ويجب ان تزال كل العقبات امام الثورة لتحقيق هذه الديمقراطية ، وبقاء الاقطاع ، ونزول الاقطاعيين الى معركة الانتخابات فى فبراير ١٩٥٣ سوف لا يحقق هذه الديمقراطية، وسيظل الوضع كما كان ايام فاروق : برلمانات يتثاءب اعضاؤها فى مقاعدهم ، ولا يستيقظون الا ليقولوا نعم ... موافقون ! !

والثورة تريد برلمانا يمثل اعضاؤه طبقات الشعب على اختلافها تمثيلا حقيقيا لا قهر فيه ولا ارغام !

واستمرت المناقشات بين رجال الثورة ورجال الحكومة اياما عديدة ..

الاحزاب ترفض نداء الثورة ..

وشعرنا فى تلك الايام أن الاقطاعيين بداوا يتكتلون مع الحكومة وأوصياء العرش ، ليسدوا الطريق امام الثورة .. ولم تتحرك الاحزاب ولم يفق رجالها من الغيبوبة التى ظلوا

فيها منذ ربع قرن مضى على البلاد ، والملايين من أبنائها يتطلعون الى العدالة والحرية والحق والعدل والعلم فلم تمكنهم تلك الاحزاب التى لا تمثل الا اصحابها من تحقيق واحد من هذه الاهداف ..

وانى اذكر تلك المناقشة التى دارت فى البرلمان أيام حكومة الوفد ..حين وقف الدكتور طه حسين وطلب اعتمادات مالية لوزارة المعارف ، حتى تتمكن الوزارة من انشاء مدارس جديدة لأبناء البلاد .. ويومها وقف البدراوى يصرخ فى برلمان الامة قائلا : طيب علموا الشعب ، وبكره تشوفوا حيجرالكم ايه منه ! !

ذلك كان موقفهم من الشعب على الدوام

فهل كانت الثورة تستهدف الديكتاتورية حين ابعدت تلك العصابات من ميدان السياسة ليتعلم الشعب وليتحرر وليصنع مستقبله وليقرر مصيره بنفسه !؟

ما أروعها من ديكتاتورية ، لو كانت كذلك .. لو كانت تستهدف ان يسكت البدراوى الى الابد ، فلا يتكلم باسم الشعب .. واذا كانت تستهدف ان يجلس فى البرلمان مواطن من صميم الشعب ليتكلم باسم الملايين لا باسم فرد او أسرة

تلك هى ديكتاتوريتنا وتلك هى ديمقراطيتهم ..

ديكتاتوريتنا التى فرضت على العرش ان يسقط ، كما اراد الشعب .. ديكتاتوريتنا التى حتمت ان يتحرر ملايين الفلاحين من السخرة .. من طغيان مالك الارض ، ليبدأوا مرحلة جديدة فى تاريخ تطورهم ، وليختاروا بلا ضغط من البدراوى أو سراج الدين او امير مخمور ممثليهم فى البرلمان !!

انها ديكتاتورية الشعب كما اعلنها جمال عبد الناصر منذ شهور على الملأ .. وهى الديمقراطية الحقيقية ، لا ديمقراطية العائلات والامراء والمخمورين ! !

ومن أجل هذا .. من أجل فرض ارادة الشعب على الحاكم فى البرلمان كما أرادت الثورة ، لم تحدد الاحزاب موقفها ، لم تغير من برامجها واهدافها .. لم تقبل الوضع الجديد .. لم توافق على أن تكون فى مصر ثورة ..

ولم يخرج من قيادتها الاقطاعيون والارستقراطيون والسماسرة .. بل بقوا ليخوضوا معركة فبراير كان شيئا لم يحدث بعد فاروق ! !



محمد نجيب والثورة

اشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لا تتكلم عن محمد نجيب بصراحة ، وتروى لنا قصته كلها مع الثورة ! ؟

والواقع ان كل اصحاب الخطابات التى وصلتنى حول هذا الموضوع كانوا على حق .. فليس من المنطق قطعا ان اتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من ساسة الماضى واحزاب الماضى ثم اغفل قصة نجيب معنا ..

ومضيت مع خواطرى .. ثم وجدتنى فى حيرة

كيف ابدأ القصة ! ؟

ثم هل هذا وقت الكلام فى موضوع انتهينا منه ! ؟

وعدت اتطلع الى الخطابات المتناثرة على مكتبى .. ان اصحابها ينتظرون الآن ماسوف اقوله لهم عن اللواء نجيب ، ولا بد انهم وكل الشعب يريد ان يعرف القصة ... وهذا ما زاد من حيرتى !

لقد سكتنا على الدوام ــ نحن رجال الثورة ــ حيال ما يقال عنا ، وموقفنا من اللواء نجيب ، وفسر المغرضون هذا السكوت بما يتفق ومصالحهم واشاعوا ان اللواء نجيب اختلف معنا ، او اختلفنا نحن معه لانه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب .. اما نحن فلا .. نحن نخالفه فيما ذهب اليه ، ونحن وقفنا فى طريقه الذى كان سيقود الشعب فيه الى الحرية والديمقراطية والدستور !

وطارت الاشاعات والاقاويل هنا وهناك وكل اشاعة كانت تؤكد ديمقراطية نجيب وديكتاتورية مجلس قيادة الثورة واعضاء المجلس المذكور يلوذون بالصمت ويتركون الاقوال

تترى والاشاعات تطير الى حيث تشاء ولم يحاول مجلس الثورة اذاعة القصة كلها .. ليعرف الشعب الحقيقة الصارخة ..!

كنا وحدنا الذين نعرف الحقيقة ، اما الشعب فكان لايعرف سوى الاشاعات !

فهل نقول الحقيقة وأمرنا لله ! ؟

ومرة ثانية ـ او ثالثة لا ادرى ـ عدت الى كومة الخطابات انقل بصرى بين سطور بعضها .. ان اصحاب الخطابات يريدون الحقيقة .. يريدون ان يعرفوا .. هل نجيب اختلف معنا لانه ديمقراطى ويريد الدستور أم لسبب آخر ! ؟

ان المسألة لم تعد تحتمل السكوت.. فهى مسألة الشعب وليست مسألة شخصية ..

ونجيب ان كان على صواب ـ فالشعب سوف يعرف الحقيقة اليوم أو فى الغد ، وان كان قد اخطأ فالشعب سيعرف ايضا كيف اخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد .

وبين الرسائل التى امامى واحدة يصرخ صاحبها ، وتكاد صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة ... انه يقول لى :

« قل لنا الحقيقة كلها ، فمن حقى ومن حق كل مواطن ان يعرفها .. لماذا قلتم لنا ان محمد نجيب هو قائد الثورة ، ولماذا حملتموه على اكتافكم الى الوجه البحرى ثم الى الوجه القبلى ، ثم قدمتموه الى الدنيا كلها شرقها وغربها على انه قائدكم .. وبعد ذلك تبين انه كان يتآمر على هذه البلاد ، ثم لايلقى جزاءه .. نريد أن نعرف الحقيقة ! ؟ »

وقد مرت على لحظات بعد ان قرأت تلك الرسالة ، وكانت لحظات مليئة بالحيرة والتأمل ، ثم قررت ان اروى قصة محمد نجيب كلها .. قررت ان ارويها لكى نسدل الستار نهائيا على هذا الموضوع .. ثم نستريح ونريح !

وامسكت بالقلم وتوكلت على الله ..

من اين ابدأ ؟

هل ابدأ قصة اللواء نجيب بتاريخ ازمة ٢٦ فبراير ١٩٥٤ التى قبل فيها مجلس الثورة استقالة نجيب ثم لم يلبث ان اعاده ! ؟

ام ابدأ بيوم ٢٥ مارس وقراراته المشهورة .. ! ؟

ان عشرات من المواقف تتبلور امامى الآن .. وكل موقف منها يصلح ليكون بداية لقصة رهيبة .. لاضخم قصة فى تاريخ هذه الثورة !

هناك مثلا موقف ٢٧ مارس ١٩٥٤ .. وكنا يومها قد ذهبنا الى مطار الماظة لنودع صاحب الجلالة الملك سعود ، وكان الوقت فى الصباح الباكر ، وعرجنا على ميس ضباط الطيران لتناول طعام الافطار على مائدتهم ، وما كدنا نمسك بأقداح الشاى حتى اقتحم « الميس » خمسة من ضباط الطيران على وجوههم الحنق الشديد ، وكانوا يلهثون وهم يقولون لنا :

ـ تعالوا ... الحقوا نجيب .. ! ؟

وبداية اخرى لقصة نجيب .. يوم ان عثرنا على تقرير فى قصر عابدين بين اوراق حافظ عفيفى ، والتقرير مرفوع الى السدة العلية الكريمة قبل الثورة بيومين اثنين فقط .. فمن الذى ارسله الى القصر .. الى السدة العلية الكريمة ؟ !

انه بطل هذه القصة .. اللواء نجيب !

ان خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدى .. ها هو الخيط الاول ..

هاهو جمال عبد الناصر يذكر لنا اسم نجيب لاول مرة قبل قيام الثورة ، ولم يكن نجيب وحده الذى رشحه جمال ليوضع على رأس الثورة ، بل كان هناك شخصان آخران رشحا لهذه المهمة مع نجيب ، فلماذا وقع الاختيار على نجيب ! ؟

الأيام الأولى

انني ارى الآن امامى وجه نجيب وهو جالس معنا فى الايام الاولى للثورة . . . انه كان وجها طيبا يفيض بالاخلاص الشديد للثورة !

كانت تصرفات نجيب تبدو لنا رائعة للغاية فى الايام الاولى، عندما كنا نعمل جميعا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، ننام هناك ونأكل ونشرب هناك ايضا

كان نجيب يتوجه الينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلا:

ـ انا اشعر بالخجل من نفسى ، لانى اراكم تنسون أنفسكم تماما ، وانا لم افعل شيئا ، لكنكم تنسبون الى كل شىء ، وكل شىء قد تم بمجهودكم انتم . .

وكانت تلك الكلمات التى سمعناها من اللواء نجيب بمناسبة وبغير مناسبة كافية لكى تبعث فينا الثقة المطلقة به ، مما دفعنى الى ان اخرج الى الناس ذات مرة وأخطب فيهم متحدثا عن نجيب وزعامة نجيب !

بل ان عبد اللطيف بغدادى تأثر ذات مرة الى الحد الذى قال فيه لنا :

« انى أحب هـذا الرجل كأبى تماما ، واخشى ان يكون حبى له اكثر . . »

فماذا حدث بعد كل هذا . . وبعد ان وقف عبد الحكيم عامر فى قريته « اسطال » يبايع نجيب امام اهله ، وبخطاب حماسى رائع كان عبد الحكيم عامر خلاله متأثرا الى حد انه تشنج !

لقد كنا جميعا نشعر بالحب لذلك الرجل ، لانه كان فى الايام الاولى لايترك مناسبة دون ان يبدى فيها خجله منا ، ويعبر فيها عن دهشته لاننا ننسى أنفسنا ، وننسب كل شىء له ، وهو الذى لم يفعل شيئا ! ؟

ان قصة اللواء نجيب مليئة بالاحداث والغرائب ..

انها اعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث ، انها الاسطورة الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت ايضا فجأة كضباب الضحى ..

انها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لايؤمنون الا بأنفسهم حتى اذا كانت وسيلة ذلك هى تضليل الجماهير !

انها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضى بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات ..

وهى ايضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة « ثورة » ويحاولون وقفها باكذوبة الدستور والانتخابات والاحزاب

وهى نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد أن يبنى مصر فتصبح دولة عظمى .. وجيل عفن مهزوم عاش فى كنف الخنوع واصبح لايعنيه ان يتطور الشعب او يتحرر أو تنشق الارض فتبتلع افراده جميعا

انها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التى تقدمت الصفوف بلا وجل ، وخاضت اعنف المعارك ، وصمدت ثم اثبتت ان الشعب سينتصر على الدوام ..!

هى باختصار قصة الثورة الديمقراطية ..

وسوف يقرا الشعب القصة كاملة ، فأنا اعدها منذ اليوم

اعدها من اجل الحائرين الذين رأونا نحمل نجيب على اكتافنا الى قبلى ثم الى بحرى ، ورأونا ونحن ننكر أنفسنا ونذكره ، ورأونا ونحن نصنع منه زعيما ، وهو يحفر للثورة قبرا .. !

نجيب يدخل من أبواب التاريخ

كيف دخل اللواء نجيب من ابواب التاريخ ! ؟

من فتح تلك الابواب امامه وقال له تفضل ... انت زعيم ! ؟

وعلى اى اساس قامت زعامته وقيادته لثورة شعب ! ؟

لقد هتف الشعب والجيش له من الاعماق ، وتردد اسمه على افواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لانه القائد الذى انتصر وحرر بلاده ..

لقد كان نجيب رمزا لبطولة اسطورية بهرت العالم كله

وفى كل بيت فى مصر علقت صورته ، صورة البطل الذى ظهر فجأة فى ارض النيل ، ليحرر العبيد ، ليطعم الجياع ويبرىء المرضى وينشر العلم والعدل والحق والمساواة ..

الجميع قالوا له انت زعيم ، انت بطل ، انت منقذ الشعب .. انت محرر الوادى

لم يختلف احد من افراد الجيش او الشعب على زعامة نجيب وبطولة نجيب وقيادة نجيب ، وكان عليه ان يتقدم الصفوف ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها ..

لم يكن ينقصه شىء أو يعطله شىء .. فكل مقومات الزعامة والبطولة والمجد والولاء قد وضعت تحت اقدامه ، فماذا حدث ! ؟ لماذا لم يتقدم فى الطريق الى النهاية .. وماذا كان يعطله ! ؟

لقد اخلينا امامه الطريق تماما ، ووضعناه على رءوسنا ، ثم انكرنا ان هناك ابطالا غيره .. كان مجرد الاشارة الى بطل آخر غير نجيب جريمة فى رأينا ..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو يجب ان ينسب الى رجل واحد ، رجل يصبح زعيما يقود الشعب فى الطريق الطويل الوعر حتى النصر ..

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال اعوام نضالنا قبل ٢٣ يوليو هو من اجل هذا الشعب .. من اجل ثورته على اعدائه ، وكل ثورة يجب ان يقودها زعيم

ونجيب اصبح الزعيم .. ثم ماذا حدث ؟

لماذا انهارت زعامته .. لماذا اختفت الاسطورة سريعا كضباب الضحى ؟

هل لان مجلس الثورة يريد الدكتاتورية ونجيب يريد الديمقراطية ؟.. ومن اجل هذا عزلناه وابعدناه من الطريق؟..

انني هنا انشر الحقائق كلها ، ليعرف العالم كله شرقه وغربه حكاية اللواء نجيب .. وليعرف الشعب هنا فى مصر من كان يريد الديمقراطية ومن هو الديكتاتور ... وليعرف الشعب من هم الثوار ، ومن هم الحكام ؟..

وقبل ان ابدأ القصة اود ان اسجل هنا خاطرا مر بذهنى وانا امسك بالقلم لابدا القصة ... تخيلت جمال وعبد الحكيم وصلاح وبغدادى وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الاحرار وقد بطش بهم نجيب فى ازمة مارس الماضى ، واصبح هو الحاكم على البلاد ..

فماذا كان سيحدث فى مصر ، بعد البطش بالذين صنعوا نجيب ؟..

هل كان نجيب سيطلق الحريات والعدالة والحق ..

وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية ... وعلى يد من ؟..

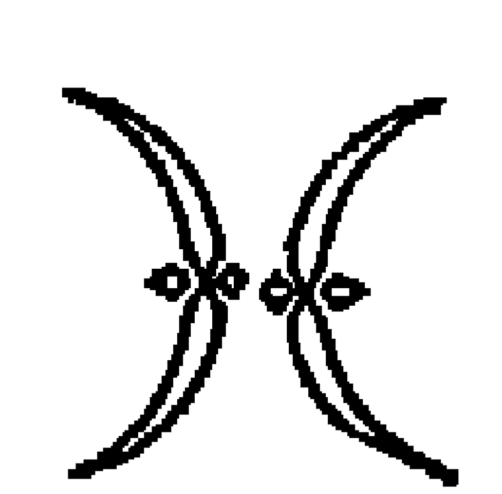
هذا هو السؤال ..

على يد من كان نجيب سيحقق اهداف الثورة المصرية ؟

على يديه وحده .. ام كان سيكمل اتصالاته فى مارس المشهور ويجىء بابراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وبسراج الدين وبكل اقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد ؟..

على اى حال ، الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع نجيب بالبلاد بعد ان يبطش بنا ؟ !

والذى كان معروفا انه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس الجمهورية يضم الاخوان والسعديين والوفد والاحرار الدستوريين ، ويلغى مجلس الثورة



الثورة والدستور

الأحزاب وخط الثورة

قلت ان الاحزاب لم تفهم معنى الانذار الذى وجهناه اليها بضرورة تطهير نفسها ، وكان مفروضا ان تسرع تلك الاحزاب فتغير من برامجها ، ومن اشخاص قادتها ومن معتقدات افرادها ـ اذا استطاعت ـ لكن تبين بالرغم من حسن نوايا الثورة ان هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياسة ، وان الشيء الذى يعنيهم سواء اكانت فى مصر ثورة ام اسرة مالكة هو ان يحكموا البلاد

والواقع ان موقف الثورة من الاحزاب كان خاطئا من البداية .. فهى ـ اى الثورة ـ كان حتما عليها ، ان تقضى على كل التركة التى خلفها لنا العهد الماضى ، والاحزاب بشكلها الموجود كانت شيئا مخالفا لمفهوم الثورة .. وماحدث فى البلاد من مآس ومن ظلم وغدر واستبداد منذ وجدت فيها تلك الاحزاب لا تقع مسئوليته على النظام الذى كان قائما ، بقدر ما تقع هذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الامور بالتتابع فى كنف دستور اقطاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب

اقول انه كان مفروضا بعد ان مدت الثورة يدها البيضاء الى القيادات السياسية الموجودة فى البلاد ، ان تفهم تلك القيادات ان ماحدث فى مصر ليس انقلابا سوف يزول بين وقت وآخر ، بل الذى حدث هو تطور اجتماعى محتوم يفرض على كل القيادات السياسية اذا كانت حقا

ـ ديمقراطيـــة ـ ان تؤمن به وتعمل على تحقيقـــه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور، بل كان مفروضا ان تنظر فى بعض القيادات السياسية فتضع برامج تهدف الى القفز بركب التطور فى البـــلاد الى ابعـــد مدى ، لا الى تعطيـــله ووقفه كما ارادت بعض تلك القيادات

ويبـــدو ان رفض الاحزاب الوقوف الى جـــانب التطـــور الاجتماعى كان من صالح البلاد .. فلو كانوا قد فعلوا لظهر بعد توليهم الحكم مدى ايمانهم ذلك بالثورة المصرية واتجاهها الانسانى نحو التحرر والعدالة

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طوال ربع القرن الاخير كان كل افرادها من طبقة معينة لا تتفق مصالحهـــا على الاطـــلاق مع مصالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسطة التى استمدت الثورة اهدافها الحقيقية من مصالحها

وبالرغم من تراجع الاحزاب عن خـــط الثـــورة المصرية ، وبالرغم من رفض قيادات تلك الاحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة ، فاننا ظللنا نؤمن بامكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فأردنا أن تكون فى البـــلاد أحزاب ، وأن تجرى انتخابات ، واعددنا قانون الاحزاب فعلا ، وكان الهدف الاساسى لذلك القانون هو ان تسجل الاحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط اســـتبعاد الاشـــخاص الذين ثبت انهم افســـدوا فى الحيـــاة السياسية ، وهم اكثر من ان نحصيهم هنا ...

النحاس وسليمان حافظ

وبدأ الوفد يناور ويحاور ، ثم وقع حـــادث صـــلاح الدين وسليمان حافظ وهو حادث مشهور ولم تكن لنا فيه يد على الاطلاق

فقد ذهب محمد صلاح الدين ، وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية فى ذلك الوقت ، وذلك ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية .. وفى مكتب سليمان حافظ جلس صلاح الدين يتحدث مع الوزير .. وفجأة قال سليمان حافظ لصلاح الدين :

ـ مصطفى النحاس ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع

وطلب سليمان حافظ ان لا يشترك النحاس بصفة فعلية فى ادارة حزب الوفد الجديد

وهرول صلاح الدين الى سراج الدين وابلغه الحكاية ، وذهب سراج الدين الى النحاس وروى له ما قاله سليمان حافظ ، ثم بدأت المعركة بين الوفد وسليمان حافظ

وكما قلت لم يكن للثورة دخل فى الموضوع ، لكن الحملة التى شنها الوفد على سليمان حافظ امتدت الى الثورة نفسها .. فكتب احمد ابو الفتح سلسلة مقالات تحت عنوان « الى اين ... » واظهر فيها بطولة خارقة ، فبدأ يتكلم من الثورة بأسلوب عجيب ، واعتبرها انقلابا من انقلابات الاقليات السياسية ، وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم فى البلاد

واذكر اننى كنت فى ذلك الوقت مسئولا عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائى فى مجلس الثورة يتساءلون :

ـ هل من المصلحة ان يقال مثل هذا الكلام ؟.. اننا لم نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين ، بل لمصلحة الشعب كله ، فمالنا نحن وسليمان حافظ واحمد ابو الفتح وباقى الناس الذين ليس لهم وضع فى الثورة ، والذين ان جد الجد واحسوا برقابهم تتأرجح فوق اجسادهم ـ كما حدث لنا ليلة ٢٣ يوليو ـ لفزعوا وولوا الادبار ..

تجاهل الوضع الثورى ..

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار ، وبعضهم قال ان

هذا الـكلام فيه تضليل للشعب ، لان احمد ابو الفتح اعتبر انا حكاما وتجاهل الوضع الثورى

وقلت يومها لزملائى : دعوه يكتب كيف يشاء .. ودعوه يفرغ كل ما فى رأسه من كلام ولنر صدى كلامه عند الرأى العام ..

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صدى معين لانها كانت تأخذ نفس الشكل القديم لمقالات الصحف المصرية التى تسيطر عليها الاحزاب .. مدح فى هذا وقدح فى ذاك ولا شىء غير ذلك .. لا موضـوع ولا رأى ولا توجيـه ثورى ، او على الاقـل يستهدف الصالح العام ، لا مصالح حزب الوفد فقط ...

كانت مقالات « الى اين ... » كلها مدحا فى مصطفى النحاس ، كأن مصطفى النحاس هو القضية ، وليس الشعب

وكان الناس لا يزالون يذكرون موقف النحاس اثناء توليه الحكم آخر مرة ، من القصر ... وكيف تحالف حزبه معه الى ابعد مدى ، وتنازل عن شكله الشعبى من اجل أن يبقى فى الحكم ... لهذا كان مدح النحاس آخر حليف سـياسى لفاروق والاقطاع شيئا غير مستسـاغ بالمرة فى وقت رأى الناس فيه صاحب العرش يطرد من البلاد

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعة « الى اين ... » وبدات اخطارات الاحزاب الجديدة تترى ، وخيل الينا ان مصر سوف تشهد عهدا غريبا يتصارع فيه الف حزب سياسى من اجل كراسى الحكم ...

واحصينـا الرقم الاخير فوجدنا ان هناك واحدا وعشرين زعيما فى مصر ، تقدم كل واحـد منهم باخطـار عن حزب جديد ، وبينهم زعماء لم يسمع بهم احد ... وكأن الارض قد انشقت عنهم فى غفلة من الشعب

مبادىء من كل لون ، وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها

متشابهة بل تكاد تكون نسخة طبق الاصل من بعضها
وجلسنا نفكر ، هل هذا هو ما تريده الثورة المصرية ؟..
وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسيرون بالثورة المصرية الى نهايتها ؟

ومن هم ؟ !

ما هو ماضيهم ؟ !

ما هو كفاحهم ؟ !

رحلة ملكية لرشاد مهنا

ولم نكن ندرى ماذا يدور فى راس رشاد مهنا بالتحديد ، ورأيناه يدلى بأحاديث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول شخصه فيذهب الى مسجد السيدة ليصلى الفجر « حاضرا » ومعه مصورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر « حاضرا » مرة واحدة من قبل !

ولم نبال بهذه التصرفات الغريبة ، فقد كنا نتوقع ان يذهب كرسى « العرش » بلب رشاد مهنا الى حد ما ... لكن فوجئنا ذات يوم برشاد وهو يامر ادارة قصر عابدين باعداد العدة لقيامه برحلة الى واحة سيوه ، وكانت الاوامر التى اصدرها رشاد تطابق تماما الاوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الاحوال ... سيارات من جميع الماركات والاشكال وحاشية وخدم ومصاريف ... وعندما بلغنا النبأ نظرنا الى بعضنا وقلنا :

ــ الله ... ايه الحكاية ! ؟

كنا نعرف ان رشاد مهنا لايؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها ، لكننا لم نكن نتوقع ابدا ان يعين رشاد مهنا نفسه ملكا هكذا ببساطة ... وكأن طرد فاروق كان حبرا على ورق ...

ويبدو ان سراى عابدين ومناظرها والابهة الشائعة فى

حجراتها وكل مكان فيها و « الجو » الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح ، كل هذا قد ذهب بلب رشاد مهنا فطار عقله ونسى انه ليس من اسرة محمد على

ويبدو ايضا ان سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم منها البلاد ... واذكر ان جمال عبد الناصر فى ابريل عام ١٩٥٤ كان يجلس فى مكتب اللواء نجيب بعابدين ، وقال جمال للواء نجيب :

ـ انا حاسس ان القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه ، فايه رايك ... تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر ، ونخلى القصر ده متحف ؟

ورد اللواء نجيب على جمال قائلا بالنص :

ـ ياسيدى ... ماشؤم الا الشؤم

وسكت جمال

انا املك واحكم

واعود الى الموضوع ... الى « الهيصة » فأقول ان الامور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة رشاد الملكية الى سيوه ففى ذات يوم استدعى رشاد مهنا اللواء نجيب الى مكتبه فى عابدين، وفى حضور سليمان حافظ اخذ رشاد مهنا يعنفه ، وكان رشاد وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب :

ـ انا لا اسمح بهذا ، ولاارضى بذلك ، ثم صرخ قائلا وبصوت عال جدا :

ـ انا مش زى فاروق ... انا هنا أملك واحكم !

وكانت مفاجأة اخرى لنا .. فنحن نعمل ليلا ونهارا من اجل اعداد خطوات الثورة المصرية ، ورشاد فى قصر عابدين يصرخ ويريد ان يملك ويحكم ..

ولم يقف طموح رشاد مهنا عند حد ، وبدأ يصطدم بنا

حدث ان الملك المخلوع كان قد اغتصب كالعادة سيارات تابعة للجيش ، وبعد الثورة طلبت ادارة الجيش من سراى عابدين اعادة تلك السيارات الى وحداتها وفوجئنا بأن « مولانا » رشاد مهنا يرفض اعادة تلك السيارات... وكان هذا الموقف كفيلا بأن يقنعنا تماما بأن الثورة فى خطر وان البلاد توشك ان ترى ملكا جديدا من اسرة اخرى غير اسرة محمد على ..

يد الثورة تنقذ الموقف

وامام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار اجتماعا سريعا ، اصدرت فيه قرارا باقالة رشاد مهنا من منصبه كوصى للعرش والاكتفاء بالامير السابق محمد عبد المنعم فى مقعد الوصاية الى ان يبت فى مسألة العرش ، وكنا قد اجلنا هذه العملية الى ان تأتى الفرصة المناسبة

وخرج رشاد من قصر عابدين الى بيته وذهب اليه جمال عبد الناصر وعرض عليه فى كرم شديد ان يختار لنفسه اى منصب فى السلك الديبلوماسى ... لكن رشاد رفض ... كان يريد ان يظل ملكا على البلاد

وبدأ رشاد ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه ... فبدأ يتصل بالاحزاب وبالاخوان بصفة خاصة ، وكان الوفد يأمل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم ، ورأى الوفد فى خروج رشاد مهنا فرصة ذهبية ..

وظنوا — جميعا — ان وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة ، لهذا كبر الامل فى صدورهم واعتقدوا — جميعاً — ان رشاد هو منقذهم من الثورة ...

تكتل الاقطاع مع رشاد مهنا

وحدث ما كان لابد ان يحدث ... ففى كل بلاد الدنيا

عندما تقوم ثورة يتكتل اعداؤها الذين تهدد الثورة مصـالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها ... وقد حدث فعلا ان لاحظنا بوادر هذا التكتل ... الاحزاب والاقطاع ورشاد ـ جميعا ـ بداوا يتحفزون للقضاء على الثورة ... وتتابعت الاحـداث ورأينا ان حسن نية الثورة قد يقضى عليها ، كما رأينـا ان عطفنا واستعدادنا للتعـاون مع الجميع وايماننا بكل مصرى مخلص يريد ان يعمل فى نطاق الثورة مهما كان لونه ومعتقداته كل هذا قد يطيح ... لا بالثورة ، فثورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها ... بل قد يطيح بكل ما صـنعناه نحن من احداث تاريخية كان حتما على الثورة ان تجتازها لتبـدأ فى صنع مستقبل الشعب

احسـسنا ان تكتل تجار السياسـة مع رشاد مهنا مع الاخوان مع الاقطاع قد يعطل من سير الثورة ، وهذا ما لم نكن على استعداد للتهاون فيه ... فى مثل هذه الحالات يبدو الامر مضحكا اذا لم نضرب بيد الثورة الحديدية لا البيضاء المسالمة العطوفة التى مددناها للجميع

وجاء يناير عام ١٩٥٣ ، وكان قد مضى على الثورة سـتة شهور ، فوجدنا انفسنا امام جبهات تتآمر علينا فى الخفاء وتظهر لنا الود فى العلن ... وجدنا أنفسـنا امام احزاب تريد طعننا من الخلف ، وافراد ينشطون فى الظلام لحسـاب الاقطاع ، ورشاد والرجعية المصرية المتحجرة ... وكنا فى واد وجميع الاحزاب والهيئـات فى واد آخر ... كنا نريد ثورة ونحمل رقابنا على اكفنا من اجل هذه الثورة المصرية التى بدأت زحفها منذ يوليو ... وهم ماذا كانوا يريدون!؟

من يحتاج الى العدل ؟

هل كانوا يريدون الحرية ! ؟

هل كانوا يريدون العدالة ... فى الريف والحضر ! ؟

ام تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام ! ؟
واين كانوا اذن قبل ان نصنع ما صنعنا ! ؟
ومن هم ... هذا هو السؤال ...

ان الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين والعاملين وتدفعهم الحاجة اليها دفعا الى العمل على تحقيقها .. اما ان يطالب اقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام .. فهذا امر يبدو مضحكا .. بل ويدعو الى السخط الشديد

فهو ليس فى حاجة الى عدل ولا الى حق ولا الى سلام .. هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر ... اذن فالذين تكتلوا ضد الثورة مع رشاد مهنا لم يكن هدفهم عودة الحياة الديمقراطية المزعومة ولا عودة الحق والعدل والسلام ... فتلك اشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب جميعا ـ ويجب على الثورة سحقهم بلا رحمة.. بل وسحق الذين يقفون الى جوارهم فى انتظار الجريمة .. ولكن الجريمة لم تقع .. فقد امتدت يد الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها فانتهى الامر بمحاكمة رشاد مهنا ، والغاء الاحزاب .. وتحديد فترة انتقال تبدا من يناير ١٩٥٣ وتنتهى فى يناير ١٩٥٦ ...

أسقطنا الدستور الاقطاعى

ضربت الثورة ـ كما قلت ـ بقبضتها الحديدية فألغت الاحزاب وحددت فترة انتقال ، وذلك عندما اطل عليها خطر التكتل الذى تم بين رشاد مهنا ، والاقطاع ، والاخوان والاحزاب ... وكان حتما على الثورة ان تضرب هؤلاء الاعداء منذ اللحظة الاولى التى خرج فيها كبيرهم ـ فاروق ـ من البلاد ... فالقيادات السياسية التى كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد ـ ثورة ـ كما ذكرت ، بل كان هدفها دواما هو الحكم والسيطرة على الشعب ، لصالح القصر والنظام الذى كان قائما . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ـ فالثورة ـ أى ثورة ـ لا يعقل أبدا ان يتولى توجيهها نحو اهدافها العديدة جماعة من السياسيين لم يشتركوا ـ على الاطلاق ـ فى قيامها أو فى التمهيد لها ... بل على العكس ، كانت الثورة المصرية التى تهدف الى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملكى ، وتصنيع المجتمع الاقطاعى المهلهل ، لا تجد فى واحد من رجال الاحزاب عونا لها قبل ان تقوم ، فكيف يمكن لهذه الثورة ان تجد العون فى هؤلاء السياسيين بعد ان قامت فعلا وبعد ان بدات تزحف على اعداء الشعب ؟

هل كانت الثورة الامريكية أو الروسية او الصينية تنجح لو ان رجالها لجأوا الى السياسيين القدامى وعهدوا اليهم بتوجيه الثورة ، وما هو دور الذين صنعوا الثورة نفسها ؟ ! يترهبنون ويطلقون لحاهم ، أو ماذا يصنعون ؟

كنا — اذن — على حق عندما ضربنا بيد الثورة الحديدية وقبرنا الجريمة فى مهدها ، قبل ان تتم على ايدى رجال الاحزاب ، ورشاد مهنا وباشوات البلاد ... ومشعوذيها !

ان الغاء الاحزاب المصرية بعد يوليو عام ١٩٥٢ كان عملا ثوريا ينبع من اصول الثورة المصرية .. ومن اتجاهها الانسانى الشعبى

فلم يحدث فى تاريخ الثورات ان قام جماعة من الناس بثورة على الطغيان والاستبداد والاستعمار والاقطاع ، ثم تركوا — الثورة — وهى لم تزل وليدة لم تقف بعد على قدميها للرجعيين والاقطاعيين والمشعوذين ليحفروا لها قبرا .. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد بالنسبة لثورتنا عندما قررت الغاء الاحزاب ، وتحديد فترة انتقال واسقاط الدستور ..

نحن نحمى الدستور

لقد قلنا بعد طردنا زعيم العصابات السياسية فى مصر الملك السابق فاروق اننا نحمي الدستور.. وكنا فعلا نعنى ما نقول ، لكن الاحزاب المصرية وليدة النظام الملكى الاقطاعى ترجمت هذا الشعار بما يتفق ومصالحها ، فطالبت بالحكم وباجراء انتخابات ... اى بدفن الثورة المصرية فى اعماق الارض ، ليبقوا هم سادة للعباد والشعب حيث هو فى الحضيض يمرض ويجوع ويموت ... هذا شيء لايعنيهم ، فسراج الدين وغيره من قادة « الشعب » فى عهد فاروق يريد ان يحكم ويحكم ويحكم ، اما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القادة الكبار ليسوا فى حاجة الى شيء منها ، فالعدالة والحرية والنور اشياء موجودة فى حياته هو .. فى قصره وفى مكتبه وحيث يكون ، انه يملك كل شيء وليس فى حاجة الى شيء .. فقط هو يريد ان يحكم العباد ، فاذا لم يستطع فالامر اذن ديكتاتورية وفاشية وحكومة

ضباط وعساكر .. وكان علينا ونحن نعد خططنا للزحف الابيض على اعداء الشعب ، ان نتردد الف مرة قبل ان نضرب بيد الثورة الحديدية ، فكما قلت من قبل كنا لا نريد ان نخوض معارك دموية ، ما دامت الثورة تستطيع استرداد الارض من الاقطاعى بالحسنى ، حتى اذا لم يخضع لمشيئة الثورة ، كنا فى حل من استعمال القوة ، ذلك كان قانون الثورة ... وكل ثورة ، سواء اكانت فى مصر ام فى آخر الدنيا ...

واعود الى الدستور .. كنا نعنى كما قلت ان الثورة تحمي الدستور ، والدستور الذى وضع للبلاد فى ابريل عام ١٩٢٣ يتكون من ١٧٠ مادة وتنص المادة الاولى منه على ان « مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وهى حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شيء منه ، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى »

ذلك هو نص المادة الاولى من ذلك الدستور ، وكما قلت كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين ، وتريد ان يتعاون معها كل الناس ، وعندما مدت الثورة يدها للاحزاب ثم طالبت تلك الاحزاب بأن تثور ايضا مثلما ثار تنظيم الضباط الاحرار تبين للثورة خطؤها ، وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلا .. لولا ان ضربت ـ كما قلت ـ بيدها الحديدية ، فلم تتم الجريمة .. وانتهى الامر بحل الاحزاب ومحاكمة رشاد مهنا ... وكذلك باسقاط الدستور

كنا نريد ان نتعاون اذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود ، ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى اعداد خطوات الثورة ، بنفس حماسنا ، وبنفس فهمنا للثورات .. وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده ... وعندما تراجع رجال الاحزاب ورفضوا ان يثوروا مثلنا ، راينا ان نعيد النظر فى خططنا ... رأينا ان نعتمد على انفسنا ،

وعرفنا فى الحال ان الثورة لايمكن على الاطلاق ان تنجح بغير رجالها ، هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذود عنها وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين واعداء التطور .. لا ثورة بلا ثوار .. كان ذلك هو شعارنا بعد ان اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه ، عندما مددنا ايدينا للجميع وطالبنا الجميع بأن يثوروا ، فأرادوا ان يحكموا

ثم رأينا ان الدستور الذى يأخذ علينا اعداء الثورة اسقاطه .. يحمى النظام الملكى كما ذكرت ، ويحمى مالك الارض وسيد العباد .. وتناقشنا فترة ليست قصيرة ، حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورة الاولى .. القضاء على تاج محمد على ، وعلى تيجان بشوات مصر فى الريف ..

اللواء نجيب يعارض

لكن بعد ان درسنا المسألة برمتها وجدنا ـ وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام ـ ان بقاء دستور ١٩٢٣ ليس فى مضمون الثورة على الاطلاق ... فهى ثورة اجتماعية قبل كل شىء ... ثورة تستهدف تغيير الوضع الاقتصادى وهذا امر يتنافى مع الدستور ، وكذلك طرد الملك واسقاط النظام القائم امر لا يجيزه الدستور ايضا ، فكيف اذن نبقى عليه ؟ ومواده الباقية تحمى الاحزاب ورجالها ، الذين هم اعداء للثورة ، والذين بدأوا يتآمرون عليها ! ؟

وكان لابد للثورة المصرية بعد يوليو ان تسقط الدستور ثم بعد ذلك تضع الثورة دستورا ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام او الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شىء .. فقد كان من اسس ثورتنا القضاء على سيطرة رأس المال وعلى جهاز الحكم ، واعلن عن هذا المبدأ فى منشورات

الضباط الاحرار قبل الثورة بزمن طويل ، ثم أعلنه مرة ثانية الرئيس جمال عبد الناصر ضمن مبادىء الثورة الستة .. فكيف كان اذن يمكننا الابقاء على الدستور وكثير جدا من مواده يتعارض مع اهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة ! ؟

وقد كان اللواء نجيب يعارض فى اسقاط الدستور مثل باقى الاحزاب والهيئات التى كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا اية ثورة ، ثم ما لبث نجيب ان وافق على راينا .. تماما مثلما حدث عندما قررنا الغاء النظام الملكى ، فقد عارض اللواء نجيب فى هذا ايضا ثم ما لبث ان عدل عن رايه ، واذكر اننى ذهبت اليه يومها فى منزله ... ثم خرجت وعقدت مؤتمرا صحفيا فى خيمة الحرس امام المنزل واذعت من هناك البيان

تلك كانت قصة اسقاط الدستور ... ففى مصر ثورة ولها اهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدستور كجدار عال امامها .. وهنا – ايضا – تمتد يد الثورة لتهدم الجدار ... ولتعد دستورا ينبع من فلسفتها ... دستورا يحمى الشعب فى عصر ما بعد الثورة ، ويحفظ للشعب كل كسب حصل عليه من اعدائه ... وقد كان دستور ١٩٢٣ يحمى مكاسب اعداء الشعب فقط !

مقاييس الثورة

مقاييس اليوم
ومقاييس الامس

أعتقد أن المصلحة العامة ، تقضى بوضع النقط على الحروف، ليدرك الذين تلتبس عليهم بعض المسائل ، وتختلط عليهم بعض الامور ، ان المقاييس التي اعتادها الناس في العهود الماضية ، لم تعد تصلح لهذا العهد ، ولم تعد متفقة مع السرعة التي دارت بها عجلة الزمان

ان مصر اليوم ، ومنذ أكثر من أربع سنوات تعيش فى ثورة ، والثورة التي انبثقت من أعماق الشعب المصرى وعبرت عن ارادته ، لم تكن ثورة على جانب من الفساد دون آخر، ولم تكن ثورة على فرد دون سواه ، وانما هى ثورة شاملة كل عنصر من عناصر الفساد أيا كان وأينما كان

وقد اضطلع بقيادة هذه الثورة لفيف من أبناء مصر عاشوا سنوات عديدة قبل الثورة وبعدها مجتمعين تحت راية المبادىء السامية التى أعلنوا عنها منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وما زالوا يلتفون حولها ، ويضعونها موضع التنفيذ فى عزم وتصميم وايمان ، وقد تبينت متانة الرابطة التى جمعت بين هؤلاء الثوار حينما دقت الساعة وحانت اللحظة الحاسمة التى تعرضوا فيها للمحنة الفاصلة بين النجاح والفشل ، أو بعبارة أخرى بين انتصار المبادىء وأعواد المشانق ، فكانت وقفتهم

المجيدة صفا واحدا ، وكتلة متراصة هى حجر الزاوية فيما حققوا لبلادهم من عزة ومجد

لقد اجتمعوا اذن على مبادىء لا علاقة لها بالاشخاص ، ولا صلة لها بالرابطة التى كانت تجمع الاحزاب المنحلة البائدة، رابطة الغنائم والاسلاب

ومثل هذه الرابطة ، رابطة المبادىء المجردة من المطامع والاسلاب ، لايسهل ولا يمكن أن تنفصم وليس من الميسور ولا من الممكن أن تنقطع أواصر العلائق الشخصية التى تقوم على هذه الرابطة النبيلة مهما يحدث من خلاف أو تعارض بين وجهات النظر ، وذلك لأن مراد الخلاف لايتعلق بنزاع على مغنم ، أو تهافت على منصب

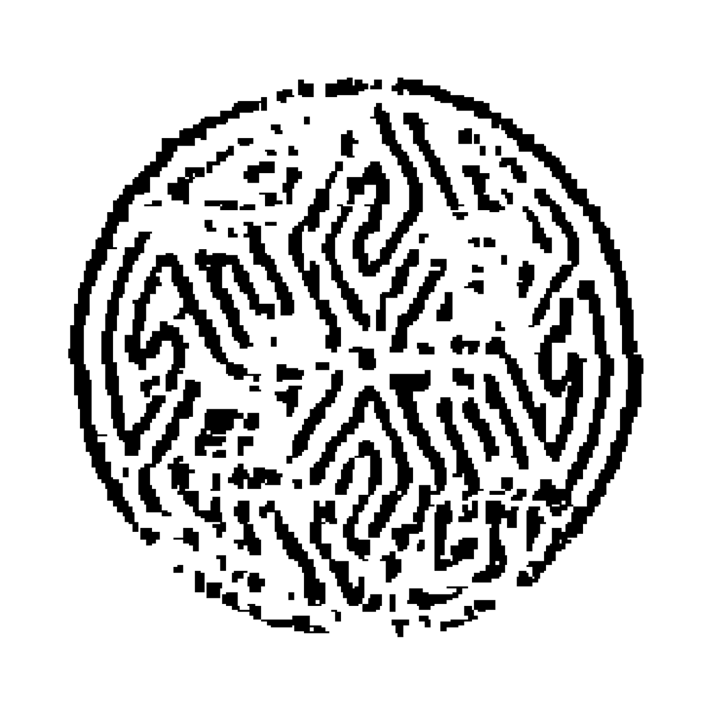
قد يحدث ، بل لابد أن يحدث بين أفراد أية جماعة من الناس ، تباين فى زوايا النظر الى مسألة معينة أو أكثر ، ولكن هذا التباين بين أفراد وحدت بينهم المبادىء السامية لايمكن أن يفض مابينهم من رباط مقدس ، فهذا الرباط هو الجوهر النقى الطاهر الذى لاتنفصم عروته ، وأما الخلاف، وتباين وجهات النظر فهو عرض لايمكن أن ينال من روعة الجوهر

على ضوء هذا التحليل الواقعى الواضح ، يجب أن يطبق الناس مقاييس جديدة فى الحكم على تطور الحوادث فى عهد الثورة ، وقد انتهى الزمن الذى كانت فيه الاعتبارات الشخصية، والمنافسات الحزبية هى المقياس أو المفتاح الذى يفسر مظاهر الوحدة والخلاف بين المسئولين عن مصائر البلاد

ان كل فرد فى هذا العهد الثائر لايشغل نفسه ولا يشغل

الرأى العام بالمكان الذى يحتله ، والمغنم الذى يكسبه والصف الذى يوضع فيه ، وانما يقف وقفة الجندى الذى يؤدى واجبه أيا كان مكانه بين الجنود العاملين

وهذا مقياس آخر لم يكن له وجود فيما مضى من عهود الحكم ، ولكنه أحد المقاييس التى لايصلح سواها للحكم على الاشياء والاحداث فى هذه الايام



فهرس

صفحة

مقدمة بقلم القائمقام أنور السادات ٨
ماهى السياسة وما هى الديمقراطية ؟ ١٥
الثورة والديمقراطية ٢٥
الضباط الاحرآر ٥٩
خطة الثورة ٧٣
أحداث الليلة الاولى ٨٩
كيف نجحت الثورة ؟ ١٠١
طرد الملك فاروق ١١١
الثورة وزعماء الاحزاب ١٥٩
تحديد الملكية ١٨٣
محمد نجيب والثورة ٢٠٣
الثورة والدستور ٢١٣
مقاييس الثورة ٢٢٩

الكتاب القادم

أسرار الثورة المصرية

بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية

تقديم الرئيس جمال عبد الناصر

بقلم أنور السادات

وهو الكتاب النفيس الثانى الذى أعدته سلسلة كتاب الهلال بمناسبة مرور خمس سنوات على ثورتنا المصرية .. يصدر فى ٥ يولية القادم



الرئيس جمال عبد الناصر فى مكتبه برياسة الجمهورية



احدى دبابات الثورة فى احد شوارع القاهرة فى فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢



وزارة نجيب الهلالى آخر وزارة من وزارات العهد البائد حين قامت الثورة



القائمقام انور السادات بعد ان ابلغ علي ماهر مطالبه فاروق بالتنازل عن العرش



أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائماً لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة

ونزولاً على إرادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه .

صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليو ١٩٥٢) .

وثيقة تنازل الملك السابق عن العرش صباح يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢



البكباشي حسين الشافعي قائد سلاح الفرسان يرسم خطة حصار رأس التين والمنتزه بالاسكندرية

فاروق يرحل عن ارض مصر فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢



فرحة الشعب وهتافاته المتصاعدة يوم تنازل فاروق عن العرش

على ماهر يودع أعضاء مجلس قيادة الثورة يوم استقالته من الوزارة التى تولاها بعد قيام الثورة



بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد انتهائهم من أحد اجتماعاتهم الليلية



اعضاء محكمة الثورة التي شكلت لمحاكمة الخارجين على الوطن



عبد اللطيف البغدادى وأنور السادات بعد انتهائهم من جلسة المحكمه



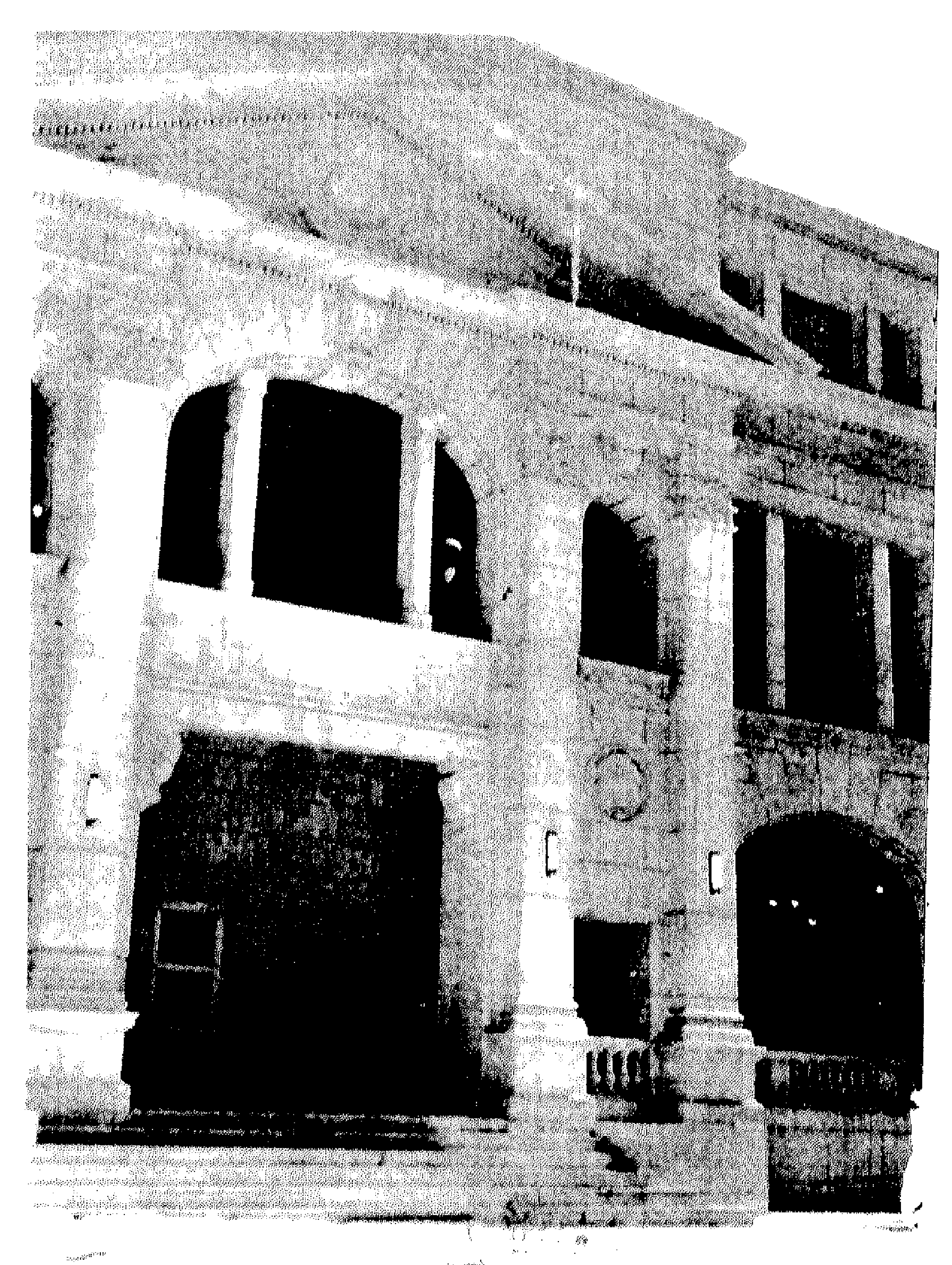
زكريا محيى الدين الذى وضع الخطة العسكرية لطرد فاروق عن العرش



الرئيس جمال عبد الناصر يغرس شجرة فى أراضى نجع حمادى



القائمقام أنور السادات حين اشترك فى الوزارة الجديدة فى مايو سنة ١٩٥٤



مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة يطل على النيل الخالد

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمى ـ صاحب المكتبه العصرية ـ ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٤٩٢

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

البرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio Nº 3
3ª Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

تعتز سلسلة كتاب الهلال بأن تقدم اليوم قصة الثورة كاملة بقلم أحد قادة الثورة بعد أن قام سيادته بتنقيحها وزيادة بعض أبوابها الخاصة بهذه الثورة التاريخية الرائعة التى رفعت سمعة مصر كما رفعت مكانتها الدولية

وقد مهد واضع الكتاب القائمقام أنور السادات لهذه القصة التاريخية بفصول ممتعة عن معنى السياسة والديمقراطية والثورة ، ثم روى أحداث الثورة منذ بدأت حتى تم لها النصر ، وحتى قضت على الفساد والطغيان وحققت لمصر عزتها وكرامتها

ان صفحات هذا الكتاب تكشف عن أهم حادث فى تاريخ مصر الحديث ، حادث هذه الثورة المجيدة التى أخرجت مصر من ظلمات الاستعباد والاستعمار الى نور الحرية الاجتماعية والاستقلال السياسى . وأتاحت لها عهدا جديدا حققت فيه جلاء المستعمر والحياة النيابية السليمة والاصلاحات المتباينة والقومية العربية ، وتثبيت أقدامها فى خضم هذا العالم المضطرب

وتمتاز هذه الطبعة الجديدة بما ازدانت به من صور تاريخية رائعة

